

# العظماء

عظماء اليونان والرومان والموازن بينهم

تأليف

أبو طرغوس

نقله إلى العربية

ميجائيل بشاره داود

المجلد الأول

سنة ١٩٢٨

---

رازا البصير للطبع والتوزيع

شارع آيتا عيسى الفيلكي رقم ٧٠ - القاهرة - مصر

## فطاً المقررة

صحيفة	سطر	خطاً	صواب
٣	٤	سبيلها	سبيلهما
٣	١٣	الفناء	الفناء
٤	٢	ارسطو، الذي	ارسطو، فما الذي
٤	١٤	على ظروفه على طريقة	على طريقة
٤	١٤	الطبيعي يكون	الطبيعي قد يكون
٤	١٩	أمة	أمة
٥	٨	ستودا	مقودا
٥	١٠	لا يحمل	لا يحمل
٥	١٢	العين	معين
٥	١٣	كلمة	كلمة
٥	١٥	يعطوا	يعطوا
٦	٣	بضبي	لصبي
٦	٤	ينتهي	ينتهي
٦	٧	كيف ثم	كيف ثم
٦	٩	خير بحسن	خير ما بحسن
٦	١٤	لم ييس	لم يبت
٧	١	بدرس	يدرس
٧	٢	السبيل	السبل
٧	٣	ويقول	وتقول
٧	١٣	أمثال	أمثاله

هذا عدا أغلاط مطبعية لا تخفى على القاريء اللبيب

# الْعُظَمَاءُ

عُظَمَاءُ الْيَهُودِ وَالرُّمَّانِ وَالْمَوَارِثَةِ مِنْهُمْ

تأليف

أبو طرغوس

نقله إلى العربية

ميجائيل بشاره داود

المجلد الأول

سنة ١٩٢٨

---

دار النشر للطبع والتوزيع

شارع أسواق الملك فيصل، القاهرة





## المقدمة

العظمة لله ولا تقدير لعظمته .

هذه سير طائفة من الرجال عاشوا للخير والمجد كدوا لها نفوسهم وأفنوا في سبيلها اعمارهم ، عاش الرجل منهم كما قال صولون دوحه وارفة يستظلها قومه اذا ارهقهم وهج الحياة ، ومتى أمنوا الاذى ابتعدوا عنها ، ، ومدوا ايديهم الى اغصانها يهصرونها الواحد بعد الآخر ، ولربما عمدوا الى الدوحة ذاتها فاجتثوا جذورها .

لم ينعم هؤلاء المجاهدون بما عملوا الا بما في عمل الخير ذاته من نعيم ، ولم يظفروا بالمجد في حياتهم الا لمحات بين البروق والرعود . فالعظيم رجل انار له الماضي امامه وجه الحاضر ، وقراء صفحات المستقبل على ضوء الحاضر تعشق املا اعلى عاش به وله ومات مجاهدا في سبيله .

يقولون ان الرجل العظيم حادث قائم بنفسه ، يدلك على ذلك انك تدخل الحديقة <sup>الغناء</sup> فلا تجد اشجارها سواء ، وتنظر الى الشجرة فلا تجد اغصانها سواء ، وتتأمل الغصن فلا تجد ثماره سواء .

كذلك تزور المدينة فلا تجد اهلها في زى واحد وتنظر الى الاسرة فلا تجد ابنائها في قالب واحد وتتأمل الابناء فلا تجدهم سواء لامن حيث الشكل ولا المزاج ولا الصحة ولا العقل ، على ان الثمرة من جنس شجرتها ، لا بد . والرجل من اهله وبيئته ، لا بد . لكل حالة خاصة ، وظرف خاص مما لا يقع تحت ضبط ولا ترتيب .

إذا قيل ان إسكندر كان عظيماً لان والده كان فيليب ملك مقدونية وان  
معلمه كان أرسطو، الذى علمهم كل العظمة حتى الفناء في حب الخير لأجله،  
يدفع عنهم غارة الفرس بالرغم منهم والحيلة عليهم، يحتمل مع ذلك الضيم من  
قومه حتى النفي والحكم بالموت يقابل ذلك بان يتجرع السم في منفاد حتى  
لا يرفع سيفه في وجه مواطنيه. ! وليكورجوس، الذى سن انومه خير شرائع  
البطولة، ثار عليه قومه وفناء متهوس عينه بضربة عصا فلم يكن هذا بمعدله  
عن العمل لما اراد من الخير. دأب على عمله حتى نهض بقومه وجعلهم سادة  
البلاد اليونانية كلها. ثم بلغ به الحرص على شرائعه ومجد قومه ان جمع رجالهم  
واخذ عليهم العهود والمواثيق واستحلفهم اغاظ الايمان الا يبدلوا منها شيئاً  
حتى يموت اليهم. انطلق بعد ذلك الى رحلة حيث قتل نفسه صبراً واوصى بحرق  
جثته وتذرية رمادها في الهواء ليبقى على قومه ايمانهم وتبقى لسبارطة شرائعها  
فتدوم سيادة وطنه ؟

يزعم البعض ان من الممكن توليد الرجل العظيم باختيار والديه وبيئته وتربيته  
ظروفه على ظروفه على طريقة الانتخاب الطبيعي، يكون ذلك ممكناً، ولكن  
ماهى الشروط اللازمة لاستبقاء هذا الانتخاب ؟

صحة الوالدين او ضعفهم، سعة علمهم او جهلهم، تقواهم او فسادهم، غناهم  
او فقرهم، ؟ والبيئة والظروف ؟ ماهى ؟ وكيف تهيباء. وكيف يؤخذ الصبي ؟  
ايحول مزاجه الى حالة عصبية مخصوصية، او يدرب على الحيلة والشجاعة  
والصبر. ؟ من تعلم رومولوس بناء روما ؟ من ابيه ولم يعرف له ابا ؟ من امه  
ولم يكن له من مرضع سوى ذئبة ؟. الا يدل كل هذا ان للقدرة الالهية وتصاريح  
حوادث العمران اليد الاولى في خلق الرجل العظيم. ؟

يقولون لو اخذ الانسان نفسه بالصبر والاقدام وتعلم فنون الحياة، والغم النظر  
في حوادثها، وكان نهازا للفرص، اقلب الفكر عنده عملاً، وصار عظيماً.

ولكن ! مجرى الحوادث ، تقلبات الظروف ، اهواء الرجال ، عماية الانسان عن معرفة مايجبىء الغد ؟ الم يفشل هينبال ونابوليون فى اعظم مواقعهما ترتيبيا وتقديرا ؟ يقولون كم عظيم قتله الفقر ! على انا نرى ، كم فقير كان فقره سبب عظمته . ويقولون كم عظيم قتله بيثته ! مع انا نرى البيثة هى التى قتبت من تحتاج من العظماء .

الواقع ان العظيم ينم عن نفسه منذ صغره . . اذا لعب ، رأس اللاعبين ؛ واذا درس بز الدارسين ، يتصدر للحكم بين زملائه الصبيان ، ويشعر من حوله انه خلق ليكون قائدا لاستودا ترى ذلك الصبى يلتمهم كل مايقدم اليه من علم وفن يطلب المزيد بلا شعير كأن لعقله منح قوى يهضم كل مايلقى اليه . لايقنع بما بين يديه من كتب المدرسة ولايحل سماع أقوال الحكماء ، يتندس الى مجالس العظماء ويغيظه ان يقال عنه صبى وان كان لايتجاوز العاشرة . ومن خصائصه أن ينصب على نوع <sup>مميز</sup> النشئ من العلوم بكرة كل شىء عدا . لايبالى من خلق لادارة السياسة بعلوم ماوراء الطبيعة مثلا ولا اللغات الميثة ، انما كلف بتعرف طبائع الناس وأساليب الحكم وفنون السياسة

ينصح الاخلاقيون لمن رزقوا صبيا كهذا ، ألا يعطوا ميوه ونزعاته ولايرغموه على مالا تشتهى نفسه . وان برؤا فيه الرجل العظيم ، يتعهدونه بالمزيد مما يجب . اين يجد ذلك الصبى العظيم مايريد من مزيد ؟ - فى الكتاب . من درى أخبار من قبله اضاف اعمارا الى عمره . لاشك أن من درى علوم من قبله وتعرف تجاريب واختبارات سابقة ومعاصريه انفتق ذهنه ورأى الحياة على حقيقتها وعرف طبائع الناس ونظر من خلال ذلك الى المستقبل نظرة صادقة . فاذا كان مع هذا كريم الطبع متين الخلق ، محبا للخير ، عاش لعمل الخير وكان عظيما . يقول اصحاب فكرة التدريب . يجب مران الصبى على ثلاث خلال النظرة الصادقة ، والفكرة الحكيمة والارادة الحازمة .

النظرة الصادقة مشاهدة الشيء أو الحادث على حقيقته من كل نواحيه وجميع مايتألف منه ومقدار كل عنصر من عناصره ، ماهيته ، قوته ، أثره . ولا يمكن أن يتوفر هذا البصبي حرم النظر الدقيق والمرشد الامين .

والرأى الحكيم ان يعالى الصبي مايرى وينظر الى ماينهى اليه . المقدمات والنتائج ، يتبين الفاسد منها والصحيح ، الوهمي والحقيقي ، اثر كل منهما . وكان يمكن أن يعطل حدوثه أو يفسد نتيجته . وما جاء عرضا وما جاء قصدا . وما فيه من عمل الانسان وما فيه من عمل للظروف ؛ كيف نما ؛ كيف نم . ومتى راض الصبي نفسه على النظرة الصادقة والرأى الحكيم فلا يعوزه سوى الارادة .

هل يمكن تربية الارادة ؟ . ان كتاب « بايو » في تربية الارادة خير يحسن نقله الى اللغة العربية . حقيقة ان كلامه عن الحرية الشخصية المطابقة ليس مما يقنع العلماء الا أنه من الخير للانسانية أن تعتقد تلك الحرية . أما القول أن الانسان مسير لارادة له على الاطلاق فليس من المصلحة في شيء . الحقيقة ان الانسان ليس حجرا يرمى به في كل مكان ولا هو اله قادر على كل شيء . على أن القول في ذلك لم يثبت به بعد . ومن المنطق المعقول انه اذا كان الامر وجهان حق لما أن تأخذ بالادنى الى المصلحة !

اذا كان هذا فليس الغرض من تربية الارادة جعل الانسان فعالا لما يريد . انما يراد بذلك ، انه متى توفر لانسان النظر الصادق والرأى الحكيم يتعين عليه أن يعضي فيما اراد بعزيمة صادقة لاتعمل الجهاد ولا تعرف اليأس . لو ان انسانا تمرس بهذه الثلاث النظرة الصادقة والرأى الحكيم والارادة الحازمة لما بقى بينه وبين أن يكون عظيما سوى أن تظهره الظروف أو يرزق الحيلة لظهار نفسه يقولون ان لكل عظيم سواس تقدموه الى ما قصد له . يريدون اشباد العظماء أو انصاف العظماء الذين يبدو لهم الغرض السامي يهمون اليه وهم أقل من أن يدركوه فيسقط البعض في الطريق ويضل البعض السبيل السوى . يأتي بعد

هؤلاء الرجال العظماء يدرس خطط سيرهم ويدرّس مواقع أخطائهم يتخير اهتدى  
النسبيل إلى غايته . فاهم عليه بذلك فضل التقدم وإن لم يبلغوا شأوه .

ونقول إذا كان هؤلاء السواس فضل على العظماء ، أفلا يكون للعظماء أنفسهم  
الفضل بعضهم على بعض بما يقدم المتقدم منهم اللاحق من قدوة صالحة ومثل أعلى ؟  
الم تترسيرة اسكندر النخوة في صدر يوليوس قيصر والم تتر سير عظماء  
اليونان والرومان النخوة والمروءة والفضل في نفوس عظماء العالم حتى اليوم : ؟

لم أكن لأقدم على نقل سير هؤلاء العظماء إلى اللغة العربية على ما بنى من ضعف  
لولا الرغبة في لفت انظار مواطني الأفاضل إلى هذه القدوات الصالحة واستشارة  
نخوة الشباب الناهض إلى العظام يخدمون بها الله والحرية والوطن  
الفضل في ظهور هذه الترجمة

يرجع الفضل كله في ظهور هذه الترجمة إلى مروءة صديقي الفاضل الاستاذ  
اسماعيل بك مظهر صاحب مجلة العصور ومطبعتها . لذلك ارجو إليه أن يتفضل  
بقبول شكرى واحترامى لأحرم الله الأدب من أمثال الفضلاء .

ميخائيل بشاره داود

## الغذاء

مر

- ٩ — بلوطرخوس — مقدمة بقلم فيتمان
- ٢٠ — تيزيوس
- ٤٦ — رومولوس
- ٧٨ — الموازنة بين تيزيوس ورومولوس
- ٨٣ — ليكورجوس
- ١١٧ — نوما
- ١٤٢ — الموازنة بين ليكورجوس ونوما
- ١٤٩ — صولون
- ١٨٢ — بوبليكولا
- ٢٠٤ — الموازنة بين صولون وبوبليكولا
- ٢٠٨ — تيميستوكل
- ٢٣٨ — كامي
- ٢٨٧ — بركليس

## بلوطرخوس

بقلم

فيلما

قال مونتني (١) : لو أن بلوطرخوس كتب لنا شيئاً عن نفسه لكان استمتاعنا بمؤلفاته أعظم ، وإدراكنا لمعانيها أوضح ، وأثرها في نفوسنا أقوى .  
ومن لا تشوقه معرفة حياة ذلك المصور التقدير الذي أبرز لنا صور العظماء ، وأطلعنا على دخائل نفوسهم في أبدع تصوير وأدق بيان ، ليعرف ما انطوت عليه مؤلفاته من خبرة وتفكير . تمنى مونتني أن يعلم عن بلوطرخوس ما أعلننا هذا عن أوائك العظماء من التفاصيل المحكمة والحالات الملمية الدقيقة ، التي تظهر آثار الطبيعة البشرية في التاريخ .

لئن أعجبنا بما في وصفه الدقيق من رقة وانسجام فإن ، لأسلوبه في الموازنة بين العظماء خطره في الكشف عن شخصياتهم أو هي قبسات من العلم والفلسفة يرسلها عليهم في تفكيره الهادي .

لنا في حوادث العصر الذي عاش بلوطرخوس في ظله ما يزيدنا معرفة بحياته الشخصية . أنك لتعجب كيف نبغت تلك النفس الحرة الأبية في تفهم فضائل الجمهورية تحت نير الاستبداد والظلم الذين جعلوا « اليونان » خاضعة ذليلة لحكم روما ، حين كان « دومتيانوس » يستذل روما ويستبعد عنها .

إن فلسفة بلوطرخوس عديدة المنابع ، شهدت تدهور فكرة تعدد الآلهة . وجهود جماعات من اليهود واليونانيين مبشرة بدين مقدس جديد ينطوي على أسس مبادئ الحكمة القديمة ويستمد الكثير من فلسفة أفلاطون ومبادئ الرواقيين وكثير من مبادئ الجمهوريات القديمة كالاشتراكية والديمقراطية ( الشعبية ) الأخوية .

إن بلوطرخوس لا شهر كتاب العصور القديمة ، واسمه أكثر الاسماء دورانا على



الاسنة، وذكره أوفر شيوعاً بين الناس . ولد في مدينة « شارونة » الصغيرة من أعمال « بيوتى » التى اشتهرت بانتصار فيليب واستعباد اليونان .

لا نعرف بالضبط تاريخ ميلاده، ولكن قد قال عن نفسه أنه كان يتلقى العلم في « دلفى » على أمنيوس أثناء سياحة نيرون في اليونان . وعليه يمكن القول بأنه ولد في آخر عهد « كلوديوس » أى في منتصف القرن الأول للميلاد . وهو سليل أسرة شريفة توارثت الميل الى درس العلوم والآداب وقد شهد في طفولته والده وجده ووالد جده ، ونشأ تحت تأثير العادات والاخلاق القديمة في ظل هذه الأسرة الهادئة التى أعانتها نوعاً ما على التمكن من ذلك الملق الرضى والمواطن الاجتماعية المحبوبة الظاهرة في مؤلفاته . رسخت في حفظه ذكري والد جده « نيكارشوس » وما كان يلمح به ذلك الشيخ من وصف الولايات التى صبت على اليونان أيام حكم النطونيوس أحد أعضاء الحكم الثلاثى فى روما . وحرره ضد أوكتافيوس حين اجتلب القتال الى مياه بلاد اليونان فأرهب الأهالى بما كان يطلب من الامدادات وتكليفهم حمل الغلال على أكتافهم لتموين سفنه . وكذلك يذكر بالخير جده « لمبرياس » معجباً بفصاحته وخياله البراق وانه عاش روحاً . يروى عنه قوله والكأس في يده بين جماعة من صحبه العبارة التالية يتبع القول بالعمل . « ان الحجر تعمل بالعقل ماتعمسه النار بالبخور ، تأخذ منه أزكى وأطيب جزء فترسله بخاراً » .

كان بلوطرخوس كثير المفاخرة بوالده لما كان عليه من فضل ووقار ومعرفة بالشؤون الدينية والفلسفة والشعر . يذكر له مع الاحترام طائفة من النصائح والارشادات القيمة تلقاها عنه أيام طفولته .

كان لبلوطرخوس أخوان يحبهما حباً جماً . وقد تلقى في مدرسة أمونيوس التى دخلها صغيراً حيث تعرف بأحد أحفاد تيمستوكل ، العلوم الرياضية والفلسفة ، ولا شك في أنه تخرج في الآداب على أساتذة مهرة . وأثر الشعر ظاهر في مؤلفاته يظهر أن مواطنيه عهدوا اليه بالرغم من حداثة سنه القيام بمفاوضات مع المدن المجاورة ، فتأده هذا المسعى الى روما التى كانت حينذاك محط رحال البارعين من



صناع اليونان وفلاسفتها طلباً للشهرة والثروة ، سواء أكان ذلك باتصالهم بأحد من كبار رجالها ، أو باعطاء دروس خصوصية علانية في الفلسفة والبيان . ولم يهمل بلوطرخوس ولا شك هذا المقصد في سبيل الشهرة ، فقد قال عن نفسه أنه « لم يجد مدة اقامته في ايطاليا متسعاً من الوقت لدرس اللغة اللاتينية لكثرة ما كان لديه من المهام العامة المسكاف بأدائها ، عدا مباحثاته في فنون الفلسفة مع العلماء الذين كانوا يأتون لاستشارته وسماع أقواله . وكان يخاطبهم بلغة بلاده جرياً على ماحرص عليه اليونانيون حينذاك من حمل الفاتحين على تعلم لغتهم وجعلها لغة الفلسفة والبيان .

من البين الواضح أن هذه الدروس العامة وتلك المحاضرات كانت أساساً لما نشره بلوطرخوس من المباحث الادبية .

كان فيلسوف سارونة ( بلوطرخوس ) يقوم في روما بوظيفة السوفسطائي . وكان هذا اللقب أصبح شائعاً بحسبونه دليلاً على الانحطاط الادبي . ولكن كثيراً من النوابغ اضطلوا بهذه المهمة في روما وسما بهم شأنها وذاعت شهرة أصحابها ، فصاروا موضعاً للاضطهاد :

يعرف أن الفلسفة كانت في عهد امبراطرة الظلم والاستبداد دافعاً للحرية الوحيد . بعد طردها من الفوروم ( ١ ) ومجاس الشيوخ . قضت الفلسفة فيما مضى على الجمهورية اذ لم تكن سوى شك معطل أساء العاشون إستخدامه ، ثم ارتقت بها الحال فصارت أشبه شيء بعقيدة دينية تعتنقها النفوس القوية ولم يكن لأصحابها وتلك حالهم من حكمة يتعلمون بها كيف يحتملون الموت . فاستحوالت الفلسفة الى مذهب الرواقيين المعروف .

كان بلوطرخوس شديد العداء لتعاليم ابيقور شديد الاعجاب والاحترام لافلاطون وتلميذه ، لاعتقادهما بخلود النفس والعدل الآلى والخير وهى مبادئ ان كانت أقل طهارة وتقاء من المبادئ المسيحية ، فانها كانت كافية لانهاض النفوس الشريفة

روى بلوطرخوس شيئاً عن عطاء الرومانيين الذين يحضرون دروسه فقال: بينما كنت التي درسي في روما وكان «أرولينوس روستيكوس» حاضراً وهو الذي قتله دومتيانوس حسداً وغيره من مجده، دخل جندي أثناء الدرس وسلم إليه مكتوباً من الامبراطور، فتولانا الجزع ولزمننا الصمت ووقفت عن متابعة القراءة ولكنه أبى أن يفض المكتوب قبل نهاية المحاضرة واختتام الدرس.

وأرولينوس هذا هو الذي أطرى سجاياه تاسيتوس وبلينيوس الشاب بالاعجاب والاحترام، وهو صديق ترازياس وهامفديوس، فهو حقيق أن يغتاله الظلم كما اغتال دينك العظيمين

ليس من الحق أن بلوطرخوس أقام في روما حتى أصدر دومتيانوس أمره بنفي جميع الفلاسفة. ويزعم العلماء أنه كان يتردد على روما ولكنه لم يرحل اليها منذ بدء حكم هذا الامبراطور، ومن المؤكد انه عاد الى وطنه ذنباً تحت تأثير حب الوطن ورغبته في امتاع مواطنيه بما اقترن باسمه من الاحترام والرعاية. ثم تزوج مختاراً من اعرق بيونات شارونة زوجة تدعى «تيموكين» وكانت نفسه فياضة بالمواطف العائلية الشريفة يرددها بين الحنو والحب. وقد احتسب في ابنين وابنة وهم في المهد نخلد ذكركم في كتاب عزاء أرسله الى زوجته ينطوي على حقيقة الالم الذي يليق بالنفوس الزكية الراقية، مصوراً فضائل الزوجة والوالدة في كثير من الاخلاق القويمة والتخيلات الشعرية التي تحبب اليها مطالعة كتبه. والظاهر جلياً ان بلوطرخوس الذي وضع مؤلفاً في الحب الزوجي، وكان اول من روى لنا حديث (ابونين وسابيوس) قد ذاق ذلك الحب في أصفى حالاته وأسعدھا. لذلك جاء بيانه وافياً مستفيضاً عن واجباته وبطولته

وفي مؤلفاته واقعة حل حقيقة بعصر اليونان الذهبي أكثر منها بعصر دومتيانوس الحديدي. وتفصيل ذلك، أنه شجر خلاف بين بلوطرخوس وبين أهل زوجته لا تعرف أن منشأه صلابة ن هؤلاء وصاف أم مصلحة. ففرغت الزوجة الفتية لهذا الخلاف رخشيت أن يساير شرده، فيمس ما تنعم به من ذلك الاتحاد الزوجي العذب، فألحت على رجلها في الذهاب الى جبل «هاليكون» وتقديم ضحية للحب

( الآله ) الذى كانت لا تعتبره تعاليم العصور الخالية آله المحبين وحارس عهودهم وموائيمهم لا غير ، بل الآله الذى يمد سلطانه على جميع الروابط العائلية والعواطف وأنه الموكل بصيانة الوفاق والوثام فى العالم المادى . قبل بلوطرخوس القيام بهذه الرحلة المقدسة مع امرأته مصطحباً جماعة من أصدقائه وقدموا الضحية على مذبح الآله وعادوا بقلوب مطمئنة تحمل الحب والسلام ، وهما خير ما يوحى به الى الناس .

ان هذا لا يتفق وما رواه « أولوجل » من أن بلوطرخوس كان يؤدب خادمه بضربه بقضيب من حديد ، فرأى الخادم وهو يتوجع من شدة الألم أن يعيب على سيده القسوة ، فقال أن هذا الاساءة القاسية تدل على قلة ما فى نفسه من حب الفاسفة ، وجهيه بهذا كرم المؤلف البديع الذى كتبه ضد الغضب ، وأنه نسيه . فأجابه بلوطرخوس فى هدوء وسكينة أحسبني غاضباً لأننى أعاقبك ؟ هل تبدو على وجهي علامات الغضب ؟ هل بدرت منى كبة مخجلة ؟ هذه علامات الغضب الذى نهيت عنه الحكماء . ثم التفت الفيلسوف الى الجلال وقال له . ( على رواية أولوجل ) « استمر فى عملك لا يعرفك حديثى مع هذا الرجل . » ويقول لنا بلوطرخوس نفسه فى ذلك أنه لم يكن على شيء من ذلك الصبر ولا هذه الحدة . قال « حدث مراراً أنى غضبت على عبيدى ولكنى رأيت أخيراً أن الأليق بى هو أن أدع تسامى يفسد أخلاقهم ، لا أن أدع الغضب يفسد أخلاقى ، وأنا أعالج اصلاحهم » .

وحرى بنا أن نعتقد صدق هذا القول الذى يتفق تمام الاتفاق مع طبيعة حسن الرعاية والخلق السامى الذى يبدو جلياً فى مؤلفات بلوطرخوس حتى يشمل الحيوانات . وهى يستطيع من يقول أنى لأرضى أبداً أن أبيع ثوراً هرم فى خدمتى ، أن يهزأ بتعذيب عبد ؟

كان بلوطرخوس شديد الاهتمام بشؤون وطنه ، شديد الغيرة على مابقى لمواطنيه من ظل الحرية فى عهد السيادة الرومانية . وكان يدعوهم الى تسوية مشاكلهم أمام حكاهم الوطنيين دون أن يلجوا الى القنصل أو الحاكم الرومانى . وليكون لهم قدوة صالحة ، تولى بنفسه جميع شؤون بلده ( شارونه ) التى تركها روما للاهالى .

لم يكن حاكماً يشغل أرق مناصب المدينة لا غير، بل بقي زمناً طويلاً يؤدي عملاً حقيراً بكل ماله من دقة والشرح. وكانت ذلك رقابة عمل عام يوجب عليه قياس الترميد وقيد ما يقدم إليه من الاحجار. وهذا لا يتفق مع ما زعمه بعض القدماء من أن بلوطرخوس نال شرف تعيينه قنصلاً في عهد تراجانوس. يكذب سويداس راوى هذا الخبر، أمران: الأول عدم ورود ما يدل عليه في صحف التاريخ. والثاني: ما هو معروف من عادات الرومانيين.

وروى آخر أنه كان معلماً لتراجانوس وايدست هذالرواية وأصدق مما تقدمها. وغاية ما حدث أنه أهدى الى هذا الأمير مؤلفاً. ولكن بلوطرخوس تولى على ما يظهر منصب كاهن أبولون عدة سنوات وقد وردت في أحد بحوثه العبارة الآتية « تعلم أنه قد مضت عدة سنوات وأنا أمارس ككهانة أبولون، ولا أظنك تقول لى كفى يا بلوطرخوس، لقد مارست الصلاة كثيراً وطفقت بالموكب المقدس كثيراً وأدريت حفلات الرقص حول المذبح كثيراً وقد أصبحت شيخاً كبير السن وقد حان الوقت لتخام عن رأسك التاج لتقدمك في العمر» وقد انضم بلوطرخوس وزوجته الى « أخوية باكوس » وهى اجتماع سرى كانوا يدرسون فيه تعاليم الاعتقاد بخلود النفس وثواب الآخرة وعقابها.

لا نعلم بالضبط تاريخ وفاة بلوطرخوس. ومن المحتمل أن يكون قد مارس الفلسفة حتى كبر كما يؤخذ من مؤلفاته وما تضمنته من النكات إنا لنتمثله شيخاً امتلاً أياماً وخبرة، وقف من قومه موقف المعلم الخبير يروى لهم أخبار اليونان القديمة وأعمال أبطالها. يتدفق من فمه ذلك البيان الغزير وتحيط به تلك الهيبة الوقور وتعلو وجهه تلك السداجة الرقيقة التى تعجب بها كلما تلونا مؤلفاته.

ان مؤلفات بلوطرخوس بسعته واختلاف موضوعاتها لا كبر مسوعة للحوادث والذكريات والأفكار التى وصلت اليها عن العصور الخالية. لانها جاءت في عصر انحطاط علمى وفنى. الا أنها جاءت عظيمة في أسلوبها وعباراتها يأنفس مطالعها ببلاغة اليونان القديمة ويتسمع بيانها في كل عصر من العصور فلا تختلف عنها

عبارة بلوطرخوس الابما طبعت به عباراته من السذاجة والرقّة والجودة ، اذ كان خياله يحمله الى عصر كل من الاشخاص والاشياء يحدثك عنه

لا نقول أن جميع مؤلفات بلوطرخوس في مستو واحد من حيث الفن والموضوع . ان من مؤلفاته الأدبية ما لا يستحق الذكر وليس به سوى فلسفة عامية . وكان هذا أثر الشباب أو السفطة التي أطالت معه أجل العيوب الى سن الكبر . على أنا اذا رجعنا الى زمن تأليفها علمنا أنه لم يكن ليكتب ما كتب لو لم يكن على شيء كثير من المهارة والذوق السليم ، نهض به عن الاسفاف الذي كان عاماً حينذاك . هذا عدا ما كان مطبوعاً عليه من الصفاء الطبيعي والتزام الحقيقة . ولا جدال في أن أجل مباحثه لم يعد في جوهره الفلسفة اليونانية ولم يعمل بها سوى أن تلخصها مع فضائه في اجادة صياغتها وأحكام سبكها وطبعها بطابعه النفسى ، حتى جاء ما نسقه منها غريباً في بابه .

لئن كانت مؤلفاته الأدبية لا تنطوى على شيء مما تسمو اليه تعاليم الرواقين ولا خيال أفلاطون وحماسته ، فانها تملأ النفس شجاعة واقداماً على العمل ، إذ تستند الى الوقائع ، يزينها تصوير متقن وتشبيه حتى يخاطب القلب والعقل معاً . ولقد سما بلوطرخوس بمحاضراته الصغيرة الى مقام المؤلفات القيمة التي كانت نواة صالحة لأعظم الكتب ، كما كان بحثه في التربية أكبر معين لروسو فيما احتواه كتابه الشهير « أميل » من الآراء السامية والعبارات البليغة . لم يرد في مؤلفات بلوطرخوس الأدبية على وفرتها ذكر المسيحية . على أن « بلينيوس » يقول انها كانت في ذلك الوقت قد انتشرت في اقليم « بونت » المجاور لليونان حيث أقام كثير من المسيحيين ، وكانت المسيحية قد نفدت من زمن بعيد الى أثينا وغيرها من أحط بقاع اليونان مدنية

ولقد أثار الدين المسيحي في روما ذلك الاضطهاد الفظيع الذي أشار اليه تاسيتوس في غير اهتمام . على أن اشارته جاءت شهادة صريحة . لان دومتيانوس الذي أشتدت قسوته أثناء اقامة بلوطرخوس في ايطاليا على الفلاسفة ، أهلك سرا كثيراً من تلاميذ الدين الجديد . لان الاقتناع القوى والایمان الذي يثير الحمية يقضيان

• مضاجع الظالمين • ان الفيلسوف أمونيوس الذى تلقى بلوطرخوس عنه العلم ، ولد بالاسكندرية وهى موئل المسيحية . فذا لم يكن قد اعتنقها فهو على الاقل مضطاع باسرارها ومن المدهش أن بلوطرخوس الذى كان يعنى تلك العناية الدقيقة بأخلاق الناس وأرامهم لم يأت بكلمة عن دين تكلم عنه لوسيانوس بعد سنوات بتلك الابهجة المرة التى تشعر بغيرة وحسد السوفسطائين الذين قضت عليهم تلك السلطة الجديدة . ( سلطة المسيحية )

فهل كان بلوطرخوس يجهل هذه الحوادث وهى على مقربة منه ؟  
لقد أشار العالم الاخلاقى الكبير « سنيكا » اشارة غير مقتضبة الى ما أذاق المسيحيون من عذاب . فلم يلاحظ بلوطرخوس شيئاً من ذلك مع أنه كتب بعد ذلك بثلاثين سنة ؟ لنا فى حياة فيلسوف شارونة جواب ما نتسائل عنه • لقد عرفناه شديداً حرص على اخلاق اليونان القديمة وأدابهم وكان والده وثنياً تقيماً عالماً بالاسرار القدسية ، وكان كثير العناية بشعراء اليونان وفلاسفتهم وعظماهم وكان يؤدى بكل دقة وظيفته الكهانة ولم يزر يونان آسيا ولا سورية ، واطمان الى سكناً بيوتياً حيث كان للدين من سداجة الاخلاق ما يصونه • فلا موضع للدهشة اذا رأيناه قليل الاهتمام بدين جديد يحرص أصحابه على كتمان تعاليمه وكتبه المقدسة • وكأنه لم يكن يعلم شيئاً كثيراً عن اليهود ، فلم يذكرهم الا بالسخرية من حرصهم على يوم الراحة ( السبت ) ولم يذكر عن دينهم سوى خرافة شائعة رواها تاسيتوس • فهو بطبيعته وميوله رجل العصور الماضية ينظر الى العادات القديمة بنظر الرقيب الساذج . لهذا لم يعبأ بلوطرخوس بذلك الحادث الدينى الخطير الذى انتشر خفية فى جميع أنحاء العالم وهو الحادث الذى نظر اليه بلينيوس وتاسيتوس بذلك الآباء الرومان المتراوح بين السخرية والقسوة •

لا شك فى أن مؤلفات بلوطرخوس الفلسفية خلاصة عظيمة لجميع ضروب الحكمة القديمة . ولكن مؤلفه فى سير الغذاء له فوق ذلك ميزة جلى • انه يصور الطبيعة الانسانية بسداجة بلغت غاية الابداع فترى فى أسلوبه عامة شيئاً من آثار ذلك البيان الخلاب المستعار من مدارس السوفسطائيين فى بلاد اليونان وروما

أطلق بلوطرخوس على مؤلفه العظيم اسم المقابلات أو الموازنة بين سير العظماء. أراد بذلك تدوين موجز من سيرة عظيم يوناني يتلوه آخر من الرومان، ثم يقابل بين الرجلين ويزنها بميزان واحد. أفلا يذكرنا هذا التعسف بنظريات المدارس الخيالية وتلاعب أصحاب البيان؟

وهل إنجد في التاريخ تلك العلاقات أو أوجه الشبه التي تقتضيها القرينة الخطائية لتوازن بين خطي عظيمين؟ ألا تمتنع علينا الدقة اللازمة إذا حاولنا التقريب بين طائفة كبيرة من العظماء؟ ألا يكون الكاتب مضطراً للاختلاق ليجد سبيلاً للمشابهة أو التكلف لإظهار الخلاف؟ وهل يمكن ألا يقع الكاتب في التكرار والترديد متى يعتمد رغم التاريخ إيجاد مشابهاً مستمرة عند ما يحشر عظماء شعبين في دائرة ضيقة كهذه؟ قد يكون المبرر الوحيد الذي حمل بلوطرخوس على ارتكاب هذه المشقة، هو أنه يوناني يشعر بأن وطنه تحت سيادة الرومانيين فوجد من العزاء أن يحدد مجد الفاتحين بالمقابلة بين كل عظيم منهم وبين آخر ممن أنبتهم أرض وطنه

لقد عد المدققون من العلماء على بلوطرخوس كمؤرخ غلطات كثيرة وانهموه لا بل أثبتوا عليه اهمالاً وخطأً في الوقائع والأسماء والتواريخ كما اثبتوا عليه التناقض في أقواله وعدوا عليه أخطاء يراها الناقد المدقق مما يشين المؤرخ. ولكنها لا تنفي شيئاً من نبوغه وعبقريته

لقد اعترف بلوطرخوس رغم كثرة ما كتبه عن روما أنه لا يجيد اللغة اللاتينية. ومن المعلوم أن التدقيق التاريخي في العصور الخالية كان كثير العناء صعباً لا ضابط له. أما الآن فانا بفضل المطابع والصبر الطويل قد تيسر لنا جمع النصوص والآثار فأصلحنا أخطاء القدماء أنفسهم. ومع كل فإى خطر من قول بلوطرخوس أن تولي ابنة شيشرون لم تزوج سوى مرتين وأنه نسي كراسيب؟ وأي خطر من خطئه في اسم شعب أو بلد أو أنه حرف بعض عبارات «تيت ليف». إن هذه الاستكشافات العلمية لا تمس جمال ما رواه المؤرخ. قد يدهشنا تناقضه في أقواله إذ يروي لنا في سيرتي عظيمين قصة واحدة بأسماء واحوال

٣ — العظماء



مختلفة متباينة . لا يؤخذ من هذا سوى أن الكاتب كان خطايا أكثر منه نقاداً . وانه كان أكثر اهتماماً بالتصوير النفسى ودروس الحكمة منه بالتفصيلات ودقائقها . على أن هذا الأسلوب كان شائعاً بين جميع كتاب تلك العصور .

لا يسعنا بالرغم من كل هذه العيوب سوى الاعتراف بأن ما كتبه بلوطرخوس عن الغطاء هو من اكبر الآثار العلمية حتى من حيث التدقيقات التاريخية وانه أثمن ما اهتدى اليه الباحثون من الآداب القديمة التى وصلت اليها مبتورة . فلولا بلوطرخوس ما عرفنا كثيراً من الحوادث ولا أسماء الكتاب . ولقد امتاز عدا ما كتبه عن غطاء اليونان بدقة وتوسع بأنه دون لغطاء الرومانيين كثيراً من الحوادث التى لم يأت بها سواه . لقد ذكر كثيراً من أقوال « تيت ليف » التى أبادها الزمن .

وكثيراً من المؤلفات اللاتينية التى قرأها وانفرد بنقلها اليها مثل خطب تيرىوس غراكوس ورسائل كورنلى ابنته ومذكرات سيللا ومذكرات أغسطس الخ . الخ .

أبى النقاد الذين استدرکوا على بلوطرخوس أخطاءه أن يعرفوا له فضله منكرين

عليه ما انطوت عليه رواياته من البلاغة مدعين عليه أنه مؤلف بمعنى ( ناقل

ماهر ) لا مصور بليغ ، وانه نسخ أجمل عباراته عن غيره من المؤرخين . وهذا النقد

غير وجهه . فقد رأينا بلوطرخوس عند ما تعرض له حاجة الى التمشى مع تيوسيديد

أو ديودوروس أو بوليبيوس أو ترجمة شىء عن تيت ليف وسالوست ، يطبع ذلك

بطابعه الشخصى فمن أقواله فى سيرة تيسياس أنه يأسف لاضطراره الى معارضة

تيوسيديد وان يبدأ عملاً سبقه اليه ذلك الاستاذ العظيم . فلنعرف لبلوطرخوس

مجده فى الابداع المائل حتى فى أوضاع قصصه ومزجه بين السمو والسذاجة وفاق

مواهبه وما تلقاه من العلوم الخطايبية وسذاجة أخلاقه وعاداته الشخصية . كم اكبر

العلماء ما أوتى بلوطرخوس من السحر والبيان فى سير الغطاء وكم أفاضوا فى القول بين

التحديد والتحليل فى تلك القوة العجيبة . ولقد قال توماس أنه موتى اليونانيين

وانه لم يبلغ شأوه فى نبوغه وجرأته فى ابراز افكاره وتخيل عباراته التى لم يسم

اليها أحد الا قليلا من الشعراء

هل هذا الحكم عادل ؟ الا إن بلوطرخوس الذى سكنت ولانت حدة



لهجته تحت قلم أميوس الساذج المعتضب. قد صحت كلماته الى أرقى درجات النبوغ والتخيل الانشائي . أية صورة أعظم وأى تمثيل حيوى أبلغ من صورة كور يولانوس فى منزل اتليوس أو وداع بروتوس وبورسي وانتصار بول أميليوس ورحلة كليوبطرة على ظهر سيدنيس وذلك المشهد المؤثر الذى تصف فيه كليوبطرة منحية على نافذة القلعة العصماء التى لجأت اليها تجهد نفسها فى التلويح الى الطونينوس المقهور الجريح تجتذبه اليها وهى تنتظره لتموت معه . وكم له من آيات فى الدقة والبلاغة والرصانة الحقيقة بالاعجاب . يضاف الى هذا التصوير البارع بساطة ، تلك التفاصيل الشخصية التى تكشف عن حقيقة الرجل عند وصف الوقائع ، فتبرز أعماق دخائله وتفضح صفائره

قد تكون هذه القدرة التى يعترف بها الجميع لبلوطرخوس سبباً لما وقع فيه البعض من غمط قدره وانكار روعة أسلوبه وبلاغة عبارته . على أن ما طبع عليه من البيان وتوخى الحقيقة هو الذى جعل له ذلك النفوذ العظيم على جميع أصحاب التخيلات الحادة . وهل تحتاج فى ذلك الى أكثر من ذكر شكسبير الذى لم تستمد قريحته الوقادة الحرة من أحد خيرا من بلوطرخوس المدين له بأعظم وأجل مشاهدته فى روايات كور يولانوس ويوليوس قيصر ؟ وهل خلا موتنى ومونتسكيو وروسو من أثر بلوطرخوس ؟ لقد تأثروا بأدبه ومشوا على ضوء ناره . ان براعة أسلوبه واختياره أجمل المواضع شأناً من حيث التخيل والتفكير جعلاً مؤلفاته التاريخية موضع اعجاب الجميع وعنايتهم . ولقد حذق تصوير الانسان وابراز الطبيعة الانسانية فى أعظم صورها وأجل أعمالها . ان بيانها لا يزول أبداً ، لأنه يلام كل سن وكل حالة من حالات الحياة تليد الفتى والشيخ ، تبعث الحماسة وتعلمنا الذوق السليم

## تينزيوس THÉSÉE

قد يقع عهد تينزيوس بين عامي ١٢٤٩ - ١١٩٩ ق.م

جرت عادة المؤرخين باصديقي سوسيوس سينسيون (١) عند وصفهم الكرة الارضية أن يحذفوا من أطراف خريطهم البلاد التي لا يعرفون شيئاً عنها، ويبررون عملهم هذا بقولهم « وبعد هذه الحدود رمال قاحلة تسكنها الوحوش الضارية » أو ( أنها مستنقع يغشاها الظلام ) أو ( صحراوات سيّتي ) أو بحر تغطيه الثلوج » واني لمقتف آثارهم فيما اكتب في العطاء والموازنة بينهم . فبعد أن أمر بالازمنة التي تسمح الظروف بالكلام عنها، حيث التاريخ يستند الى الوقائع ، أقول عن العصور الخالية - « بعد هذه الحدود بلاد المعجزات والمآسي التي يسكنها الشعراء ورجال الخرافات حيث لا حقيقة ولا سند . »

لقد صرح عزمي بعد ما كتبت عن الملك ليكورغوس المشرع ونيوما، على أن اكتب عن رومولوس، ولكنني وقفت متمثلاً قول آشيل « أتيارز هذا؟ » من يستطيع مبارزة شجاع كهذا؟ ومن فيه الكفاية لنزاله . . . »

لاح لي أن مؤسس مدينة أثينا الجميلة الشهيرة حقيق بأن يكون له قرناً وأن لا بأس بالموازنة بينه وبين منشيء روما المجيدة . راجياً أن أوفق الى اخراج الخرافى من تلك الحياة وأميز جوانب الحقيقة وان أفرغ عليها الصبغة التاريخية فاذا جاءت بعد ذلك غير موضع للتصديق أو خانتني الحقيقة ، فرجائي الى القراء أن يشملوني بصفحهم وأن يقابلوا هذه الرواية العتيقة بتسامحهم .

رأيت تينزيوس ورومولوس متشابهين في غير موضع، ولد كلاهما خفية من زوج سرى، وعرف بأنه من أبناء الآلهة :

« كل منا يعرفهما، كلاهما شجاع قدير » (٢)

جهداً بين القوة والحكمة وإنشاء أعظم مدينتين في العالم روما وأثينا . انشأ

(١) يدعو اللاينيون سوسيوس ، تولى منصب القنصاية غير مرة في عهد ترايانوس

ومرة في عهد نيرون

(١) من مقطعات نشيد السبعة امام طيبة (اليونانية)

الأولى روملوس، وأوجد الآخر أهالي الثانية . اختطف كل منهما النساء بلا فرق بينهما وعرفا نكد العيش والاضطرابات المنزلية وانتهت بهما الحال الى أن جلبا على نفسيهما بغض مواظبيهما، على ما جاء في الأحاديث التي وإن كانت خرافية، فإنها لا تخلو من حقيقة .

يمتد نسب تيزيوس من جهة والده الى أريخة واللاتختيين (الاهالي الاصليين) ومن جهة والدته الى يملوت الذي كان أقدر ملوك بيلوبونيز وأوسعهم شهرة، لا من حيث ثروته فقط، بل من حيث كثرة أولاده . وقد زوجهم كثيرا من بنات أعيان البلاد، وبث أبناءه في حكومة المدن . وقد أنشأ بتيوس جد تيزيوس لأمه مدينة ترازين (١) واشتهر بالعقل والحكمة . وكانت الحكمة المحترمة حينذاك على ما يظهر مجموعة مواظب أدبية من النوع الذي اشتهرت به قصائد هز يود في عبر الحوادث والايام . ومما ينسب الى بتيوس الحكمة الآتية « قدر خدمات صديقك حق قدرها »

وقد نسب أرسطو هذا القول اليه . ودلنا أوريبيد بقوله ان هيبوليت تلميذ القديس بتيوس، على مقدار ما كان له من الشهرة وبعد الصيت لم يرزق ايجة ولدًا . وكان شديد الشوق الى نسل . فاستوحيت له الكاهنة (بتيا (٢) فجاءها الوحي ينهيه عن الاتصال بامرأة قبل عودته الى آثينا فالتبس عليه معناه وأفضى به الى بتيوس عند مروره بمدينة ترازين وهذا نصه « أيها التقدير مخضع الشعوب لا تحل الساق الذي يخرج من الزق (القربة) قبل العودة الى آثينا . » فتأوله بتيوس على ما رأى، لأنه جمع بعد ذلك اعتقاداً أو بعد نظره، بين أتره، وبين ايجة، التي علم هذا فيما بعد أنها ابنة بتيوس . ثم داخله الشك في أنها

(١) مدينه في الاجوليد من بيلوبونيز

(٢) كاهنة الآله أبولون في دافي كان يتعين أن تكون عذراء ثم أريد أن تكون في الحسب من عمرها وكانت تؤخذ من فقيرات دلفي من أحط أهالي نسبا، جاهلة قليلة العقل وكانت قبل النطق بالوحي تصوم ثلاثة أيام تمضغ ورق الغار ثم يؤتى بها فتجلس على أثنيه . وقد ذات (ثلاث قوائم) تتصاعد منه أنجرة كريمة نكتة شديدة فيتولاها اضطراب شديد يعتبرونه من عمل الروح الألهي ويتلقى كهنة الهيكل كلماتها بحرص وهم لا ينفكون عن تهديدها وأذاها كلما تأخر الوحي عن النطق ثم يأخذون هذه الكلمات ويعبثونها شعرا من أقبج الاشعار يلتزمون فيه الضموض

حبل ، فترك سيفه وغطاء قدمه ( نزلت ) وأخفاها تحت حجر ثقيل في حفرة ولم يطلع على سره سوى أنثى وحدها وأوصاها إذا ولدت ابناً وبلغ أشده ، وكان من القوة بحيث يستطيع رفع الحجر وأخذ وديعة والده ان ترسله اليه حاملاً شارات التعارف هذه . ولا تهاجم أحداً بذلك وأن تحرص على هذا السر الخرص كله . لأنه كان يخشى مكر البلاتيديين ( أبناء بللاسى الخمسين ) (١) الذين كانوا يحتقرونه لأنه لم يخلف نسلاً سافر ايجة ووضعت أنثى ابناً يقول البعض أنه دعى لوقته تيزيوس ( كلمة يونانية معناها وضع أو اعتراف بابن ) إشارة الى شارات التعارف التي تركها والده ويقول البعض انه دعى بهذا الاسم في اثينا بعد أن اعترف به ايجة ابناً له . تلقى تيزيوس العلم في منزل بتيوس عن حاكم يدعى ضونيداس يقدم له اليونانيون كبشاً عشية الاعياد التيزية علامة احترام وذكرى ، هو أولى بها من سيلانيوس وبارهازيوس حفار تيزيوس ومثاله

كان لا يزال من عاداتهم الذهاب الى دلفي عند تجاوز سن الطفولة يقدمون للآله ابولون باكورة الشعر . ذهب تيزيوس ولا يزال مكان الحفلة معروفة باسمه ( تيزيا ) ولكنه لم يخلق سوى الناصية كما كان يفعل الاوييون (٢) على مارواه هوميروس وهذا سبب تسميتهم قص الشعر على هذه الطريقة ( التيزية ) وكان الاوييون أول من اتخذها ، لم يقلدوا فيها العرب كما زعم البعض ولا الميزيين . فقد كانوا شعباً حربياً يأخذون العدو عن كذب وقد برعوا في القتال اليدوى كما شهد بذلك ارخيلوكوس (٣) في اشعاره التالية

« ليست عندهم رماحة ولا جيوش عديدة »

« سلاحهم المقلاع عند ما يدبر » مارس »

« رعى القتال في السهل »

(١) كان بالاس شقيق ايجة وكان ابناؤه يعتبرون انفسهم ورثة عرش اثينا الشرعيين . وكانوا

يرقبون موت عمهم بذهاب الصبر

(٢) أهالى جزيرة اويا من أهل تراسى يدعواهم هوميروس أصحاب الشعور الخلفية

(٣) شاعر ولد في باروس سنة ٧٠٠ ق م وهو مخترع الوزن المعروف باسم « دسب »

« والسيف عند اشتداد الملحمة »

« تلك هي الحرب التي برع فيها »

« المحاربون أصحاب أوبا »

كانوا يقصون نواصيهم حتى لا يمسك بها العدو ويقال ان هذا السبب هو الذي دعا اسكندر المقدوني أن يأمر قواده بقص لحى المقدونيين والحقبة أنه من السهل أن يمسك بها المحارب عند القتال .

كتمت اتره زمناً طويلاً أصل تيزيوس وأشاع بتيوس أنه ابن بتيون الآله الحامي لمدينتهم والذي يقدمون اليه با كورة أشعارهم . وكانت شارته على عاتقهم ( نقودهم ) ولما بلغ تيزيوس أشده ظهرت عليه مخايل القوة البدنية والشجاعة والشهامة جامعاً بين الحكمة والعقل فأخذته اتره الى مكان الحجر وأفشت اليه سر مولده وقالت له خذ شارات التعارف التي تركها والدك ونصحت له أن يرحل الى اثينا عن طريق البحر . رفع تيزيوس الحجر بسهولة ولكنه أبى أن يركب البحر الى اثينا بالرغم من إلحاح جده ووالدته . وقد ألحاً عليه في ذلك لأن طريق البر كان محفوفاً بالخطر لكثرة من كان يسكنه من اللصوص وقطاع الطرق

أنبت ذلك العصر كثيراً من الأشداء الاقوياء القادرين الذين لا يقهرون لبساتهم وشدة مراسهم ولكنهم بدل أن يستخدموا هذه الميزات في عمل صالح قصروا جهدهم على البطش والفتك والغدر والدعارة لم يستخدموا تفوقهم هذا الا لاشباع شهواتهم ونوراتهم ويستبدون ويظلمون ويقضون على كل ماتقع عليهم أيدهم مقتنعين أن اكثر الناس لا يمدح الحياء والعدل والانسانية، الا لأنهم لا يجرأون على ارتكاب الظلم أو يخشون وقوعه على رؤوسهم . وكانوا يعتقدون أن هذه الفضائل لم تخلق للذين يمتازون على سواهم بتفوق محقق

قد أهلك هرقل في طوافه كثيراً من هؤلاء اللصوص وأوقع الرعب في نفوس الآخرين فكانوا يهربون عند دئوه منهم غير مجترئين على الظهور أمامه فصار هؤلاء الاوغاد موضع سخرية . ولما نكب هرقل بقتله ايفيتوس انسحب الى ليديا وبقي هناك زمناً طويلاً في خدمة أومفال كفارة عن جريمته فتمتعت ليديا

بالسلام والطمانينة ولكن اللصوصية عادت الى الانتشار في أنحاء اليونان وطمع  
 سبيلها من كل جانب اذ أمنت شر من يقف طغيانها . لهذا كان من الخطر أن  
 يسير الانسان من بيلوبونيز الى أثينا براً ولكي يقنع بتيوس حفيده تيزيوس بالسفر  
 بحراً وصف له كلاً من أولئك اللصوص وما هم عليه من بطش وقسوة على كل غريب  
 ولكن قلب تيزيوس كان قد أبلع من زمن بعيد بالشهرة الذائعة التي نالها هرقل  
 موضع إعجابه وكان يقبل بكلمته على سماع كل حديث عنه ووصف لشخصه لا سيما  
 اقوال من رأوه وسمعوا حديثه وشهدوا مواقفه فكانت تبدو عليه الانفعالات  
 النفسية التي أحسها من عندئذ يستوكل فدفعته الى القول ( بأن انتصارات (أ) كاليل)  
 ملتيادس تحرمه النوم . ) كذلك كان تيزيوس يحلم في نومه بمحلات هرقل وبحس الغيرة  
 والرغبة الشديدة في الاقتداء به والقيام بمثل أعماله . على انه كان من ذوي قربى  
 هرقل . لانهما أبنا ابنا عمومة . ذلك ان اتره ابنة بتيوس والكمين ابنة ليسيدس  
 وهذه شقيقة بتيوس وهي مثله ابنة هيودامي وبلوبس . لهذا كان يرى من العار  
 الفاضح أن يقتفى هرقل آثار اللصوص يطهر منهم البر والبحر ، وان يحاذر هو خوض  
 قتال يعرض له في سبيله . وكان يرى في هذا ما ينجل الآله الذي ينسبونه اليه .  
 ويحججه أن يقدم لوالده الحقيقي سيفاً لم يصطبغ بالدماء وليس به أثر من شرف القتال .  
 سافر على عزم ثابت الا يهاجم احداً بل يدفع بالقوة كل اعتداء . فاعترضه ،  
 وهو يجتاز ارض ابيدور ، سفاح يدعى بيريفتس لا يحمل سوى زقلة (١)  
 دعى باسمها ( الزقلة ) فاوقفه وسد عليه الطريق ، قاتله تيزيوس فقتله وقدره باستيلائه  
 على الزقلة وجعلها سلاحه يحملها على الدوام كما كان هرقل يلبس جلد الاسد فيرى  
 الناس فيه هيئة الوحش الضاري الذي قتله . كذلك رأى تيزيوس انه اغتصب الزقلة  
 وأنها أصبحت بين يديه سلاحاً لا يقل

واهلك في خليج كورنث سينيس ثاني اشجار الصنوبر ( سمي بذلك لأنه  
 ثنى شجرتي صنوبر وربط في كل منهما ذراع اسير وقع في قبضته ثم اطلق

(١) عصا ضخمة متينة ملتوية أحد طرأنها كانت سلاحاً في جميع العصور الحالية وأشهرها  
 عصا أوزقلة هرقل

الشجرتين فتمزق جسم الاسير ) اهلكه تيزيوس على طريقته التي اهلك بها اسيره غير متعمداظهار القسوة، بل اراد ان يثبت ان الفضيلة تملو فنون الخبراء . كان لهذا الاصل ابنة جميلة تدعى بيريجين، رأت والدها ميتاً فهربت الى الادغال ، وتعتقبها تيزيوس في الغابات الكثيفة الملاي بالاشواك حيث القت بنفسها تصلى في سذاجة الاطفال لتلك الاشواك قائلة، لئن حتمها من انظار تيزيوس فلن تقطعها ولن تحرقها . ولكن تيزيوس ادركها ونادى بصوت جهودي واعد اياها الا يمسيها بسوء، وان يحسن معاملتها . فاطمأنت الى وعده وخرجت من الغابة وقابله وقد اولدها ابنا دعى ميلانيب، ثم خلعهما على دايونة ابن ارتيوس من ايشالي، ثم خلف ميلانيب ولداً دعاه يوكوس وهو الذي ذهب مع اويوس لانشاء مستعمرة في كاري ومن اجل ذلك كان اليوكوسيون ( نسبة الى والدهم ) لا يحرقون البرموع ( الهليون ) بل يكرمونه على نوع من العبادة

كان في كروميون خنزيرة يقال لها فايلا وهي وحش ضار شديد القوة أثبت شهادة تيزيوس عليه أن يتجنبها في حين كان ذلك في وسعه، فتربص بها وقتلها حتى لا يقال انه لا يخوض القتال الا لدفع ضرر، اعتقادا منه ان البطل لا يقاتل الناس الا ليدفع غائلة الاشرار، ولكن من الواجب عليه ان يهيج الوحوش الضارية ويعرض حياته للاخطار . يزعم البعض ان فايلا هذه كانت امرأة سفاحه فاجرة دعيت خنزيرة لسوء اخلاقها وتبذلها .

وأهلك تيزيوس عند حدود ميغار ، سيرون ، اذ رمى به من أعلى الصخر الى البحر . و يروى عن هذا القاتك أنه كان يسلب الغرباء وأنه كان يجمع بين غلظة القلب والكبرياء يدعو ضحاياه الى غسل قدمه ويينا هم يغسلونها يرفض الواحد منهم فيلقيه في البحر . ولكن مؤرخي الميغاريين ينكرون ذلك . روى عنهم سيمونيد قولهم أن الميغاريين كانوا يشتغلون بالحروب، وأن سيرون لم يكن قاطع طريق ولا فاجراً عاتياً بل مبيداً للاشرار حامياً للذمار صديق رجال العدل والفضيلة وانهم يقولون في التدايل على ذلك ان ابا كون كان اتقى رجل في اليونان وأن سيشرة السلاميني نال شرف المناصب الدينية في أثينا ، ولا يجبل أحد فضائل يمسلة



وتلامون . وكان سيرون هذا صهر سيشرة وحما أبا كوس وجد بيلة وتلامون أبناء اندايس ابنة سيرون وشاركو . فهل يعقل أن يكون هؤلاء الفضلاء شركاء رجل شرير وأن يعطوه ويأخذوا منه أعز وأثمن ما يذال الانسان ؟ ويقول أولئك المؤرخون أن تيزيوس لم يقتل سيرون في رحلته الاولى إنما قتله بعد ذلك عند ما استولى على اليزيس التي كان يحتاها الميغار يون وطرد حاكمها ديوكلس . هذه هي المتناقضات التي تروى حول هذا الموضوع

ولما بلغ في مسيره اليزيس تغلب على سرسيون الاركدى وقتله ، سار منها الى أريمة التي لا تبعد عنها قتل داماست بتمديده على سريره كما كان يفعل هذا الفاتك بضيوفه واقتداء بهرقل الذي كان يوقع بالمجرمين العذاب الذي أعدوه له . وهكذا اهلك يوزيريس وخنق انتة وقتل سيسنوى في معركة عنيفة وهشم رأس ترمير يوس ، فذهبت فعلته مثلاً ، والظاهر أن ترمير يوس هذا كان يهشم رؤوس المارة بأن يصددها بعنف . فكان تيزيوس يعاقب الاشرار بما كانوا يفعلون ويقضى عليهم بالعذاب الذي كانوا يذيقونه لغيرهم .

ولما وصل الى شواطى سيفيز استقبله رجال من أسرة بناليد بالتحية والترحاب فرجا اليهم أن يطهروه وبعد أن قاموا له بالتقاليد المعروفة أنزلوه ضيفاً في منازلهم . وكانت هذه المرة الاولى التي قوبل فيها بالترحاب . ويقال أنه بلغ أثينا في اليوم الثامن من شهر كرونيوس المعروف الآن بشهر هيكلانيون (١) فوجد الاعمال العمومية مختلة لما كان قائماً في المدينة من الاضطرابات وكانت صحة ايجة معتلة لا اضطراب شؤونه المنزلية وكانت ميعة المنفية من كورنت تعمل الملك بالشفاء من ضعفه بالعقاقير . عرفت هذه المرأة تيزيوس فاضمرت له السوء عزمت على أن تقضى عليه قبل أن يعرفه ايجة . فأقنعت ذلك العجوز وكانت المخاوف تملأ صدره أن يدعو تيزيوس الى وليمة الضيوف حيث يدس له السم . حضر الوليمة على نية الا يبدأ هو بالاعلان عن نفسه لىأتى التعارف من جانب والده وأراد أن يدلّه على نفسه باظهار السيف وهو يقطع اللحم المقدم به . عرفه ايجة وللحال قلب كأس السم ووجه



أسئلة الى تيزيوس ولما أجابه حياه تحية ابنه، ثم اعترف به أمام جميع الاهالى فاستقبلوه فرحين لما عرفوا من قدره. ويقال ان السم انتشر في ذلك الحى الدلفى الذى تحيط به الاسوار الآن حيث كان يسكن ايجة ولا يزال العمود المربع الشرقى للهيكل يعرف حتى اليوم باسم عمود باب ايجة.

كان البلانتيون لا يزالون على أملهم فى الاستيلاء على ملك ايجة متى مات بلانسل فلما علموا أنه نادى بتيزيوس وريثاً له لم يحتملوا أن ايجة الذى تبنا بنديون ولم تكن له صلة بأسرة اريختيد لم يكفه ان ملك دول حياته بل يريد ان يورث تيزيوس الملك من بعده. وما هو الا غر ب مجرمون النسب. فتأهبوا للحرب وقسموا الجيش الى فرقتين ليأخذوا العدو من ناحيتين. تقدمت الفرقة الأولى بقيادة الملك من جهة سفيت. وكنت الاخرى فى جرجتوس، وكان بينهم منادى من انيوز يدعى ليوس افشى الى تيزيوس سر البلانتيين. فلم يضع الوقت سدى بل اسرع فانصب على الفرقة الكامنة وابادها. ولما بلغ خبرها الفرقة التى يقودها باللاس لاذت بالفرار ويقال ان اهالى قرية بالان من ذلك العهد لا يزوجون ولا يتزوجون من الانيوزين، ولا يذكرون فى مناداتهم تلك الكلمات المعروفة « اكويت ليوس » ( اسمع أيها الشعب ) اجتناباً للفظة ليوس اسم ذلك المنادى الخائن .

رأى تيزيوس مرانا لشجاعتهم واكتسابا لعطف الشعب ان يذهب لقتال ثور ماراتون الذى أضر كثيراً بأهالى تيزابول فأخذه حياً. وبعد أن طاف به المدينة قدمه ضحية لابلون دلفى . ولا تخال ما روى عن « هيكاله » والوليمة التى أديتها له خاليا من المأقوفة لأن اهالى الضواحي كانوا يجتمعون فيما مضى ليقدموا الى جيو بتيزالهيكل ضحية يدعونها الهيكلية . يكرمونها بها هيكلية ويدعونها من باب التصغير والتعجب هيكالين . مثل ما فعلت هي عند ما استقبلت تيزيوس وكان اذ ذاك ما زال حدثا. تلك عادة المعجائز اذ يصغرون الاسماء تحبوا وقد اندرت ان تقدم ضحية لجويتر اذا عاد تيزيوس من الحرب منتصراً. ولكنها ماتت قبل عودته فقام تيزيوس حفلة اعترافاً بفضل الضيافة التى لقيها .

هذه رواية فيلوخورس (١) .

وحدث بعد ذلك بقليل ان مندوبي مينوس ( ملك كريت ) جاؤوا يطالبون الالهة الثلاثة بدفع ماتعهم بما تقدمه سنويا . وذلك انه لما قتل اندروجة ابن مينوس غيلة في الاتيك اضرم مينوس على الآثينيين حربا شعواء . وفي ذلك الوقت صبت الآلهة على البلاد شر الويلات من عقم ومرض ونضوب انهار فقال وحى ابولون لن يهدأ غضب الآلهة حتى يسترضى مينوس . فأرسلوا اليه المنادين يسألونه السلام فرضى على ان يرسل اليه الآثينيون مدة تسع سنوات سبعة أبناء وسبع بنات كل سنة . والمؤرخون على اتفاق في ذلك : ويقال في أقطع الروايات أن هؤلاء الابناء متى وصلوا الى كريت كان نصيبهم ان يزج بهم في اللابيرنت ( البرباء او التيه ) حيث يفترسهم مينوتور . او انهم يموتون ضالين في ذلك التيه وهم يحاولون عبثا الاهتداء إلى مخرج . اما مينوتور فيقول عنه اوريبيد انه « جسم مزدوج ومخلوق فظيع » ويقول ايضا « انه مزيج من طبيعتين ثور وانسان . » ولكن فيلوخورنوس يقول ان الكريتين ينكرون ذلك ويقولون ان التيه ليس سوى سجن لامشقة فيه سوى استحالة الخروج منه . يضيفون الى ذلك ان مينوس اقام احياء لذكري ابنه العابا رياضية تكون مكافأة الفائزين فيها اولئك الابناء الذين يكونون في التيه . وكان الفائز في العهد الاول لتلك الالعاب أحد ندماء الملك وهو رجل يدعى توروس قاصى القلب فظ الاخلاق سىء الطبع يكثر الاساءة الى فتیان أثينا . وينكر أرسطو في مؤلفه جمهورية البوتيين أن مينوس كان يقتل أولئك الفتیان، ويقول إنهم كانوا يقضون حياتهم في الخدمة مستأجرين. وحدث أن الكريتيين ذهبوا وفاء لنذر الأبقار من أبناءهم الى دلفي فانضمت اليهم سلالات الاسرى الآثينيين فغادروا المدينة جميعا ولكنهم لم يجدوا في دلفي ما يقوم بأودهم فذهبوا الى ايطاليا وأقاموا فرق قمة يابيج، ثم عادوا الى تراقيا ودعوا أنفسهم بوثيين. ومن أجل هذا نخم بناتهم احدى أغانيهم الدينية بقولهن : « لنعد الى اثينا » .

من الخطر أن يعرض الإنسان لبفض طائفة تعرف صناعة الكلام وتحقق فنونه. فكم شنت المسارح على مينوس . ولم يغن عنه قول هزيود « انه أكبر الملوك » ولا قول هوميروس « انه نديم جوبتير » فقد تغلبت عليه حملة الشعراء وصبوا على رأسه من أعلى مسارحهم ألوان الهوان وسجلوا عليه القسوة. ومما قلوا فيه إن مينوس مشرح الجحيم ولم يكن رادامنت سوى منفذ لأوامر مينوس جاء الموعد الثالث لاداء الغرامة ولزم عند ذلك اجراء الاقتراع عن آباء الاسر ذوى أولاد. وكان هذا مشار لتدمير الاهالى ضد ايجة يتبعونه بأنه علامة هذالكبة وهو وحده الذى لا يناله نصيبه من الجزاء، وقد نزل عن تاجه لابن غير شرعى واندلا يعنيه حرمانهم من أبنائهم الشرعيين . آلمت هذالكبة نفس تيزيوس فاعتزم مشاطرة الاهالى نصيبهم فى هذه البلية. فقدم نفسه مختاراً للذهاب بلا اقتراع ، فأعجب الآثينيون بشهامته واكسبه الاخلاص حبهم . وقد ألح ايجة على ابنه ان يعدل عن عزمه واكنه لم يستطع اقناعه لشدة مراسه واخيراً رضى له ذلك ومن ثم اقترع على الآخرين .

اما رواية هيلانيكوس (١) فهي ان انتخاب هؤلاء الشبان لم يكن عن اقتراع بل كان مينوس يختارهم وكان تيزيوس اول من وقع عليه اختياره واشترط ان يقدم الآثينيون المركب التى تقلهم، والا يكون مع الشبان الذين يبحرون سلاح. وان تبطل هذه الغرامة عند موت مينوتور .

كان المعروف حتى الآن انقطاع الامل فى عودة هؤلاء الشبان لذلك كانوا يجعلون شراع المركب عند اقلاعها اسود للدلالة على انهم يسبغون الى موت. وأكد ول كن تيزيوس طيب خاطر والده وملاً قلبه ثقة بتغلبه على مينوتور. فأمر ايجة للبحار بشراع ابيض واوصاه ان ينشر عند عودته اذا عاد ابنه سالماً وان ينشر الشراع الاسود ايدانا بوقوع النكبة . ولكن سيمونيدس يقول ان ذلك الشراع لم يكن ابيضاً بل كان مصبوغاً بعصير زهرة العفص فى لون خضرة الاغصان وتعرف بصبغة الكرمس وهذه علامة النجاة من الموت .

(١) مؤرخ ولد فى ليسوس سنة ٤٩٥ ق . م . ولم يبق من آثاره سوى قطع منشورة

يقول سيمونيديس ان بحار تلك المركب هو امارسياداس فيريكاوس. ولكن فيلوخورس يقول ان سيروس السلافي اهدى الى تيزيوس بحاراً يدعى نوزيثوس ونوتيا يدعى فيا كس، لان الآثينيين لم يكونوا حينذاك يمارسون الملاحة، وسبب هذا الاهداء ان مينيس ابن ابنة سيروس كان بين اوائك الفتيان. يؤيدون هذه الرواية بائصال الذي نصبه تيزيوس تكريماً لنوزتوس وفيها كس في فالير بالقرب من هيكل سيروس، وانهم يقيمون عيد البحارة تكريماً لهما.

ولما تم كل شئ ذهب تيزيوس بزملائه من بريتاناً الى هيكل دلفي وقدم عنهم للاله ابولون غصن الضراعة وهو غصن من الزيتون المقدس عقدت على رأسه شرايط من الصوف الأبيض، وبعد الفراغ من الصلاة البحر يوم ٦ مونيشيون (ابريل - مايو) وجرت لذلك العادة حتى اليوم أن ترسل البنات الى دلفي تضرع للآلهة. ويرغمون ان الآلهة امره وهو في دلفي أن يتخذ فينوس (الزهرة) مرشدة يستعين بها في سفره. كما يزعمون ان العنزة التي كان يقدمها ضحية انقلبت تيساً لذلك لقبت الآلهة ايتراجس (تيسا).

يقول اكثر المؤرخين والشعراء انه بعد نزوله الى كريت اولعت به اريادنة فاعطته. ولما من اناليط وعلمته طريق الخروج من التيه. وانه قتل مينوتور ثم ابحر عائداً مع اريادنة ورفقه. ويقول فيروسيديس ان تيزيوس حطم المراكب الكريتية قبل ابحاره حتى لا يلحق به. ويقول دامون ان توروس قُتِلَ جيرش مينوس قتل أثناء المعركة البحرية التي وقعت بينه وبين تيزيوس عند الشاطئ لمنعه السفر. ولكن فيلوخورس يقول انه عند ما أعلن مينوس الألعاب المعتادة لاقامتها إحياء لذكرى ابيه، شمل الحزين جميع الأهالي لبعثهم توروس واتقصاصه على جميع أقرانه. بعضهم اليهم سوء أخلاقه عندما كانوا يتهمونه به من صلات غير شريفة مع الملكة «باسيفاية» ولهذا اذن مينوس راضياً لتيزيوس في منازلته. ولما كانت عادة الكريتيين أن تحضر النساء هذه الحفلات وشهدت اريادنة القتال فتنت بمجمال هذا الشاب الآثيني وأعجبت بالمبارز الجريء الذي بز جميع أقرانه وقد دهش له مينوس ذاته لاسيما عند ما رأى توروس مغلوباً على أمره يضحك منه الجميع

ساخرين . حينئذ سلم الفتيان الى تيزيوس ورفع عن مدينة أثينا تلك ( المدينة ) التي كانت تقدمها . تناول كليداموس هذا الموضوع من أعلى نواحيه . وذهب فيه مذهباً يخالف الجميع بشروحات مستفيضة . قال انه كانت هناك معاهدة بين جميع شعوب اليونان بحرم تجهيز مركب بأكثر من خمسة بحارة ماعدا جازون ربان المركب أرجوس الذي كان يحوس البحار ليطهرها من القرصان ، وحدث أن ديدال هرب من كريت الى أثينا على زورق فتعقبه مينوس في عدة مركب كبيرة بالرغم مما نصت عليه تلك المعاهدة . فُلقت به العواصف على شواطئ صقلية حيث مات . سخط ابنه ديكاليون على الآثينيين وطالبهم بتسليم ديدال مهدداً بقتل الفتيان الآثينيين ( رهائن مينوس ) اذا أبوا عليه مطالبه . فأجابه تيزيوس في لطف معتدراً بأن ديدال ابن عمه وانه من أسرته لانه ابن ميروب ابنة اريخمة وعمد في الوقت ذاته الى اعداد عمارة بحرية كبيرة أخفى جزءاً منها عند ثيموتادس في أتيكة بعيداً عن الطريق العام . وجزءاً عند بتيوس في ترزين ليجعل التسليح أمراً خفياً . ولما أعد عدته أبحر بقيادة ديدال ومنفي كريت . فلم يشك أحد في غرضه . وتوهمها الكريتيون عمارة أصدقاء . فاستولى تيزيوس على الميناء وأنزل جنوده وأسرع بهاجمة مدينة سنوس ونشب القتال عند أبواب التيه فهلك ايكاليون وجميع رجال حرسه . واذا صارت اريادنة بوفاته صاحبة الملك استرضاه تيزيوس واسترد جميع شبان أثينا وعقدت معاهدة بين الكريتيين والآثينيين وأقسم هؤلاء ألا يعودوا للحرب .

وهناك روايات شتى عن اريادنة ولكنها لاتستند الى حقيقة تاريخية . يزعم البعض أن تيزيوس هجر اريادنة فشنقت نفسها يأساً . ويزعم البعض أنها بعد أن أقلها البحارة الى جزيرة باكوس تزوجت من أوتاروس كاهن باخوس وأن تيزيوس ضحى بها في سبيل غرام جديد .

« كان يهيج الهيام بحب أجلة بنت بابويوس » . ويقول هرياز الميغاري ( وهو كاتب مجهول ) أن ييزاسترات سلب هذا البيت من أسفار هز يود وأضاف اليه ارضاء للآثينيين بيتاً آخر لهو ميروس في مناجاة الأبطال .

« تيزيوس وبيرتيوس من أبناء الآلهة العظام . ( الأوذيسية ) » .  
ويقول غير هولاء أن اريادنة رزقت من تيزيوس ولدين اونوبيون وستافيلوس .  
هذا رأى يون من اهالى جزيرة خيوس (١) الذى يقول عن وطنه :  
« المدينة التى انشاها اونوبيون بن تيزيوس » . وكل ما يروى من هذه الخرافات شائع  
على الالسنه . ولكن المؤرخ بايون (٢) ( من اماتونت ) اذاع عن هذه الحادثة  
رواية تخالف سابقتها . زعم ان العواصف القت تيزيوس على شواطىء قبرص . وكانت  
اريادنة حبلى . معذبة فأنزلها الى البر . وفيما هو يستوثق لمركبه دفعته الرياح الى عرض  
البحر . فأخذت نساء الاهالى اريادنة واجتهدن فى أن يخففن عنها آلام الوحدة  
واطلعنها على خطابات مدعيات ان تيزيوس كتبها اليها . واكثرن من العناية بها عندما  
اخذها الم الوضع . ولكنها ماتت قبل ان تلد فأدين لها واجب الجنائز . عاد تيزيوس  
بعده ذلك فحزن حزناً شديداً لموتها . وقدم الى الاهالى مبلغاً من المال لتقديم ضحية  
أكراماً لذكراها . وأقام لها تمثالين احدهما من الفضة والآخر من النحاس .  
وما زال يحدث فى التقديم التى تقام فى الثانى من شهر جوربيوس ( سبتمبر ) ان  
ينام شاب على سرير يقصاد صراخ وتأوهات المرأة عند المخاض . وما زال يدعو  
اهالى اماتونت الغابة المقدسة التى فيها مقبرة اريادنة غابة اريادنة —  
فينوس الزهراء .

ولكتاب تاكسوس رواية اخرى . إذ يزعمون انه يوجد اثنان باسم مينوس  
واثنتان بأسم اريادنة . الاولى تزوجت باخوس فى ناكوس وهى والدة ستافيلوس  
والاخرى قزيبه العهد ، اختطفها تيزيوس ثم هجرها فجأة الى ناكوس ومعها مرضعها  
كورين وما زال قبرها شاهد . وقد ماتت اريادنة . هذه فى الجزيرة ولا تتفق  
الحفلات التى تقام لهذه مع تلك . الاولى تقام بين البهجة والسرور . والاخرى  
بمازجها الحداد والحزن .

غادر تيزيوس كريت ونزل الى دالوس وبعد ان قدم الضحية الى ابولون وقدم  
تمثال الزهراء الذى اخذ من اريادنة ، رقص مع الشبان الاثينيين رقصة مازال

١ — شاعر تراجيدى عاش فى عهد بركليس . ٢ — لا يعلم زمن وجود هذا الكتاب .

الدالوسيون يمارسونها وهي عبارة عن خطوات متوازنة تتجه وتتقابل في نواح مختلفة على مثال منحنيات وتعريجات التيه. ويقول داسبارك إن الالهالى يدعونها رقصة الكركي . وقد رقص تيزيوس هذه الرقصة حول سيراتون (القرن) وهو هيكل تتألف واجهته اليسرى من قرون الحيوانات، ويقال أيضاً إنه أقام حفلة لعب في دالوس وهناك قدم الى الفائزين سعف النخل . ولما دنا من أتيكا أنسى الفرحة تيزيوس وبجارتها الشراع الابيض الذى من شأنه أن يبشر إيجة بالعودة السعيدة، فبلغ اليأس من إيجة أن رمى بنفسه من أعلى الصخر فمات لوقته .

دخل تيزيوس الميناء وأدى الضحية التى نذرها للآلهة فى فالير عند سفره وأرسل المنادى يبشر المدينة بعودته فلقى المنادى أناساً يبكون وفاة الملك . واستقبله الآخرون بفرح عظيم وأهدوا اليه الاكليل جزاء البشرى التى حملها اليهم . وأخذ الاكليل وطوق بها عصا السلام (١) ولما عاد الى البحر كان تيزيوس لم يفرغ بعد من أداء فروضه الدينية فبقى خارج الهيكل حتى لا يكدر التقدمة . وبعدها أعلن وفاة إيجة فاندفع الجميع الى المدينة منتحبين باكين . لذلك تراهم حتى اليوم في أعياد أوسخوفوريس يتوجون عصا السلام ذاتها، لا البشير . وعند نهاية العيد يصيح الجميع ايلوليا - يو! - يو! - فالصيحة الاولى صيحة المهرولين الفرحين، والثانية صيحة الدهشة والاضطراب .

وبعد ما دفن تيزيوس والده أدى في السابع من شهر بيا نيسيون ( بين اكتوبر ونوفمبر) نذره لابلون لأنه يوافق يوم عودتهم الى أثينا بعد تلك الرحلة الموقفة. ويقال إن سبب غليهم الخضار في ذلك اليوم هو أن الشبان طبخوا في وعاء واحد كل مابقى لديهم من المونة وأكلوها معاً . وهم يحملون في هذه الاعياد غصن زيتون مكسو بالصوف على ما كان يفعل المبتهلون حينذاك إذ يعلقون عليه باكرات الاثمار إشارة لانقطاع العقم من أتيكا وهم ينشدون الاشعار الآتية :

« يحمل الغصن تيناً وخبزاً مغدياً .

١ - عصا من شجر الصفصاف أو الزيتون في رأسها جناحان وقد التفت حولها حيتان متقا باتان . « إشارة السلام والتجارة » والحيتان رمز الحكمة والحيلة والاجعة دلالة النشاط

« وعسلا في كوتيل (١) وزيتاً صالحاً للطعام .

« وكأساً من النبيذ الجيد يسرك وينيحك .

ويقول البعض إن هذه الاشعار كتبت تذكراً لما كان يقدمه الاثينيون للهراكليين، ولكني تخيرت أكثر الروايات تقريراً .

أما المركب ذات الثلاثين مجدافاً التي ركبها تيزيوس ورفقه وعادوا بها سالمين الى أثينا فقد عني الاثينيون بصيانتها الى عهد ديمتريوس دي فليز، فكان كما نخب من أخشابها جانب انزدهه وأحكوا وضع جديد مكانه . ويذكر الفلاسفة هذا المركب في أبحاثهم عن طبائع الاشياء ، فمنهم من يقول إنها هي بذاتها، ومنهم من يقول أنها غيرها، أي مركباً أخرى .

وتيزيوس هو الذي أنشأ عيد أوسخو فوريس لأنه في الحقيقة لم يصحب الى كريت جميع البنات اللواتي وقع عليهن الاقتراح ، بل أشار شابين من أصدقائه في ملامح البنات ، ولكن قلبيهما عامران بالشجاعة والحزم وجعلهما يستحمان بالمياه الساخنة وأن يبقيا في الظل وأن يداكهما جسدتهما ليحفظا نعومتهم واتزنص بشرتهما وأن يعطرا شعورهما ، ثم مر بهما على تقليد أصوات البنات وحركة من وألبسهما ثياب النساء وغير من عاداتهما حتى صار من الخيال أن يشك الناظر اليهما في جنسهما ، وتحت ثياب هذا التمسك خاطبهما بالفتيات فلم يكونا موضعاً للضحك . وبعد العودة قام هو وصديقه بموكب حافل مرتدين الثياب التي يلبسها اليوم الذين يحملون الاغصان المقدسة في هذا العيد . ويقال إنهم يحملون هذه الغصون تذكيراً لما خوس وأريادنة ! إشارة الى أن تيزيوس ورفقه عادوا الى أثينا إبان حصاد الأثمار . ويقوم (الديبنوفوريون) الذين يعدون هذه الحفلة بكل ما يعمل أثناءها بتمثيل أمهات الذين وقع عليهم الانتخاب . فيقدمون اليهم جميع ألوان الطعام ويقصون عليهم الكثير من الخرافات كما كانت تفعل الأمهات اللواتي كن يروين لأبنائهن القصص تعزية واحياء لشجاعتهم . ويرجع الفضل في بيان هذه التفصيلات للمؤرخ



رامون . ثم خصصت قطعة من الارض لبناء هيكل لتيزيوس ، فأصر أن تقوم الاسر التي فرضت عليها تلك الجزية بنفقات الضحية ، وجعل الوكالة فيها لاسرة فيمالديس ، وهكذا وفي تيزيوس لتلك الاسرة بحرق الضيافة التي لقيها منها .

وبعد وفاة ايجة نهض تيزيوس بمشروع خطير مدحش وهو جمع أهالي الأتيك كلهم في مكان واحد ليجمع منهم شعباً واحداً في مدينة واحدة . كانوا قبيل ذلك متفرقين في قرى متراصة فيمععب جمعهم لداولة في الشؤون العامة ، عدا أنهم كانوا متنافرين يكثر وقوع الحرب بينهم طاف تيزيوس بنفسه بكل قرية وحادث كل عائلة يقنعها بقبول مشروعه ، فلم يتردد متوسطو الحال والفقراء في قبوله . ولكي يستميل كبار النور وعندهم بالشاء حكومة بلا ملك ، تكون فيها الحكمة للشعب والا يبقى لنفسه سوى قيادة الجيش وصيانة القوانين . وأن يتمتع كل وطني بما يتمتع به من الحقوق فيما عدا ذلك فاقتنع البعض وخشى البعض سلطاناه الذي استفحل أمره وداخله اسوف من جراته . فآثر القبول راضياً خشية أن يكره على ذلك . فهدم أما كن الاجتماع والمجالس في كل قرية وألغى محاكمها وابتنى للجميع بيتاً واحداً وغرفة واحدة للداولة وأطلق على المدينة والقرية اسم «و أئينا» ، فكان المجتمع لجميع الاثنيدين . وأجرى التقديم المعروفة باسم «و ماتوسي» ، التي تقدم في السادس عشر من شهر هيكاتونيون ( بين يوليو وأغسطس ) ولا تزال حتى اليوم . ثم ربوعه فتنازل عن الملكية وعنى بتنظيم شؤون الدولة ، وكانت العبادة أول همه . واليك ما أجابت به الآلهة رداً على سؤالاته منبهة بحظ المدنية « ياتيزيوس ابن ايجة وابن ابنته تيزيوس .

« أراد والدي أن تتعلق كثير من المدن من حيث مصالحها وحظوظها بمدينةك » .

« فلا تجعل قلبك نهياً » للافكار مثل القرية . فبالرغم من العذاب ستجتاز

البحار »

ويقال إن الرحي تنبأ بعد ذلك بزمن المدينة بأن :

« تكوني كالقرية . تبناين ولكنك لا تفرقين »

ورغبة في زيادة عمارية المدينة سن شرعة المساواة بين جميع من يرغبون سكنها . ويقال إن النداء المعروف ( أيتها الشعوب تعالى جميعاً ) هو النداء الذي استخدمه تيزيوس لجعل أثينا ملتقى جميع الأمم . خشى بعد ذلك أن يؤدي هذا التراحم الى اضطراب الجمهورية، فقسم الشعب ثلاث طبقات : الاشراف والفلاحون والصناع . خص الاشراف بالمناصب الدينية والحكم وسن الشرائع وتأويل العقائد المقدسة، وبهذه الميزات تساوت مع الطبقتين الاخرين ، امتاز النبلاء بمناصب الشرف، والفلاحون بفوائد منتجاتهم، والصناع بوفرة عددهم . وقال رسطو ان تيزيوس أول من آثر حكومة الشعب وتنازل عن السلطة الملكية . وقد أثبت هوميروس قبله هذه الحقيقة لأنه خص الاثينيين وحدهم بلقب « شعب » عند تعداد السفن (الالياذة) ثم ضرب تيزيوس سكة (عملة) عليها صورة ثور قد يكون ذكرى ماراتون أو إشارة الى قائد جيوش مينوس، أو انه قصد بذلك ترغيب الاهالى فى الزراعة . ويقال إن هذه العملة سبب ما يدور على الألسنة من قولهم « ان هذا يساوى مائة ثور أو عشرة ثيران » .

ثم أنه وحد ما بين أتيكا والاراضى الميغارية و رابط وثيقة العرى ونصب على البرزخ ذلك العمود المشهور وكتب على جانبيه العبارتين التاليتين بياناً للحدود البلدين . كتب على الجانب الشرقى « ليست هنا باليبلو بونيز . هذه يونيا . » وكتب على الجانب الغربى « هنا الباليبونيز . وليست يونيا . »

اقتدى تيزيوس بهرقل فى انشاء الالعاب . أقام هرقل الالعاب الاولمبية تكريماً لجوبتير ، فطمح تيزيوس أن يقيم اليونانيون ألعاباً برزخية تكريماً لنبتون . أما الاحتفالات التى كانت تجرى فى هذا المكان فلما كانت تقام تكريماً للماليسوت ليلا ، وكانت أدنى الى تناول الاسرار منها الى عيد عام . ويزعم البعض أن الالعاب البرزخية كرسست لسيرون ، أقامها تيزيوس كفارة عن قتله احدى ذوى قرباه . وسيرون هذا هو ابن كانتوس وهانوشة بنت بتيوس . ويزعم البعض أنها كرسست لسينس لا لسيرون ومهما يكن من أمرها فقد اتفق تيزيوس مع الكورنثيين أن تكون لمن يحضرها من الاثينيين المقاعد الاولى وأن يكون لهم منها ما يسع ما يغطيه شراع السفينة تيورى منشوراً .

ثم قام تيزيوس برحلته الى (بونت اكسين) ويقول فيلاخوروس وغيره إنه رافق هرقل في حملته على الأمازون (النساء المترجلات) وكان فوزه انتيوب جزاء بسأله. ولكن جملة الكتاب ويذهبهم فاراسيد وهيلا نيكوس وهارو دور يزنعمون أن رحلته حدثت بعد حملة هرقل على سفنه الخاصة وأنه أسر الأمازونة. وهذه أشبه بالحقيقة لأن الرواة لم يذكروا عن سواه أسرا امرأة مترجلة. ويقول بيون إنه احتمال على أسرها. وذلك أن الأمازونات (المترجلات) صديقات الرجال بطبيعتهم فلم تهرب عند نزول تيزيوس إلى شواطئ بلادهن وأرسلن إليه الهدايا الضيافة، فطلب إلى المرسلة أن تنزل إلى مركبها، فمما كادت تنزل إليها حتى أقفلت سفينته. كتب رجل يدعى مانا كراكث تاريخاً عن نيسة ونيثيني روى فيه أن تيزيوس عند عودته بانتيوب قضى أياماً في تلك الربوع وكان في صحبة ثلاثة شبان أخوة من أثينا وهم اينويوس وتوويواس وصولوون، وقد أولع الأخير بحب انتيوب ولم يفض بصره إلا إلى واحد من أصدقائه ولكن انتهى به الأمر إلى مكاشفة انتيوب بغرامه فأنكرت عليه في لطف وحكمة ولم يشك أمره إلى تيزيوس. ولما يئس صولوون ألقي بنفسه في النهر فغرق. وعندئذ علم تيزيوس نبأ الشاب وما كان يمانيه من لوعة الحب الأمل، فأعادت هذه الحادثة إلى ذاكرة تيزيوس وحى السكاهنة وهو الأمر الذي تلقاه في دلفي بأن ينشئ مدينة في أرض غربية حيث يشمر بألم موجع وأن يتم فيها صحبه حكماً، فأنشأ مدينة دعاها بيتوبوليس (اسم الآله) ودعا النهر المجاور لها صولوون احياء لذكر ذلك الشاب. وعهد إلى أخوي صولوون بحكم المدينة. وسن لها شرائع وترك معهم هرمس أحد سكان أثينا وما زال أهالي بيتوبوليس يطلقون على أحد أمكن المدينة بيت هرمس، ولكن تحريفاً بسيطاً في هذا الاسم جعله اسم إله لا اسم بطل.

والظاهر أن حرب المترجلات لم تكن عن طيش ولا من أجل امرأة. هل يمكن أن يعسكرن حول أثينا وينشرن القتال حولها، إذا لم يكن قد امتلكن تلك الأراضي ثم أخذن في مهاجمة المدينة بملك الجرأة؟ أما اجتيازهن البوسفور على جليد من الثلج فليس مما يسهل تصديقه. ولكن تسمية جملة أمكن في أثينا

باسمائهن ، وتلك المقابر التي دفن بها من هلك منهن في القتال ؛ فدليل على أنهن قد  
عسكرن في وسط المدينة

تردد الجانبان طويلا محجمين عن القتال ولكن تيزيوس عملا بمشورة الوحي قدم  
ضحية لآله الخوف وبدأ الهجوم في شهر بوديروميون ( بين سبتمبر وأكتوبر ) في  
ذلك اليوم الذي لا يزال الأثينيون يقدمون فيه القرابين ليهود يروميون . وقد قال  
كليداموس في شرح هذه الموقعة إن المترجلات بلغن المكان المعروف اليوم  
باسمهن ونشرن جناحن الأيمن في « حرزائيسه » وأخذ الأثينيون في مهاجمة  
الجناح الأيسر كما تدل على ذلك قبور القتلى التي لا تزال قائمة عند مدخل بيرة ،  
فتقهقر الأثينيون متراجعين أمام المترجلات ، ولكن القوة التي هاجمت الجناح  
الأيمن ردت العدو حتى معسكره بعد أن فتكت به فتكا ذريعا وانتهى الأمر  
من القتال بمقد معاهدة بين المتحاربين بواسطة أسيرة تيزيوس التي يقول البعض  
إنها قتلت وهي تحارب بجانب رجلها ، وأقيم فوق جثتها عود هيكل الأرض  
الأولمبية .

ولا غرابة أن تضارب الروايات عن حوادث كهذه طال عليها القدم . الا يقال  
اليوم إن الامازونة الاسيرة كانت تمهد سبيل النجاة لمن تقع في الأسر من  
أخواتها ؛ وان قتلى الحرب دفن في الأماكن المعروفة باسمائهن ؟ وما أكثر ما يعدون  
من مقابر تلك المترجلات في أنحاء شتى ؛ والظاهر إنهن لم يخترقن اراضى تساليا  
بلا قتال .

هذا ما رأيت تدوينه عن حرب الأمازونات ولكن أحد الكتاب ذهب  
إلى القول بأن اسيرة تيزيوس هي التي حرضت أخواتها على اقتحام تلك الحرب انتقاما  
لنفسها من رجلها الذي مال عنها إلى الزواج من فيدر ؛ وان هرقل أباد تلك المترجلات .  
وهذه خرافة خيالية لا حقيقة لها لأن القائد الاثيني لم يتزوج من فيدر الا بعد  
وفاة أسيرته وقد رزق منها ابنا يدعى هيبوليت أوديموفون . أما الولايات التي  
عاناها من جراء هذه الزوجة الجديدة وابنها وأجمع على صحتها المؤرخون  
والشعراء ؛ فلا ريب فيها .

ثم أقدم على الزواج من كثيرات لم يكن زواجه منهن على شرف ولا انتهى  
بسعادة . وقد اختطف امرأة ترزنية تدعى اناكسو . وبعد أن قتل سنييس وسيرسيون  
اغتنصب بنتهما . ثم تزوج من باريبة والدة اجاكس ثم فيرييه ديوبه بنت  
ايفيكاس وعيب على زواجه من أجلة بنت بانويوس انها حملته على هجر عشيقته  
اريدانة في ندالة واؤم . ثم جاء احتطافه هيلانة التي عمت الحرب من أجلها جميع  
اتيكا فكانت كما سترأ سدياً لنفيه وموته

يرى هيرودور أن تيزيوس لم يشترك الا في الموقعة التي دارت بين اللاتينيين  
والنتوريين بينما كان لا يبال يقومون بمواقع حربية مشرفة . ويرى غيره بالعكس  
من ذلك أنه رافق جازون في الكولشيد وانه باشتراكه مع مالياجر هزم خنزير  
كاليديون وكان ذلك منشأ المثل المعروف « لا بد من تيزيوس » ويزعم له البعض  
أعمالا مجيدة وانه دعى هرقل الثاني . وانه كان عوناً على اكتشاف جثث القتلى  
الذين ماتوا وهم يقاتلون عند أسوار طيبة على غير ما رواه أوريبيد في مأساته  
« المتوسلات » التي يكذبها فيها اخيلوس في مأساته ( الاليزيون ) وكان ذلك  
على أثر قتاله مع الطيبين الذين تمكن من اقناعهم بعقد هدنة وهذه اصدق رواية  
وكانت هذه أول هدنة عقدت لدفن القتلى و لكن المعروف عن هرقل أنه كان  
يرد جثث القتلى الى أعدائه ، على ما رواه تيزيوس نفسه

أما حكاية صداقته مع بيريتاوس فذلك أن هذا أراد امتحان شجاعة  
تيزيوس الذي ذاع صيته فاختطف قطيعاً من ثيران ماراتون ولما علم أن خصمه  
يطلبه ثبت رابط الجأش فلما وقعت العين على العين امتلأت نفس كل منهما  
اعجاباً بالآخر وأخذ كل منهما بجمال الآخر وأنفته وأبهته فبسط بيريتاوس يده  
الى قرنه وسأله أن يقدر ما خسره معلناً استعدادَه للقيام بكل ما يطلبه فأعفاه تيزيوس  
وطالب اليه أن يكون صديقه وأخاه في القتال فأقسم كل منهما للآخر أن يكون له  
الصديق الوفي الى الأبد

حدث بعد ذلك أن بيريتاوس الذي تزوج من ديداميدا صديقاً لزيارتها البلاد  
والتعرف باللاتينيين ودعا السنطوريين ايضا الى الوليمة ، ولكن هؤلاء اغفلوا في سكرهم

واجب الوقار ومدوا يدهم الى النساء فنقم الالهالى عليهم ذلك وهموا بهم فقتلوا البعض فوراً وافنوا الكثيرين في حومة القتال بمساعدة تيزيوس وطردهوا الباقين من البلاد

ولكن هيرودوروس روى هذه الحادثة على غير هذا الوجه قائلاً ان الحرب كانت قائمة عند ما ذهب تيزيوس لمساعدة اللايتيين وانه انتهز هذه الفرصة فذهب الى تراخين لقرىها منه لمقابلة هرقل الذى كان يستريح من عناء حروبه ، فتبادل البطلان عبارات التهانى وعواطف المودة . ولكن الأرجح هو ما رواه القائلون بأنهما تعارفا قبل ذلك بزمان بعيد وان هرقل بفضل تيزيوس تناول الاسرار ، ومن قبلها التطهير ، وهو ما كان فى حاجة اليه لما اقترفه على غير علم من الاخطاء . قال هيلانيكوس ان تيزيوس كان فى الخمسين من عمره عند ما اختطف هيلانة التى كانت دون سن الرشد . وقال البعض تبريراً له من هذه الجريمة الشنيعة انه لم يخطفها بنفسه ، ولكن ايدا وليئة هما اللذان اختطفها وأودعاها أمانة بين يديه وأنه أبى أن يردها الى دياسكوروس عند ما طلبها منه . وقيل أكثر من ذلك أن تندار هو الذى عهد بها اليه خوفاً من أنرسوفوروس بن هيبوكون الذى كان ينوى اغتصابها عنوة وهى دون البلوغ . ولكن أشبه الروايات بالحقيقة التى تؤيدها الشهادات الكثيرة ، هى أن تيزيوس وبيرتياوس ذهبا معاً الى إسبارطة واختطفوا هيلانة وهى ترقص فى معبد ديانة اورتيا ، وهربا بها . وأن الذين اقتفوا أثرهما لم يتعقبوها الا الى حدود تيجة ولما اجتاز السالبان حدود بيلوبونيز وصارافى مأمن اقترعا فيما بينهما على هيلانة على شريطة ان من تصير نصيبه يعاون الآخر على اختطاف أخرى . كانت من نصيب تيزيوس ولم تكن بالغة اشدها بعد ، فذهب بها الى ايفدنس وأودعها والدته إثره وجعلها فى حى انيدنوس صديقه وأوصاه بشدة اليقظة وكتمان السر . وبرا بوعده لبيرتياوس ذهب معه الى ابيرة لاختطاف ابنة ايدنيوس ملك المولوس . وكان هذا يدعو زوجته بروسيرين وابنته كوره وكلبه سيربير . وكان من عادته أن يعرض خطاب ابنته لمقاتلة ذلك الكلب مع الوعد باعطائها لمن يتغلب عليه . ولكنه علم أن بيرتياوس جاء لاختطاف الابنة

لا ليطيها زوجة . قبض على الخطفين وجعل بيريئوس فريسة له كبه  
سريير . واحتفظ بتزيوس أسيراً .

ولكن ما نسته بن باتيوس وحفيد أوانوس بن أرخته أول من عرف  
معنى الدعاية والشهرة واختبر تأثير الخطبة المسموعة بأكبر كمال . لوطنيين وانحازهم  
فند تزيوس الذي سمعت منه الامانة اليوم . ما حرمهم من اوطانهم في قرانه  
وحشرهم في مدينة واحدة حيث جعلهم من رعائيد بل عبيده . وكان زبير الجمهور  
عاقبا عليه الانخداع الشبح من الحرية . في حين انه يجرط لوطنيين من اوطانهم  
وعبادتهم عاقبا عليهم احتمال مستبد أجنبي . يقول الاصل بدلا من دوكيه الصالحين  
وحكامهم الشرعيين .

ولم يسعد ما نسته في دساتره ونظايمه شيء أكثر من حرب التنداريين  
الذين اغاروا على اتركيا مسلمحين بناء على دعوته . وكان بين ذلك بعض التولقيين  
لم يبدأوا بالعداء بل طلبوا أن ترد اليهم اقطابهم . فاميلوا الاثينيون  
انها ليست لديهم وانهم لا يعلمون أين هي . فذهب التنداريون لقتال ولكن  
أكاديموس ولا ندري كيف علم السر أبانهم أن هيلاده خبيثة في افيدلس .  
فخصه التنداريون جزاء هذا الفضل بالاحترام والرعاية طوال حياته .  
وكانت السبارطيون الذين كثرت غاراتهم على اتركيا بعد ذلك والمعروف فيها  
نهبها وسلمها كانوا يحرقون على عدم المساس بمدن الاكاذمية الاكراما لأكاديموس  
ولكن ديسيارك يقول انه كان في جيش التنداريين اوكاديين يدعى أحمها  
اخاديموس والآخر ماراتوس . سمي هذا المكان باسم الاول وكان يقال له  
أكاذمية . ثم أكاذمية . وسميت قرية ماراتون باسم الثاني لأنه اجابة لامر الوحي  
قدم نفسه ضحية على رأس الجيش . سار التنداريون الى افيدلس واكتسبوا  
المعركة وأخذوا المدينة عنوة . ويقال ان اليكوس بن سيرون لقي حتفه هناك  
ذ كان يحارب من أجل الديونستوريين وان المكان الذي دفنت فيه جثته في



أرض الميجاريين لا تزال تدعى باسمه . وقل هاراياس ان اليكوس هلك في أفيدنس بيد تريوس نفسه . مستشهداً بالبيتين الآتين اللذين قيلاً في اليكوس ... في أفيدنس ذات الربوع الخضراء

كان يقاتل لاسترداد هيلانة الحسناء . ولكن تريوس — قتله ( ١ ) على أنه ليس معقولاً أن يكون تريوس موجوداً وتسقط أمه وأفيدنس في أيدي الأعداء .

وإذ سقطت أفيدنس اضطرب الاثينيون وتمكن مانسته من اقناع الشعب أن يفتحوا الأبواب للتنداريين وان يستقبلوهم استقبال أصدقاء قتلاهم لا يعلنوا الحرب إلا ضد تريوس الذي بدأهم العداء وانهم مخلصون للوطنيين ومنقذوهم . وقد جاء ساوكمهم مبرراً لهذه الشهادة . لم يطلبوا مع ما لهم من السيادة سوى أن يتسلموا الأسرار المقدسة بصفقتهم من ذوى قربي الاثينيين على مثال هرقل ، تبناهم أفيدنوس كما تبني بليوس هرقل وسلمهم الأسرار الإلهية ودعاهم « اناس » ( ٢ ) منحوا هذا اللقب اما لانهم حبوا المدينة السلام . واما لانهم منعوا الاذى عن الاثينيين ، بالرغم من جنود جيشهم العرمرم بينهم . يطلق هذا اللقب على من يتولى العناية ، الحماية ، والعمل هذا هو السبب في اطلاقهم لقب انا كتوس على الملوك . ويقول البعض ان التنداريين منحوا هذا اللقب لظهور نجوم في السماء تحت هذا الاسم من كلمات اتيكية تدل على ما هو في العلاء .

ويقال انه قبض على « أتره » والدة تريوس وسيقت أسيرة الى لاسيديمونيا ( سبارطه ) ومنها سارت مع هيلانه الى ترواده يعتمدون في ذلك على بيت شعر لهوميروس ( ٣ ) « اتره بنت بتاوس ، وكليمن النجلاء . »

(١) لا يعرف قائل هذين البيتين

(٢) — ملك . (٣) الألبان

ويقول البعض ان هذا البيت مدخول على قائله لا يقل كذبا عما يروونه عن مونخيوس الذى يدعون انه ثمره غرام سرى بين داموفون ولاوديس وان اثره اخفته في اليون . ويقول إستر (١)

في كتابه الثالث عشر عن اتيكا غير هذا . يروى عن بعض المؤلفين ان اسكندر الذى يدعوه التساليون باريس انهزم في موقعة ضد اشيل وبتر وكل بانقرب من نهر سيرخيوس ، وان هكنور استولى على مدينة ترازين وعرضها للسلب والنهب وقاد اثره التى تركوها هناك . وهذه الكذب الروايات .

نزل هرقل يوما ضيفا على أيدونائوس المولوسى وقصه الامير حادثة بيريتاوس وتريوس وما كانا يقصدا ان اليه ، وما نالهما من العقاب . حزن هرقل لما نزل باحدهما من موت مخجل وخشى على حياة الآخر ، لم يرفثه من الكلام عن بيريتاوس وطلب اليه ان يتفضل فيسأله تريوس فاجابه الى طلبه . صار تريوس طليقا وعاد الى اثينا حيث لم تكن الغلبة قدمت على اصحابه . وكان اول همه ان كرسى الهياكل التى خصه بها الاثينيون ، باسم هرقل واستبدل اسماءها من التريوسيه الى الهرقلية ولم يبق لنفسه على رواية فيلوخورس سوى اربعة . حاول في ايامه الاولى ان يتولى الحكم وادارة الاعمال على ما كان له . ولكن الفتن والاضطرابات قامت في وجهه . فالتنع ان اعداءه التدماء اضافوا الى بغضهم له احتقاره لضعفه . وان الشعب قد فسد فبدل ان يطيع صامتا صار يطلب ان يتزلف اليه . حاول ارغامه بالقوة ولكن المحرضين والخطباء شلوا جهوده . بنس من استعادة سلطانه فارسل اولاده خفية الى اربا عند الفانورين خالكودون ، وبعد ان صب لعنته على الاثينيين ، فى حرجوتوس فى مكان لا يزال يدعى اراتاريون ، ابجرالى صيروس : ظانا انه سيجد بها اصدقاء وكانت له بالجزيرة املاك موروته .

كان ليكومد حينذاك ملكا على صيروس ، ذهب اليه تريوس ورجا اليه ان

يعيد اليه املاكة لانه ينوى الاقامة هناك . ويقول البعض انه طلب اليه نجدة ضد الاثينيين ولكن ليكوه دخشي بجانب رجل له تلك الشهرة من جهة وارا حمرضاة مانسته من جهة اخرى سار بنيفه الى قمة الجبل مدعيا الرغبة في ان يريه املاكة ورمى به من اعلى الصخور فتردى تزيوس في سقوطه . ويقول البعض انه قدوات قومه وهو يتمشي على عادته بعد العشاء . ثم يعيا احد حينذاك بموته . واستتب الامر لما نسته في اثينا . وعاش ابنه تزيوس كافراد الناس عند الفانور وحضروا معه حرب ترواده مات مانسته في ذات الحصار وعاد الابناء الى اثينا واستولوا على مقام ملكيتها . عاد الاثينيون بعد قرون الى تكريم تزيوس كبطل دعاهم الى ذلك جملة اسباب اهمها ان كثيرين من الجند توهموا انها رآوه في موقعة ماراثون يتقدم الجيش محارباً البربر .

كان قاديون حاكما بعد الحرب « المادية » . وأمرت الكاهنة الاثينيين الذين جاءوا لاستخبارتها ان يجمعوا عظام تزيوس وان يحتفوا بدفنها وان يحاربوا عليها . ولكنه لم يكن من السهل ايجادها ولا معرفة القبر لان سكان الجزيرة كانوا همجا غلاظ الاكباد لم يعاشروا احد من الشعوب ولم يعالوا احدا . ثم حدث ان سيمون على مارو يتا في سيرته استولى على جزيرة سيروس فعنى بهذا البحث . رأى على ما يقال اسرا لينقر رجمة من الارض وينبش بمخالبه وكن وحيا لغيا هبط على سيمون واحتفر هناك فوجد نعشا رجل طويل القامة . والى جانبه رمح وسيف . نقل سيمون هذه الرفاة على مركبه ، عم السرور جميع الاثينيين واستقبلوا رفاتة في حمادة هيبقة وقدموا الضحايا كأن تزيوس عاد حيا الى المدينة . وأودعوه وسط اثينا في المكان المقام عليه الآن ملعب الجمناز ( الرياضة البدنية ) وهو ما جاء العبيد والضعفاء الذين يخشون ظلم كبار القوم . والحقيقة ان تزيوس كان طوال حياته حمى المظلومين ومحبيب دعوة المستغيثين .

يقيم الاثينيون الضحايا تكريما له في الثامن من شهر بيانيسيون ( اكتوبر / نوفمبر )

اليوم الذي عاد فيه من كريت مع رفيقه . وهم يحتمنون بتكريره أيضاً في الثامن من كل شهر . وقد يكون ذلك لانه عاد لأول مرة من ترازين الى أثينا في الثامن من شهر هيكتونبيون ( يوليو -- أغسطس ) كما قل ديودورالبريزجي . (١) أولانهمبرأوا إن هذا العدد اليق به . اذ انه ابن نبتون وهم يقدمون الضحايا لهذا الآله في الثامن من كل شهر . وسبب ذلك ان عدد ثمانية أول مكعب لأول عدد زوجي . ومضاعف أول مربع ، ويمثل قوة نبتون الثابتة التي لا تتغير . ذلك الآله الذي ندعوه . اسفاليموس (٢) وجانيوكوس (٣)

«١» كاتب يكثر ملوك درخوس من ذكره . له مؤلف عن المفاهيم . ولم يعرف بغير هاتين  
«٢» الذي يدعم أساسات الارض «٣» الذي يحتضن الارض .

## رومولوس

من ٧٦٩ الى ٧١٥ ق - م

لم يتفق المؤرخون لاعلى موجد اسم روما ، ذلك الاسم العظيم الذى ذاع مجده بين جميع الامم ، ولا على سبب تسمية المدينة بهذا الاسم . يقول البعض أنه بعد أن طاف البلاسجيون العالم تقريباً وأخضعوا كثيراً من الامم حطوا رحالهم في هذا المكان ودعوا مدينتهم روما تنويها لما لسلاحهم من قوة (١) ويقول البعض إن بعد سقوط ترواد ونجا جماعة من اهلها وتيسر لهم الحصول على سفن: ثم قذفت بهم الرياح فرسو على شواطى اتريريا بالقرب من نهر التبر . وكان التعب قد انهك قوى نسائهم ومات مشاق السفر وكانت بينهم واحدة تدعى روما لا يقل زكاؤها عن كرم محبتها اقترحت عليهم اضرار النار فى السفن فعملن بنصيحتها . غضب الأزواج ثم استسلموا لضرورة الواقع واقاموا حول جبل بالاتن . حيث فقت سعادتهم ما كانوا يؤملون وجدوا من الارض خصوبة ومن الاهالى ترحيبا ولذلك خصوا روما بالاكرام ، وأطلقوا اسمها على المدينة التى كانت سبباً لوجودها . ويقال أن عادة تسليم الرومانية على اهلن وأزواجهن بقبلة على الفم اصلها أن الترواديت بعد اشعالن النار فى السفن كن يهدثن غضب أزواجهن بالتوسل اليهم وتقبيلمهم على هذا النحو . ويزعم البعض أن روما التى دعيت المدينة باسمها هى بنت ايطالوس ولو كارياء ، ويقول آخرون انها بنت تالاف بن هرقل وأنها تزوجت أنياس ( أنه ) ويقول آخرون ان اسجاني بن أنياس كان زوجها . وهؤلاء يدعون أن الذى بنى روما هو رومانوس ، بن عولوس وسرسه ، ويدعى أولئك ذلك لروموس بن اماتيون ، الذى ارسله ديومد الى ترواده ؟ ويقول البعض أن الذى وضع اساسها هو رومانوس ملك اللاتينين بعد

(١) معنى كلمة « رومي » اليونانية قوة.

أن طرد منها الترهينيين الذين جاءوا من تساليا إلى ليديا ثم من ليديا إلى إيطاليا. وادهى من ذلك أن الذين يدعون ولهم الحق أن رومولوس دعا المدينة باسمه غير متفقين فيما بينهم على أصل رومولوس ذاته . يحسبه البعض ابن انياس واكتيا بنت قورباس . وانه نقل اذ كان طفلا مع اخيه روموس إلى إيطاليا وإن نهر التيرطى فطم جميع السفن الاسفينة الطفلين التى دفعها بلطف إلى شاطئ عمهد ونجت على غير المنتظر ودعيا المسكان روما . ويقول آخرون أن روما بنت واكتيا هذه تزوجت لاتينوس ، بن تلماك فولدها رومولوس . ويذهب البعض إلى أن رومولوس هو ثمرة اتصال سرى بين أميليا بنت انياس ولافنيا بالاله مارس .

ومن الرواة من يتحدث عن ميلاده باغرب الخرافات . يزعمون ان تارختيوس ملك الالبونيين وهو من أضلم الناس وأقساهم ؛ تراءت له وهو فى قصره رؤيا الهية ؛ رأى رمز اله التناسل خارجا من بيته ليلا حيث قضى بضعة أيام ، وكان فى اتروريا وحى تانيس فرسل هذا الملك يستشير . فاجاب الوحي ان عذراء تتصل بهذا الاله ويكون لها ولد جليل الشأن يتفوق على جميع رجال عصره بشجاعته وقوته وحظه . أفضى تارختيوس الى احدى بناته بهذا الوحي وأمرها باتمامه . لم تر الفتاة ذلك وأرسلت احدى خادمتها ، غضب الملك عند ما علم الخبر وهم بقتل الفتاتين . واسكن الالهة فيستا تراءت له فى حلم ونهته عن قتلها . امر بنيه أن تنسجا قطعة قماش ووعدهما أن يزوجهما متى اعتادا فكانتا تشتغلان طول النهار حتى اذ جاء الليل أمر تارختيوس نسائه بحل ما نسجتا . وضعت الخادم التى حملت من فالوس ( اله التناسل ) ( توأمين ) ساهما الملك إلى رجل يدعى تاراتيوس وأمره بقتلهما . وضعهما الرجل عند شاطئ النهر

(١) يدعو فلوطارخوس شقيق رومولوس ، روموس . اما جميع اللاتينيين

وهناك أسرعت اليهما ذئبة وأرضعتهما بما تحمله من الغذاء وأخذت  
الطيور رزقهما باللقط من الغذاء

بقيت هذه الخرافة التي أن رآها راسي بشر فاختارها كعجزة ثلث ثم اجترأ  
على التذم منها، وأخذ الطفالين . ولا شها قتل تراختيوس وهرماد . هذه رواية  
كتاب يدعى بيرومانيون (١) في مؤلفه تاريخ إيطاليا

أما تشبه الروايات بالحقيقة والتي أجمع عليها أكثر الشهود فهي رواية  
ديوكس البيديارستي التي أذاها قبل سواء بين اليونانيين وأيدها فايوس  
بيكتور (٢) وقد وقعت بها اختلافات إلا أنها في جملة ما يثني

انتهى ارث سلالة أنياس الملوكيين إلى الاخوين . نوميتر واموليوس  
قسمه اموليوس إلى قسمين أحدهما للمملكة والآخر المال والذهب الذي جرى  
به من ترواده . اختار نوميترود المملكة واسكن اموليوس صار بماله أقوى نفوذاً  
من أخيه وسلبه التاج بأهون سبب . خشي أن تلد بنت أخيه أبناء فجعلها  
« فستا » كاهنة حتى لا تنزوج وتقتضي حيتها عذراء . بعضهم يدعوها إليا .  
والبعض ريل وآخرين . سافيا بـ والسكنها وجدت بعد قليل حبلى خلافا لقوانين  
الكاهنات . شغمت لها الثوبت الملك لدى والدها فأبقى على حيتها . خشي  
اموليوس أن تلد على غير علم منه فأودعها سجنًا ضيقاً لا يراها فيه أحد .  
وضعت توأمين من أجل وأفخم ما تلد الوالدات . ازداد خوف اموليوس فعهد  
إلى خدام أن يعرضهما للهارك . ويقال أن ذلك الخادم يدعى نوستهوس ويقول  
آخرون أن هذا اسم الذي التقطهما . وضع الخادم الطفالين في مهد ونزل يلقى  
بهما في النهر والسكنه وجد التيار شديداً فلم يجزأ على التزول فلقى بهما على  
الشاطئ وعاد . هدأت المهد واحتملت المهد بلطف إلى أرض مهددة تدعى

(١) كتاب مجهول . (٢) أقدم مؤرخي اللاتينيين معاصر هنيبال وكتب حوادث  
روم ولم يبق منها شيء تقريباً



اليوم سرمانوم وكانت تسمى جرمانوم . وظنى ان ذلك لان اللاتينيين يدعون الشقيقين « جرمان » وكان على مقربة من هناك شجرة تين برية يدعونها « رومينل » ويظن البعض ان هذه التسمية نسبة الى رومولوس اول لان الحيوانات الخبيثة كانت تذهب وسط الثمار فقطسريح في ظاهها . وان ذلك نسبة لرضاع الطفليان هناك . وذلك ان قسم اللاتينيين كانوا يدعون الهى « روما » ويدعون الالهة التى تعنى برضاع الاطفال رومليا . ولا يدخل الحرف فى تسميتها أما المظهر فكان من الذين

هناك بقى الطفلان ترضعهما الذئبة : يعاونهم الشترق فى تغذيتهم والعديد بهما . وهما من الحيوانات المفترسة لاله مارس . ويخص اللاتينيون الشترق بعبادة خاصة وهم كذلك يصدقون شهادة الوالدة ان الطفليان ابنا مارس . ويقول بعض المؤرخين ان ذلك وهم منهم . لان أموليوس كان مدسجا بالسلاح حينما دخل يغتصبها . ويقول البعض ان اسم الموضع كان فى هذه الخرافة تورية لاحقيقة . لان اللاتينيين كانوا يسمون كلمة ذئبة على أنثى الذئبة والاموس وتلك كانت حلة زوجة فوستولوس الذى عنى بتربية الطفليان . وكانت تدعى أكالارنسيا : يقدم اليها الرومانيون كل سنة التقدّمات فى شهر ابريل ويقوم كاهن مارس بصلاة الجلالة ويدعى عيدها عيد لارنسيا .

وهم يكرمون أيضا لارنسيا أخرى للمناسبة التالية .

حدث ان حارس هيكل هرقل رأى فى ساعة مالى ان يقترح على الاله مقامرة بالنرد ( الزهر ) يشترط اذا ربح ان يمنحه الاله ما يريد . واذا خسر قدم للاله ونية فاخرة وحسناء ينام معها . اتفقا على ذلك وانقضى النرد عن هرقل أولا . ثم عن نفسه فكان الخامس . فوقع به بعد أدب الاله . مأدبة نعمة واستأجر له الانسيا التى كانت فى ريعان صباها لانزار الا قليلا . وأقيم سرير النومة فى الهيكل . واذا انتهت المأدبة احتجز لارنسيا ليستمتع بها الاله . ويقال ان هرقل استمتع بها حقيقة وأمر

ان تذهب باكرا الى الساحة العمومية وتقبل أول رجل تقابله وتتخذة خايلا وكان أول من قابله وطني عجوز وغني جداً قضى حياته حتى تلك الساعة أعذبا. وكان يدعى تاروتيسوس . لقي لارنسيا لقاء حسنا جدا وعلق بها حتى انه عند موته ترك لها أموالا عظيمة . أوصت بمعظمها للشعب الروماني . ويقال انها نعمت بشهرة واسعة . وكانت تكرم بصنعتها خلية آله عند ما اختفت فجأة على مقربة من المكان الذي دفنت فيه لارنسيا الاولى . وهو يعرف اليوم باسم قللبر : مأخوذ من ان نهر التبركان يطغى احيانا فيجتازه الناس على قارب الى الفوروم . ( ساحة المدينة ) واحتياز المياه على هذا النحو يقال له ( فلأتورا ) ويقول البعض ان الذين كانوا يقيمون الألعاب للشعب كانوا يدون الاقشعة من المكان الى المنامب (السرك ) مبتدئين بهذه الساحة . والرومانيون يدعون القماش « قالا » هذا هو أصل الحفلات التي يقيمها الرومانيون للارنسا الثانية .

قام فوستولوس راعي خنازير أموليوس بتربية الطفلين في منزله على غير علم من احد . ويزعم البعض وهو أدنى الى الصواب ان نوميتور كان يعلم ذلك وانه كان يتدبها بما يحتاجون اليه خفية . نقلا بعد ذلك الى جاني . (١) ليتعلما اللغة وكل ما يجب ان يتعلم الاشراف .

دعى رومولوس ورومولوس نسبة الى الشدى لانه قد شوهد ان الذئب ترضعهما . وكان لهما من اعتدال قلمتيهما ووسامة وجهيهما ما يدل منذ الصبا على ما يكون لهما من شأن . وكلما زادت أيام حياتهما . ازداد كل منهما شجاعة وجسارة . واقداما عند الخطر . ولكن رومولوس كان يفوق اخاه بسلامة الذوق والمهارة في تدبير الامور . ففي المرض او التنص او كل علاقاته مع جيرانه . يبدو عليه أنه خلق للقيادة أكثر منه للطاعة . لذلك كانا محبوبين من جميع زملائهما ومن كانوا دونهما . اما وكلاء الملك ورؤساء قطعانه الذين لم يريا لهم عليهما فضلا في

(١) مستعمرة البيا في اللاتيوم على بعد اثني عشر ميلا من روما .

الشجاعة . فكاننا يحقراتهم ولا يعبا أن يتهددهم وغضبهم وساروا في حياتهما سيرة  
الاحرار . ولم تكن الحرية في نظرها البطالة بل العمل برياضة البدن . القمص ،  
الركض . القضاء على قطاع الطرق والنصوص . حماية المظلومين من ظلم الظالمين .  
بذلك اكتسبا شهرة واسعة .

وحدث ان رعاة نوميتور اشتبكوا مع رعاة رومولوس في معركة واختطفوا  
منهم قطعانا فاستاء رومولوس وروموس لذلك واقتفوا أثرهم وسمتوا شملهم وعادوا  
بالغنائم التي سلبت . فزع نوميتور لذلك ولكنهما لم يعبا بالامر وكانا قد  
حشدا جنداً من الاهالي والعبيد بحجة اتقاء العصيان والمردة . وجرى بعد  
ذلك ان رومولوس كان غائباً قدم ضحية دينية لاندكان عليا بالتقاليد الالهية وفي غيابه  
التقى رعاة نوميتور بروموس في نفر قليل من رجاله فانقضوا عليه وجرح  
كثيرون من الابانيين ولكن النصر بقي لرجال نوميتور فخذلوا روموس أسيراً  
واقادوه الى مصاحبتهم وعرضوا عليه شكائهم ضده فلم يجز نوميتور على عقابه  
خشية اغضاب اوميلوس فنقد اليه لانصافه من الاهانة التي لحقت به وهو  
أخوه في خدمة الملك ، فتأثر الابانيون واشفقوا من اذلاله وأروا ان مقامه حقيق  
بالا يدل . عطف اومولوس على مطالبه وسلمه روموس يعمل به ما يشاء . اصطحبه  
الى منزله واسكنه ليستطع الا يعجب بهذا الشاب لما رآه فيه من الجمال والقوة والجرأ  
والثبات ما ينطق بتلك الصفات التي جعلته لا يبالي بالخطر المحقق به . ايضاف  
الى ذلك ما يروى عن أعماله الجليلة التي تؤيدها ما يشهد عياناً وظني أن ذلك  
أثر وحى إلهي قرر اجراء الاعمال الجليلة التي بدأت من ذلك الحين استشعر  
الحالة نوميتور واراد ان يستوضح الحقيقة فسأل الشاب من هو وما مولده ، وكان كلامه في  
هوادة ونطف وعطف حقيق أن يدخل على نفس الشاب الثقة والامل .

أجاب روموس بجرأة . اني لا اکتبك شيئاً وأنت على ما يلوح لي أولى  
بالحكم من اوميلوس انك على الاقل تسمع وتتحقق قبل أن تعاقب . أما هو فانه

يسلم المتهم بلا تحقيق . كنا نحسب أنفسنا حتى اليوم أبناء فوستولوس ولارا انسيا  
خادم الملك . ونحن تؤمان . ولكن منذ وشوا بنا اليك واضطربنا للدفاع عن  
أنفسنا سمعنا أقوالا مدهشة وسيكشف موقفنا الخطر هذا اذا كانت حقيقة بالثقة  
أم لا . يقولون انا ولدنا خفية وانا غديتنا وأرضعنا بطريقة غاية في الغرابة . وان  
الطيور الجارحة والوحوش البرية التي القينا اليها قامت بتغذيتنا اذ كانت ذئبة  
ترضعنا ثديها وشترق يقدم لنا ما ياتقطه ايام كنا في المهيد على شاطئ النهر الكبير  
ولا يزال المهيد محفوظا تحيط به شرايط من النحاس وعنايه جرودف لا تسكد  
تقرأ قد تكون لوالدينا يوما ما علامة لتعرفنا ولا يحين ذلك الا بعد فوات  
الوقت اذ سوف يقضى علينا . قلن نوميكتور بين هذه الاقوال وعمر رموس والزمن  
الذي عرض فيه الاطفال للهلاك فيخامرهم امل بهيج فعول على محادثه ابنته خفية  
وكانت لاتزال رهن السجن

ولما علم فوستولوس ان رموس اسر وقد سلمه امولوس الى نوميكتور تعجل  
رومولوس لاغاثة وكشف له عن سر ميلاده ولم يكن من قبل لا يشير الى ذلك الا  
بإشارات غامضة لا يقصد منها سوى ازكاء المواطن الشريفة ثم حمل بنفسه المهيد  
واسرع به الى نوميكتور وهو يرتعد خوفا على رموس ما دخل ما كان عليه من رعشه  
الريبة الى نفوس حرس الملك وانتهى بهم الريب والجوابات المضطربة الى اكتشاف  
المهد الذي كان يخفيه تحت رداءه . وقضت الصدقة ان يكون بين الحرس احد  
الذين عهد اليهم امولوس ابعاد الطفلين وشهد ما تعرضا له من خطر . فما رأى المهيد  
حتى عرفه من شكله وما كان محفورا عليه من الكلمات . تغلب الحارس على الشك  
فاسرع لفورده الى الملك مصطحبا فوستولوس ليحماله على تقرير الحقيقة . لم يتملك  
الخوف فوستولوس تماما ولكنه لم يملك الحزم تماما فاعترف بان الطفلين على قيد  
الحياة ولكنهما بعيدان عن البابرعيان القطعان . وقد احضر المهيد الى « اليا »  
لانها تريد ان تراه وتلمسه ليقوى فيها الامل بان ولديها لا يزالان على قيد الحياة

أخذ اميلوس الطيش الذي يلزم المضطربين المترددين الواقعين تحت تأثير  
 نخوف والغضب فارسل رجلا من اهل الخير صديق لنوميستور يسأله ان يسمع ان  
 ابنا اليا على قيد الحياة . واصل ذلك الرجل بينما كان نوميستور يهيم بمعاينة رموس  
 وضعه الى صدره واخذ يشدد أمل الشاب ويدفعه لاغتنام الفرصة وانضم اليهم  
 مقدما نفسه لمساعدتهم لم يكن في الوقت متسع لان رومولوس صار على مقربة منهم  
 وقد انضم اليه اكثر اهل المدينة يدفعهم خوفاً وبغضهم لاموس . وكان رومولوس  
 قد حشد جيشا عرمرما قسمه الى طوابير يؤلف الطابور منها من مائة رجل يقود كل  
 طابور رجل بيده قنطرة على رأسها حزمة من العشب والحطب . وهذا ما يدعوا اللاتينيون  
 حماة العشب الماتونول . ولا يزال الجنود الذين يستظفون هذا العلم يعرفون بهذا الاسم حتى  
 اليوم . وكان روموس قد استمال الوطنيين المقيمين في اليا . بينما كان رومولوس يتقدم  
 برجاله استولى الرعب على الظلمة وحذر في أمره وبقي على غير هدى لا يدرى  
 بما يدافع عن نفسه فتقبضوا عليه وهم في تلك الحالة وأعدموه

هذه رواية قابيوس وذيوكس البياريتي يراها البعض مدخولا عليها  
 الكثير من المحسنات الدرامية والزخارف الخرافية ؛ ولكن هل نستطيع  
 نكرانها لو فكرنا فيما يحكمه الحظ الموفق من الروايات الشعرية او فكرنا فيما  
 وقعت اليه روما من النجاح الباهر . فلم تكن لتصل الى ما وصلت اليه من قوة  
 ومنعة اذا لم تكن مرتكزة على اساس اهل تدل عليه العظام والمعجزات ؛

عادت السكينة الى المدينة بعد موت امولوس ولكن رومولوس وروموس لم  
 يقبلا المقام في اليا دون أن يحكماها لم يقبلا ان يحكماها في حياة جددهما . فبعد ان  
 أقرا السلطة بين يديه وقاما بواجب التكريم لوالدتهما عولا على الرحيل ليسكننا  
 مكانا يكون لهما الامر فيه . وعليه اعتزما انشاء مدينة في المكان الذي أرضا فيه  
 فكان لهما من هذا المقصد أشرف عذر . على انه لم يكن لهما بد من ذلك . لم  
 يكن جندهما سوى جماعات من المنفيين أو العبيد المار بين فكانوا بين أمرين

أما ان يعرضا ساطانهما للضياع بتشتيت شمل جيش كهذا أو أن يذهبا به الى مكان آخر يستقرون فيه. لان الالبيين لم يقبلوا مخالفة هؤلاء المنفيين والهاربين ولا اعتبارهم وطنيين. يدلنا على ذلك أولا اختطاف نساء السابين. (Sabiue) الذى لم يحدث عن شهوة وحشية بل عن ضرورة لانهم لم يجدوا سبيلا لزواج اختيارى والحقيقة انهم أحسنوا رعاية النساء اللواتى اختطفوهن. كما يدلنا على ذلك انهم لم تكذب يستقر بهم المقام حتى انشأوا للهاربين ملجأ دعوه هيكى الاله ملجأ (١) يقبل فيه الجميع لا يسلم العبد لسيدده ولا المدين لدائنه ولا القاتل لحاكمه محتجين بوحى من ابولون يكفل الحرية لجميع الهاربين. لذلك كثر عدد سكان روما التى لم يكن بها سوى الف منزل. وسأتكلم عن ذلك فيما يلى :

وقد شجر عند انشاء المدينة خلاف بين الاخوين على الموضع الذى تقام فيه. انشاء رومولوس المكان المعروف باسم روما المربعة. وهى قلعة على جبل (بالاتن) واعتزم المقام فيها ولكن روموس اختار حصناً على جبل «افانتين» (٢) ثم اتفقا ان يفض النزاع بينهما ما تشير اليه الطيور الكريمة. فوقف كل منهما فى المكان الذى اختاره. ويقال ان روموس شهد ستة عقبان أما رومولوس فشهد اثنتى عشر ويزعم البعض ان الاول شهد عقبانه حقيقة اما الثانى فقد خدع أخاه وانه لم ير الاثنتى عشر الا عند ما دنا منه روموس. وهما يكن من الامر فان هذه الحادثة هى سبب ما نراه اليوم من ان الرومانيين يفضلون التفاؤل برؤية العقبان. ويقال ان هرقل أيضاً كان يسر اذا رأى عقاباً قبيل اقدمه على عمل. والحقيقة ان العقاب أقل الطيور ضرراً فلا يمس ما يبنده الانسان ولا ما يندعه ولا ما يقوته ، انما يعيش من الجثث وهو لا يقتل ولا يجرح حياً ما ، ولا يمس الطيور حتى الميت منها احتراماً لنوعه ، وهو فى ذلك على خلاف

١ بلوطارخوس هو الوحيد الذى تكلم عن هذا الاله على انه خطأ واضح كان هناك هيكى وملجأ لاله «ملجأ» ٢ دعى باسم رومونيوم ويدعى الان ريناريوم

الذئور والبوم والصقور التى تعتدى على الطيور الحية وتمزتها ، ولقد قال اشيل .

« هل يمكن ان يكون الطائر الذى يأكل لحم طائر نقياً ( طاهراً )

ومع كل قآن الطيور الاخر تقضى حياتها بمراى منافتراها فى كل مكان .

ولكن ظهور العقاب نادر جداً ومن الصعب العثور على أو كاره . وحدث عن

هذه النادرة الرأى القائل بأن العقبان تأتى مهاجرة من بلاد أخرى : وهذا

شأن الناس فى الحوادث غير الطبيعية حيث تجرى الاشياء على مايقول عرفاء

القال فى غير مجراها العادى بل بإرادة الآلهة تدل عليهم - بإشارة ظاهرة .

وإذ علم رومولوس أنه خدع حزن حزناً شديداً لذلك كان يسخر منه أخيه

وهو يحفر الحفرة التى تحيط بالجدران وكان يعطال تنفيذها . ويقول البعض أن

رومولوس قتله فى الحال ويقول الآخرون ان « سيلر » احد اصدقاء رومولوس هو

الذى قتله . وقد هلك فى المعركة . فرستولوس واخوه بلستنوس الذى كان عوناً

له فى تربية رومولوس . وقد لجأ القاتل الى اتريرى . (١)

وبعد أن دفن رومولوس اخاه ومرييه فى الرمونيوم اشتغل ببناء المدينة واحضر

من اتريرى اناس اعلموه نظام الحفلات والتقاليد الواجب مراعاتها والاصفاء بالانسار . .

واحتفر حفرة حول المكان المعروف اليوم باسم « كوميس » وألقوا

فيها بكورة من كل شىء حلال من حيث الشرع وضرورى من حيث

الطبيعة . من ثم اخذ كل واحد قبضة من تراب البلد الذى أتى منه وألقاه فيها

بعد مزجها كلها وأطلقوا على الحفرة اسم « العالم » ومن هذه النقطة رسموا

حظيرة المدينة وضع المؤسس سلاحاً من النحاس فى المحراث وعلق ثوراً وبقرة

واحتر على الخط المرسوم حزناً عميقاً وكانت مهمة السائرين فى أثره أن يأخذوا

الطين الذى يخرج المحراث فيألقوه فى الحفرة لا يتركون منه شيئاً . وكان الحز

(١) وقد اطلق اسمه على كل سرب خفيف كما اطلق على كنتوس . بتالوس الذى أقام

بعد موت والده بيضة أيام وقتله قتال الجلادين . اشارة الى السرعة التى جرى بها اعداد الحفلة .



رسما لجدران المدينة وودعود يوم مريم اى وراء أو بعد الحائط . وكان فى الاماكن التى يراد جعلها أبوابا يرفع المحراث فيبقى بلا أثر . لذلك يعتبر الرومانيون الجدران مقدسة . اما الابواب فلا . لانها لو اعتبرت مقدسة لكان ادخل الضرورىات الى المدينة واخراج الاشياء الذخيرة مخالفة للدين .

ثم انشأ روما فى الحادى عشر من مايو (١) ولا جدال فى ذلك ولا يزال الرومانيون يقيمون هذا العيد السنوى ، يدعونه عيد ميلاد وطنهم وكانوا فى أول عهدهم لا يقدمون فيه ضحايا حية قائلين أن عيد ميلاد مدنيتهم يجب أن يكون طاهراً لا تلوثه الدماء . على انهم قبل تأسيس روما كانوا يقيمون عيداً خلويًا يدعونه « بليلي » ولا يطابق اليوم تاريخ الرومانيين تاريخ اليونانيين . ويقولون ان اليوم الذى اسس فيه رومولوس المدينة بعد الثلاثين من الشهر اليونانى ، وان الشمس كسفت فى ذلك اليوم وان الشاعر انتياخوس من تافوس قد رقيه فى السنة الثالثة من الاولبيادة السابعة

كان للغيلاسوف قارون وهو أكثر الرومانيين معرفة بالتاريخ صديق يدعى تاروتىوس فيلسوف دريضى يستخدم أوقات فراغه فى رصد الكواكب ويقال انه حذق هذا العلم طالب اليه قرون أن يحدد يوم وساعة ميلاد رومولوس يستنتجه من أعماله المعروفة كما يعمل فى المسائل الهندسية قائلا بما أنه توجد نظرية يستدل بها من تاريخ ميلاد الانسان على حياته . فذا علمت حياة الانسان أمكن الاستدلال منها على تاريخ ميلاد صاحبها ، فقام تاروتىوس بما عهد اليه صديقه وبعد أن فحص حوادث رومولوس وحركاته مدة حياته وكيفية موته وما تلاها وقارن بينها بدقة قال بثقة وبالاتردد ان رومولوس حبل به فى السنة الاولى من الاولبيادة الثانية فى ٢٣ من الشهر المصرى كيهك فى الساعة الثالثة نهاراً اثناء كسوف الشمس كسوفاً تاماً ، وولد فى ٢١ من شهر توت عند مطلع الشمس وانه أسس روما

(١) فى ٢١ ابريل سنة ٧٥٣ ق . م . هذا هو الرأى الأكثر احتمالاً والاكثر انتشاراً .

في التاسع من برمودة بين الساعة الثانية والثالثة

ويروى الرياضيون ان نصيب المدينة كنصيب الاشخاص له وقته المعين  
 كن ملاحظته من موقع الكواكب أثناء التأسيس على أن ما في هذه الروايات  
 من الملاحظة لا يعادل ما في الخرافة من مضائق في نظر القراء

ولما تم بناء المدينة أخذ رومولوس في تقسيم رجال جيشه الى فرق تؤلف  
 كل فرقة من ثلاثة آلاف رجل وثلاث مائة فارس وأطلق عليها الجيوش المستخبة  
 دلالة على انه اختار من بين الاهالي من يصلح للقتال ، وترك للباقيين مهام  
 الشعب فأطلق عليهم هذا الاسم ، اختار رومولوس من الاعيان مائة ، والى منهم  
 مجلسا ودعاهم اباء او حماة ، ودعى الهيئة كلها مشيخة او مجلس الشيوخ ويقال في  
 سبب هذه التسمية ان أعضاء المجلس كانوا اباء لابناء احرار أو لانهم كانوا  
 يستطيعون اظهار ابائهم ولم يكن ذلك في وسع جميع أهالي المدينة الاولى  
 ويرى البعض أن هذا الاسم مشتق من الرعاية او الحماية على ما كان معروفا من  
 حماية العظماء للضعفاء ويقال انها مشتقة من كلمة باترون وهو اسم أحد روقي ايفندر  
 وكان معروفا بغيرة وعطف على الضعفاء . والاولى ان يقال بان رومولوس أطلق  
 عليهم هذا الاسم لانه يجب على الاقوياء ان يحنوا على الضعفاء حنوا أبويًا . ويعلم  
 الشعب ألا يخشوا الاقوياء والا ينظروا الى ما يتمتعون به من شرف بعين الحزن  
 بل يحفونهم بالاحترام والرعاية ناظرين اليهم نظره الى الآباء وان يكرمواهم بهذا  
 اللقب ، والاعيان يدعون الشيوخ حتى اليوم سادة ورؤساء اما الرومانيون فانهم  
 يدعونهم الآباء المختارين وهو اسم القاب الشرف لا يعرض أصحابه للحسد أو الخقد .  
 كانوا يدعون أولا لآباء فقط ولكن لما ضم اليهم غيرهم أطلقوا عليهم لقب الآباء  
 المقدسين . وكان هذا اللقب اسمى ما يشرف به الشيوخ تميزا لهم عن الوطنيين .

ثم قسم الاهالي الى فريقين فريق العظماء وفريق الشعب ودعا الفريق الاول  
 الحماة أو المحامين والآخر الاتباع ( أو العملاء ) . وجعل العلاقات بينهما على أحسن

وأفضل ما يكون مبنية على الواجبات المتبادلة الحمة أو المحامدين يفسرون الشرائع  
لا تباينهم يدافعون عنهم أمام الحكماء يدفعونهم بنصائحهم وارشاداتهم ويتولون بانفسهم  
جميع أعمالهم . اما الاتباع أو العملاء فكانوا شديدي التعلق بهم جميعهم يحلونهم  
ويرعون جانبهم ويساعدونهم في أمهات بنات الفقراء وتسديد ديونهم ولم يكن حاكم  
ولا شركة ان تذكره عميلا ( أو تابعاً ) على أداء شهادة ضد عميل ولا محامياً ضد  
عميله . واستمرت هذه القوانين الا ان المحامدين رأوا فيما بعد ان من المصعب المتجمل  
ان يتناولوا من الفقراء الصغار مثلاً .

يقول فاييوس ان رومولوس بعد تأسيس المدينة بأربعة شهور فكر في ذلك  
المشروع الخطير وهو اختطاف السبايات والمعتمدين الذي جعله على ذلك هو رغبته  
في الحرب لاعتقاده بما أفشى به اليه الوحي ان التمدد يحجب لروما عظمة خطيرة  
وكلما غنتها الحرب ازدادت عظيمة . فعمد رومولوس الى هذه الشدة لاثارة السابينيين  
لذلك لم يخطف سوى عدد قليل من الفتيات لا يزدن عن الثلاثين عدداً لان حاجته  
الى الحرب كانت أشد من حاجته الى زوجات . والاقرب الى الصواب هو انه  
رأى المدينة ملاءى بالاجانب ولا نساء لهم سوى نفر قليل والباقيون من ذوي الحاجة  
والامل المرعب منظور اليهم بعين الاحتقار فلاح له ان هؤلاء لا يبقون طويلاً في  
زمانه . فاهل ان يهد لهم بهذا الاغتصاب النبيل معاهدة السابينيين متى تمكنوا من  
استرضاء زوجاتهم . لما تنفذ مشروعه فكمايلي : اشاع أولاً انه وجد مذبح المذبح تحت  
الارض . وهو الاله كونسوس . أو المشير والرومانيون يدعون اليوم جمعية العمومية  
مجلس المشيرين . ويدعون كبار حكماءهم قناصل أو مشيرين . ويزعم البعض انه الاله  
نبتون لان المذبح وجد في المضرب ( اللاعب ) الكبير الذي تبقى مفتوحاً الا في ايام سباق  
الخيال . ويزعم البعض ان كتمان المداولات تم عن سر بقاء المذبح تحت الارض  
وقد اعلن رومولوس انه احتفاء باكتشافه سيقيم حفلة تكريم علانية للاله فتبعه  
العاب ومناظر . فخرج اليها الناس من كل جانب . وكان مرتدياً ثياباً رجوانياً يحيط

به كبار الوطنيين وجلس في صدر المحفل ( في الصف الاول ) اما اشارة الهجوم فهي ان يقف رومولوس فيئتى طرفا من ثوبه ثم يرده ووقت طائفة من رجال ترقب الاشارة مسلحة بالسيوف ولما اعطيت الاشارة استل القوم سيوفهم وهجموا صارخين واختطفوا بنات السابين وتركوا الرجال يهربون لا يتعقبهم احد . ويزعم البعض ان اللواتي اختطفن لم يتجاوزن الثلاثين فتاة ولكن فالاريوس الاتيومى يقول ان عددهن سبعماية سبعة وعشرين فتاة ويقول « جوابا » انهن ستماية وثلاثة وثمانون وكاهن ابكار . وهي ملاحظة تخالف مقصد رومولوس كل المخالفة ولم يكن بينهما سوى امرأة واحدة تدعى هرزيلي اخذت خطأ ولم يكن من غرض الغاصبين الاساءة الى السابين ولا شباع شهوة حيوانية بل كان الغرض توثيق الاتحاد بين الامتين ويزعم البعض انها تزوجت من هوستيليوس احد مشاهير الرومانيين ويقول غيرهم انها تزوجت من رومولوس نفسه فرزقت منه ابنة دعاها بريما ( الاولى ) لانها ولدت اولاً ثم ابنا دعاه اوليوس ( الجماعة ) ذكرى لاجتماع الشعب تحت امرته . وقد دعتهم الاجيال بعده ابايوس . على ان رواية زينودوت التريزيفى هذه كذبها غير واحد .

وحدث انه بينما كانت جماعة من الفوغاء الذين اشتركوا مع الغاصبين يقودون سابية غاية في الجمال وحسن الاعندال لقيتهم جماعة من الوطنيين فارادوا انتزاعها منهم ولكن اولئك صاحوا بهم قائلين انهم يقودونها الى تالاسيوس : وهو شاب وافر الكرامة والاحترام واذا سمع هؤلاء هذا الاسم صفقوا ايذاناً بالموافقة والاستحسان وعاد بعضهم مع الموكب محبة وتكرماً لتالاسيوس هاتفين باسمه . ومن هذا نشأت العادة المتبعة عند الرومانيين اذ يذكرون اسم تالاسيوس في اناشيد اعراسهم كما يذكر اليونانيون اسم « ايمينه » ويقال ان هذه الزوجة كانت سعادة لزوجها . وقد علمت من سيلتوس سيللا القرطجى وهو كاتب اصطفته اليها الشعر والكتابة . ان رومولوس اعطى هذا الاسم لجنداء علامة الاختطاف وأن جميع الذين اختطفوا البنات كانوا يصيحون جميعاً : تالاسيوس ! ولذلك جرت العادة بذكر اسمه في الاعراس .

ولكن معظم الكتاب وبينهم جوبايعتقدون ان مؤدى هذه الكلمة تحريض الزوجات على حب العمل وغزل الصوف وكانوا يدعونه « تالاسيا » لان الكلمات اليونانية كانت في ذلك الحين كثيرة الامتزاج بالكلمات اللاتينية اذا كانت هذه الملاحظة حقيقة وكان الرومانيون يستخدمون كلمة تالاسيا في معناها اليوناني جاز لنا ان نجد لهذه العادة اصلا محتملا، في نص المعاهدة التي ختمت بها الحرب بين السابين والرومانيين ، تنص بنودها الاولى على ان الزوج لا يكلفون زوجاتهم سوى غزل الصوف. واستمرت العادة على ذلك في كل زواج فلئن كان اهل العروس وصحبها وكل من يحضر الحفلة يهتفون في مرح « تالاسيا » فلانهم يذكرون الزوج انهم يحضرون اليه زوجة غير مكلفة بشيء سوى غزل الصوف

وهناك عادات اخرى وهي ان العروس لا تجتاز بنفسها عتبة دار زوجها بل يحملها الغير فيجتاز بها العتبة ذلك لان السابيات لم يجتزنها قط بل حملن بالقوة . ويرغم البعض ان عاد تفرقة شعر العروس بحمد الريح دلالة على ان زواج الرومانيين كان اغتصابا وبحمد السيف . وقد تكلمنا عن هذا الموضوع بالتفصيل في المسائل الرومانية .

وقع هذا الاختطاف في الثامن عشر من الشهر المعروف الآن باغسطس وكان يدعى حينذاك سيكستليس . وهو يوم الاعياد القنصاية ( القونسيوسية ) كان السابيون شعبا كثير العدد حرييا بطبيعته يسكن ضواحي لأسوارها . لا اعتقادهم وهم جالية من لاسبينديمون ( سبارطه ) انه يجب عليهم مواجهة الخطر بلا خوف . ولكنهم رأوا أنفسهم مأخوذون بتلك الرهائن الثمينة التي اغتصبها العدو وخشوا الاذى يصبب بناتهم فأوفدوا مندوبين الى رومولوس يعرضون عليه شروطا معتدلة وهي ان يرد عليهم بناتهم وان يرأب الشعب الذي احده ويعمد الى الاقناع والطرق المشروعة لتوثيق عرى المودة والاتحاد بين الامتين فاني

رومولوس رد البنات والزمهم المصادقة على الزواج .

وبما كان السابيون ينظرون في هذا الرد ويضيعون الوقت في اعداد معدات القتال أعلن اكرون ملك السنينيين الحرب وكان شجاعا وضابطا ماهراً قد داخلته الزيبة من زمن بعيد في مشروعات رومولوس ورأى من اختطاف السابيات انه جاره خفيف لا يسهل اخضاعه اذا لم يسرع بتأديبه . فتقدم اليه رومولوس في جيش كبير وخرج هذا لملاقاته ولما وقعت العين على العين قارن كل منهما بين خصمه وبين نفسه ثم اتفقا على مبارزة يبقى اثناءها الجيشان ساكنين . أنذر رومولوس لوتهم له النصر ان يجعل أسلحة اكرون مقدمة لجوبيتر . ( المشتري ) انتصر عليه وقتله بيده وحرز جيشه واستولى على مدينته . ولم يلحق بالأتلين أذى الا انه الزمهم هدم منازلهم والسير معه الى روما . حيث يصيرون وطنيين لهم جميع حقوق سكانها . لم تكن لروما لتبلغ شأوها من العظمة لولا ضم الشعوب المغلوبة على أمرها اليها ومزجهم باهلها . أراد رومولوس ان يجعل المقدمة أكثر قبولا لدى جوبيتر وان يشهد الوطنيين مشهداً طلياً فعمد الى بلوطة فاجتثها وشذبها حتى جعلها في هيئة شارة النصر وعلق بها سلاح اكرون منسقة وشذب ثوبه ووضع على شعره اكليلاً من الغار وحمل شارة النصر على كتفه اليمين وسار ينشد أناشيد النصر يتبعه جنده مدججين بالسلاح . فاستقبل في روما بالفرح والاعجاب . وكانت هذه الحفلة أصلاً وقاعدة لما تلاها من الانتصارات . وصحيت هذه الشارة مقدمة جوبيتر الضارب لان رومولوس سأله ان يضرب اكرون ويقتله .

يقول فلرون ان هذه الاسلاب تدعى أوبيم من كلمة أوبس اللاتينية ومعناها الثروة ولكن يحتمل أن تكون من كلمة أوبوس ( العمل ) لانه لا يجوز مقدمة هذه الاسلاب الا من قائد قتل بيده قائداً عدوا له ولم يوفق لذلك سوى ثلاثة من قواد الرومانيين . أولهم رومولوس بعد مقتل اكرون السنيني ثم كورنايوس كوسوس الذي قتل تولوميتوس زعيم الأترسكيين

ثم كلوديوس مارسولوس الذي قهر فيريدومار ملك الغاليين . وقد دخل  
الآخران الى روما فوق عربة يجرها أربعة خيول يحملان على اكتافهما اشارة  
النصر . وقد اخطأ دنيس في زعمه أن رومولوس استخدم عربة لانه من المؤكد ان  
تاركين ابن دامارات كن أول من أعلی شأن الانتصارات الى هذا المقام . من  
ملوك روما . ويقول البعض أن بيبايكولا هو أول منتصر دخل روما على عربة.  
أمارومولوس فان جميع تماثيل انتصاراته في روما تمثال على أقدامه

بعد هزيمة السنينين وبينما كان السابيون يستكملون استعدادهم  
اجتمع اهالى فيدان وكروستوم ريوم واتيتيم وهاجوا الرومانيين فلم يكن نصيبهم  
سوى الفشل فاخذت مدنهم وقسمت اراضيهم بين الفاتحين واخذوهم الى روما  
بمجردين وقسم رومولوس املا كهـم بين الوطنيين تاركالا باء البنات المختطفة املا كهـم  
اهاجت هذه الفضائح غضب السابين فعدوا لواء الرياسة لتاتيموس على جميع  
جيشهم واخذوا سمتهم الى روما . لم يكن الدنو من المدينة امرا يسيرا اذ كانت  
تحوى مدخلها القاعة المعروفة الآن بالكابول تحت قيادة تاريوس ، لا ابنته ،  
تار بيا كما يزعم بعض الكتاب الذين ينسبون الى رومولوس حماقة سخيفة والحقيقة  
ن تار بيا ابنة القائد اشتهت الاساور التي كان يلبسها السابيون في معاصمهم اليسرى  
فعاهدتهم ان تفتح لهم ابواب القلعة نظير اعطائها مايلبدون من الاساور عاهدها  
تاتيموس على ذلك وفتح لهم ليلا أحد ابواب القلعة فدخلها السابيون ولسان حالهم  
يقول مع انتيجونيس « أحب الذين يخونون اما الذين خانوا فلا » او يردد ما قاله قيصر  
اغسطس في تراس ريميتالك « أحب الخيانة اما الخائن فلا . وهذه حال كل من  
يستخدم الاشرار مثلهم كمثل من يستخدم سم الحيوانات السامة يسر بوجودها  
عند الحاجة ولكنه متى اخذ منها ما يحتاجه كره ما انطوت عليه من شر . وهذا  
شأن تاتيموس مع تار بيا امي السابين وفاء بالعهد ان لا يضنوا عليها بما يلبسون  
فزرع هوسواره والقاه على راسها مع درعه واقتدى به الجنود في بعض وقت على تار بيا



وهي هدف فلم حتى ستمت قتيبة تحت عباء الذهب والدروع .

ويقول سولبيتيوس على مارواد جوبا ان رومولوس اعدم تاربيوس جزءاً  
حياته . وهناك روايات عن تاربييا غاية في السخف منها قوهم انها ابنته . تاتيوس  
قائد السابينين اكرهت على المقام مع رومولوس وسمنت القلعة الى ايديها فعاقبها على ما  
الخيانة هذه رواية انتيجينوس (١) اما الشاعر سيميوس (٢) فتدكن مخرفاً في .  
زعم من انها لم تسل القلعة للسابينين بل للغالين الذين احبت وليكهم حباً جمّة  
واليك اشعاره .

« هناك على قمة الكابيتول كنت تسكن تاربييا التي احدثت خراب قلاع  
روما اشتد بها الشوق للزواج من ملك السلت ، فلم تصن بيت ابائها .  
ثم يقول في موتها

ان البويين وجميع امم السلت ، لم يقصوا شعرهم على قبرها وراء نهر اليبو :  
بل انزعوا سلاحهم عن اذرعهم الخريبة ورموا بها تلك الفتاة العسة  
فكانت حلة جنازاتها .

دفنت تاربييا في هذا المكان وعرف باسم « التاربيين » حتى جاء تاركان  
القديم وكرسه باسم جوبتيرونقلوا عظام تاربييا واتخذوا المكان اسماً غير اسمها . على  
أنه لا يزال بين مصخور الكابيتول صخرة تدعى حتى اليوم الصخرة التاربية وهي  
التي يقدفون منها المجرمين .

ولما رأى رومولوس أن السابينين امتلكوا القلعة دفعته سورة الغضب الى  
اعلان القتال فقباه تاتيوس بلا تردد وانما ان طريقه الى التراجع مأمونة اذا  
اضطر الى ذلك . وكان موقع القتال محصوراً بين الجبال وكان القتال صعباً على  
الجانبين لسوء حالة الأرض حيث الميدان ضيق لا يسمع بالحرب من العدو ولا

١ وليس هو الضابط المشهور فهذا يدعى انتيجينوس كاستيوس وكان في عهد بطليموس  
في ايلدلفوس وله مؤلفا في تاريخ ايطاليا ومجموعة تاريخية عظيمة .

٢ شاعر يوناني قليل الشهرة . الف تاريخ ايطاليا شعرا .

بمطار دته . وكان نهر التبر قد طفي قبل ذلك بأيام فترك الأرض المعروفة اليوم باسم (فوروم) (ندوة المدينة) موحلة لا ترى فيها العين شيئاً فلا سبيل لاجتنابها ولا سبيل للهرب . وكانت الأقدام تغوص فيها . كاد السابيون لجهاهم المكان ان يقوم اقيم ألوم تنقذهم صدقة حسنة . ذلك أن كورتيوس وهو جندي شهير اخذته كبرياؤه وشجاعته وشهرته فاندفع بجواده بعيداً عن رفقه ففانص به الجواد في الوحول أعمل سوطه وصوته لانهاض جواده على غير ضائل ولما رأى أن جهوده تذهب عبثاً ترك الجواد ونجا بنفسه . ولا يزال المكان يعرف حتى اليوم ببركة كورتوس

ولما حذر السابيون هذا الخطر تقدموا للقتال وحمى وطيس الحرب لا تعرف مغبته هلك اثناؤها من الجانبين خلق كثير بينهم هوستيلوس زوج هرسيلى . وهو على ما يظن جد تولوس هوستيلوس الذى صار ملكاً على روما بعد «نوما» تعددت المعارك فى أيام قليلة ولكن الأخيرة كانت أشهرها حيث أصيب رومولوس بجرح فى رأسه من حجر كان يقتله فانقطع عن مقاومة السابينين وفى هذه الأثناء ثنى الرومانيون زيل الفرار وتعقبهم الأعداء حتى جبل بالاتين واذ كان رومولوس قد شفى من جرحه قليلاً نادى بالهاربين يعيدهم إلى صفوفهم وصاح بهم بكل قواه ان يثبتوا للعدو وأن يقفوا في وجهه واذ رأى ان الفرار عاماً وليس من أحد يجسر على العودة رفع يده الى السماء وتضرع لجوبتير أن يقف الجنود وينقذ روما من الخراب . وما فرغ من صلاته حتى رأى عدداً كبيراً من رجاله خجل من رؤية الملك وحده وحلت فيهم الشجاعة محل الفرع . فوقفوا فى المكان المعروف الآن بهيكل جوبتير ستاتور فنظموا صفوفهم للسابينين ودافعوا هم حتى ردوهم الى المكان المعروف الآن باسم راجيا وهيكل فستا .

و بينما هم يتأهبون لمعاودة القتال وقف الجميع أمام مشرب غريب يعجز القلم عن وصفه . ذلك أن السابيات المسبيات جرت بين الجميع تصيح بهم

صبيحات الفزع والالم استولى عليهن رعب الهى فاندفعن بين المحاربين والقتلى متقدمات الى ازواجهن وابائهن تحمل طائفة منهن الابناء فوق اذرعتهم والاخريات حملولات الشعور يدعون السابقيين والرومانيين باعز الاسماء تاتر المتقاتلون وافسحوا لمن مكاناً بين الجيشين بلغ صياحهن آخر الصفوف وكان منظرهن يملأ القلوب حناناً وبلغ أشده قوتهم بعد اليوم الحر العادل

«ماذا جئنا؟ بآية جريمة أو اى ذنب استحقينا ما جئتم وما تجلبون علينا من الآلام؟. اختفظنا رجال بالقوة رغم كل شريعة واصبحنا منهم. ولم يفكر فينا اخواننا واباءنا وأقاربنا الا بعد أن صار هؤلاء الرومانيون الذين كنا نبغضهم اعداء علينا. واصبحنا نألم ونبكي لقتال أولئك الذين حملونا قسوتهم وظلمهم لم تأتوا لناخذوا بشارنا أيام كنا لا نزال عذارى وجئتم اليوم تنتزعون نساء من أزواجهن وامهات من البنائهن! يا ويلهن! لم يسؤنا نسيانكم ايانا كما تسؤنا اليوم عودتكم هذه ثمار العطف والمحبة التى لقيناها من أعدائنا وهذه ثمار عطفكم علينا! اذا كان هناك باعث آخر حملكم على حمل السلاح لكان الواجب أن تعدلوا عن ذلك! كراماً لنا نحن اللواتى جمعنا بينكم وبين من تحسبونهم اعداءكم بروابط القرابة والصداقة. اما اذا كنتم تحاربون من أجلنا فخذوا معنا أصهاركم وأحفادكم أعيذونا الى آبائنا وأقاربنا دون تحرمونا من أزواجنا وأبنائنا. انا نضرع اليكم أن توفروا علينا استعباداً جديداً.»

الحت هرسيلي بشدة وانضمت اليها رفيقاتها وأخيراً وقفت الحرب وتفاوض الزعماء وكانت النساء تجمع بين أزواجهن وأبنائهن وبين آبائهن واخوتهن تقدمن المؤنة للمحتاجين وتنقلن الجرحى الى منازلهن تضمه جراحهم وتواسيهم وتربيهم مكانتهن من أزواجهن وكيف انهن موضع عطف واحترام الجميع. وبعد ذلك تم التعاقد على ما يلى:

ان النساء اللواتى ترغبن المقام مع أزواجهن لا ترغمن (كما قلنا) على شيء.

سوى غزل الصوف . وان يشترك السايون والرومانيون في سكنى المدينة . وان يبقى لها اسمها ( روما ) من اسم رومولوس . وان يطلق على الرومانيين اسم الكريتيين أيضا نسبة الى وطن تاتيوس . وان يتولى الحكم تاتيوس ورومولوس بالاشتراك وأن يقتسما قيادة الجيوش ولا يزال المسكن الذي عقدت فيه المعاهدة معروفة باسم « كوميس » المجتمع ( محل الاجتماع ) واذا تضاعف عدد سكان المدينة اخذ من السايين « مايا شيخ » انضموا الى الندماء وزيد عدد الفرق كل الى ستة آلاف راجل وستاية فارس وقسم الشعب الى ثلاثة فرق الاولى رامننس ( من رومولوس ) والثانية تاتيننس ( من تاتيوس ) والثالثة لوسيرنس ( المقدس ) نسبة الى الغابة المقدسة التي افتتح فيها رومولوس ملجأ ولجأ اليه اغلب الذين عرفوا باسم وطنى روما : اما انهم لم يقسموا في بدء امرهم الا الى ثلاث قبائل فمعروف من اسماء القبائل او الفرق ؛ ومن لقب الزعيم الذى يلقب به رئيس كل منها تحتوى كل منها على عشرة اقسام ، يزعم البعض انها دعيت باسماء الساييات ولكنه زعم خاطئ لانها اسماء اما كن . وقد خصت النساء بكثير من امتيازات الشرف والتكريم بخلى هن اسمى مكان فى الطرق ولا تلفظ فى حضرتهم كلمة غير شريفة ولا يترأى هن احد عاريا . وان القضاة الذين يعرفون جوايم خطره كبرى لا يذكرونها فى المحاكم . وان يلبس ابناءهن حلى تدعى فتاقيع لتشابهها فتاقيع المياه . وان يلبسوا ثيابا بارجوانية مزركشة .

لا يجمع المالكان المجلس كله ليعرض عليه ما يبعد من المسائل بل ينفرد كل منهما بدرسها درساً مبدئياً مع شيوخه ثم يعتمد المجلس لفصل فيها وكان تاتيوس يسكن المكان المعروف الآن بهيكل مونيتا وكان رومولوس يسكن المكان المعروف باسم درجات الشاطى الجليل الواقعة فى الطريق الذى يمر به السائر من جبل بالاتن الى الملعب الكبير

ويقال ان شجرة الزيزفون المقدسة كانت فى هذا المكان وهى التى تروى .

عنها القصة الآتية : اراد رومولوس ان يتمتع قوته فرمى من اعلى جبل افانتين رمحا كن خشبه من الزيزفون فنفذ فى الارض حتى صار من الخال اخراجة . واذا كانت الارض جيدة نبتت فيها الشجرة وامتطت جذورها وتشعب غصونها عنى خلفاء رومولوس بهذه الشجرة غيرة منهم على صيانتها اذ كانوا يعتبرونها أثرا مقدسا فحاطوها بسياج فذا مر بها انسان ورأى ورقها ذابلا لقلة ( الرى ) انطلق فى المدينة ينشر هذا النبأ فيقتصيح الناس الماء ! الماء ! كُن هنالك حريق فتسرع الناس من كل جانب يحمل كل اناء مملوا ماء . ويقال انه عند ما كان كايوس قيصر يصلح تلك الدرجات اضر العمال وهم بحفرون ، بجذور تلك الشجرة على غير انتباه فذبات تواضع الساييون على استعمال شعور الرومانيين وقد ذكرنا فى حياة توما كل ما لهم فى هذا الموضوع . واخذ رومولوس عنهم الدروع الطويلة واستعملها هو واجند الروماني بدلا من دروعه . وكان الشعبان يشتركان فى تقدماتهم واعيادهم بدون ان يعطل كل منها اعياده الخاصة . انشاءوا اعيادا وتقدمات جديدة . ومنها عيد ماترونال ( الامومه ) حيث تسكرم النساء اعترافا بفضلهن فى عقد السلام ومنها عيد كرمنتال وكرمنتا على ما يقول البعض هى احدى الهات الجحيم التى تتحكى عند ميلاد الذكور ولذلك كانت الوالدات تخصصها بالعبادة . ويقول البعض انها زوجة ايفاندر اتركادى وهى نبيه هامة تنطق بالوحى شعرا فلقبت كرمنشتا من كلمة كرمينا اللاتينية ومعناها شعر . واسمها الحقيقية نيكوستراتا باتفاق جميع الكتاب . وبالرغم من هذا يقول البعض على شىء متى الحق ان كرمنشتا معناها فقدان الخواس . اشارة الى ما كان يعتريها من الهذيان اثناء حمى التنبوء . لان كلمة كريبا اللاتينية تفيد الحرمان او فقدان وكامة منس تؤدى معنى الفهم او الادراك قد تكلمنا عن عيد باليلي وعيد نوبارك فهو باعتبار مايجرى فيه عيد كفارة وهو احد ايام فبراير المشومة ، ومعنى اسم هذا الشهر التكفير . وكان يدعى هذا اليوم فيما مضى « فيرواتا » اما عيد لو بارك فعناد عيد الذئب وفى هذه التسمية

ما يدل على قدمه وأنه نشأ في عهد الأركاديين أصحاب أفندر على أن هذا لا يصح أن يكون سببا . فقد يكون هذا الأسم مأخوذا من الذئبة التي كانت تغذى رومولوس ؛ وأنا لنرى في واقع الأمر أن اللوبار كين يبدأون شوط الجري من المكان الذي عرض فيه رومولوس على ما يقال . ومع ذلك ففي بعض ما يجري أثناء هذا العيد ما يلقي شيئا من الغموض على أصله حيث يذبحون معزا ويقر بون طفاين من عائلة شريفة يمسها القايمون بالتقدمة بسكين دامية . يتلوهم آخرون يمسحون الأثر بخرقه من الصوف مغموسة في اللبن . ومتى تمت هذه العملية يضطر الطفلان للضحك ثم يأخذ اللوبار كيون جلود المعز يصنعون منها حزمة ويجرون عرايا لا يسترهم سوى حزام من الجلد يضربون بالسياط كل من يقابلونه ولكن الزوجات الصبايا لا تفر من هذا الجلد لاعتقادهن أنه ذا أثر صالح في الحمل والوضع . ومما يجري في هذا العيد أن الرا كضين يضحون بكاب . ويزعم بوتون ( كاتب يوناني الأصل مجهول . ) وقد اصطنع اشعاراً ذكر فيها عادات الرومانيين لا تستند إلا إلى خرافات . يزعم هذا الشاعر أن رومولوس بعد أن قهر أموليوس جرى فرحا حتى المكان الذي كانت الذئبة ترضع فيه الطفاين ثديها وأن هذا العيد تقليد لجريه . وأن أدفال العائلة الشريفة تجري « وتضرب في سبيلها كما كان رومولوس وراهوس يجريان والسيف وصلت في أيديهما من ألبا .

ويقول أن مسألة مس الجباه بالسكين الدامية إشارة إلى ما حدث ذلك اليوم من المذابح والمهالك . أما الاغتسال باللبن فإشارة إلى أول غذاء أعطى للطفلين .

أما كايوس اسيليوس وهو خطيب الشعب سنة ٥٥٦ لروما وضع مؤلفا باليونانية عنوانه التواريخ . فيزعم أن رومولوس وراهوس قبل إنشاء روما ضلا أثر قطعانها وبعد أن تقربا بتقدمة للاله « فون » اله الحيوانات . نزعا ثيابهما لكي لا تعظمهما الحمرلة وأخذا في الجري لذلك يجري الرا كضون في العيد عريانين .

أما التضحية فيمكن القول إذا فرضنا أنه عيد كفارة حقيقة فإنه ضحية خليقة بالتطهير: لأن اليونانيين أنفسهم يضحون بهذه الحيوانات فيما يشبه ذلك من التقدّمات وما أكثرها عندهم (انظر كتاب المسائل الرومانية لفلوطارخوس المسألة (٦٨) إذ كانت تنطوي على الاعتراف بفضل الذئبة التي غذت واخذت رومولوس فلا غرابة أن يضحي بكلب وهو العدو اللدود للذئب وقد يكون عقاباً لأنه يعطل اللو باركين في ركضهم . ويقال إن رومولوس هو الذي أنشأ عبادة النار المقدسة وأنه عهد برعايتها إلى عذارى تعرف باسم الفستال ويعزو البعض انشائها إلى نوما مع الاعتراف بأن رومولوس كان تقياً جداً وعالماً بفنون العياقة وكان يحمل عصا الفال وهي عصا مقوسة الطرف تستخدم عند مراقبة الطيور لتحديد مناطق السماء وكانوا يحرصون على الاحتفاظ بها في القصر . وقد ضاعت عند ما أخذ الغالون روما ولكن بعد طرد أولئك المتوحشين (البربر) وجدوها تحت كومة من الرماد لم تمسها النار باذى مع أنها التهمت وابتلعت كل شئ في الضواحي

ويعدون بين الشرائع التي سنّها رومولوس جريمة قاسية جداً وهي تحرم على النساء مفارقة أزواجهن وتحويلهنّ لغيرهنّ طلاق النساء إذا اقترفن جريمة التسميم (دس السم) أو ادعاء الأطفال أو امتلاك مفاتيح مزررة (مقلدة) أو لعلّة الزنا . أما إذا طلق الرجل امرأته لغير إحدى هذه العلل فتأخذ الزوجة نصف ماله وتعطى النصف الثاني للالهة سيرس . ويلزم الزوج بتقديمه لالهة الحجيم .

ومن أغرب ما يؤخذ على رومولوس أنه لم يذكر جريمة « قتل الوالد » وإنما يطلق هذه الجريمة على كل من قتل انساناً . كأنه يعتبر جريمة قتل الانسان جنابة لا تغتفر وأنه من المحال أن يقتل الولد أباه . والحقيقة أنه مضى على روما ستمائة سنة لم تقترف فيها ما يشبه قتل الوالد . وكان لوسيوس أوستيوس أول من اقترفها وذلك بعد حرب هنيبال . وكفى .

حدث بعد مضي خمس سنوات على حكم تاتايوس أن جماعة من ذوى

قرباء قابلوا وفداً من لورنت قاصداً روماً فطمعت الجماعة في أموال  
المنافرين وأرادوهم على تسليمها فإني عليهم هؤلاء رحلهم ووقفوا ضمه وقف المنافع عن  
نفسه فتمهالت عليهم جماعة تاتيوس وقتلوهم فطلب رومولوس أن يسلم الجائون فمقاب  
ولكن تاتيوس أخذ يسوف ويماطل وكانت هذه أول مرة شجر فيها الخلاف بينهما إذ  
كانا سائرين معاً على اعتدال وانفاق ولما عبي اهل القتل اقامة العدل بسبب تاتيوس  
هجموا عليه وهو يندم مقدمة مع رومولوس الا لانه لا غنى يوم وقتلوه . والكنهم اضطروا عدل  
رومولوس وساروا حوله هاتفين . أخذ رومولوس جثة تاتيوس وأجرى له الجنازة  
الثلاثة بمقامه ودفنه في جبل اثنتين بالقرب من المكان المعروف باسم  
« أرميا وستورايوم » ولكنه لم يهتم بالانتقام له . ويزعم بعض المؤرخين أن  
أن اللورنتيين حدا بهم الخوف الى تقديم قتلة تاتيوس اليه فطلق سراحهم  
فلا لقد انتقم القتل للقتل . وكان هذا المسلك سبباً ما قيل بأنه ارتاح للتملص  
من زميل . ومع كل فلم ينشأ عن هذا الحادث اضطراب ما . ولم يتخذ السابيون  
ذريعة للمعصيان ضده . البعض عن طريق الخطب لشخصه والبعض خوفاً من  
بطشه والبعض احتراماً واعجاباً لانه في نظرهم إله . وكثير من الشعوب كان  
يخطف رومولوس بهذا النوع من الاكرام وهكذا أرسل اليه قدماء اللاتينيين وفداً  
ليعقدوا مع الرومانيين معاهدة اتحاد وصداقة .

ويزعم البعض أنه أخذ مدينة فيدين على غرة وهي قريبة من رومة . أرسل  
اليها أولاً فرساناً حطبوها متاريسها ثم اخذ الالهات على غرة . ويزعم البعض أن  
الفيديين هم الذين بدأوا بالاغارة على أراضي روما وخربوا القرى فكان ذم  
رومولوس وفجأهم عائدين وأخذ مدينتهم ولكنه لم يخربها ولم يهدم مبانيها  
بل أقام فيها جالية رومانية وأرسل اليها يوم عيد ابريل الفين وخمسمائة  
وطنى ليسكنوها .

وحدث بعد ذلك بقليل ان أصيبت روما بظاعون قتل وامتد حتى الى



الاشجار والحيوانات فعمت . وامطرت المدينة دما . فضيف الى هذا الشتاء رعب وهمي ولكنهم اذ رأوا الورثا حل بها مثل ما حل بالمدينة لم يبق لدى الاهالى شك في أنه محضب الله على المدينتين عقابا لمقتل تاتيوس وجماعة المسافرين والحقيقة انه منذ سلم الجانيون من الجانبين خفت وطأة الرباء وظهر رومولوس للمدينتين بكفارة يقال انها لا تزال قائمة حتى اليوم فعمل عند باب قرانيتين وقد هاجم الكابريون الرومانيين قبل انقطاع الرباء انقطاعا تاما وهمين ان هؤلاء قد اعيانهم الرباء فلا يستطيعون الدفع عن أنفسهم . ولكن رومولوس لم يضع الوقت سدى بل اسرع اليهم فبرز مهم تاركا في ميدان القتال ستة آلاف ، واستولى على المدينة ونقل من أهلها نصف الباقين الى روما وأرسل اليها من الرومانيين ضعف ما بقى بها من الاهالى وكان ذلك في شهر أغسطس . ولم يخض على بناء روما ستة عشرة سنة حتى غصت بالسكان على ما ترى . ووجد بين اسلاب الكامريوم عربة من النحاس الاصفر تجرها أربعة جياد . فقدمها رومولوس الى هيكل فولكان وأقام عليه تمثاله متوجا بتاج النصر .

كان له من تعظيم شأنه ما الحى الضعفاء من جيرانه السلطانه قائلين منه بالسلام . اما الاقواء فقد تولاهم الخوف والحسد وشعروا ان رومولوس جبار لا يستهان به . فيجب عليهم تعظيم تقدمه ومعاقبته . رأى « النيبون » انهم أصحاب اراض شاسعة ومدينة كبيرة فبدأوا العداء اذ طالبوه بان يرد اليهم فيدين باعتبارها احدى مدنها وهو زعم ليس فقط غير عادل بل أنه مضحك لصدوره من قوم لم يقدموا اية مساعدة للفيديين وقت الخطر ابدا . حاربهم مع الرومانيين ثم يأتون بعد سكوتهم عن قتل الرجال يطالبون ببيوتهم وارضيتهم بعد أن وضع عليها الغير يده . ولما طردهم رومولوس باحتقار قسدا جيشهم الى فرقين وجها احداها لمحاربة الرومانيين في مدينة فيدان والاخرى لملاقاة رومولوس فافاجت الاولى وقتلت من الرومانيين الفين ولكن الاخرى هزمت شر

هزيمة وقعت أكثر من ثمانية آلاف من رجالها ثم وقعت معركة أخرى بالقرب من نيدان شهد الجميع أنه كانت من عمل رومولوس الذي بذل فيها كثيراً من المهاراة والبسالة واظهر من القوة فوق طوق الانسان ولكن رواية القاتنين ان رومولوس قتل بيده نصف الاربعة عشر الف جندي الذين بقوا في حومة الوعى خرافة لاتصدق كما أن المساتين متهمون بالمبالغة لقولهم ان اريستومين قدم ثلاثة مرات مقدمة هيكاتوفوني لانه قتل ثلاثمائة سبارطي في ثلاثة معارك .

لم يله رومولوس ، باقتفاء اثر الفيين بل قصد لفورد مدينة فايس فلم يجد الأهالى مقاومة بعد تلك الصدمة . وقبل رجاءهم في ان يعتقد معهم معاهدة لمدة مائة سنة بشرط أن يسموا الرومانين جانباً كبيراً من اراضيهم يدعى السبع ( جزء من سبعة ) وان يسموا إليه الملاحات المجاورة للنهر وخمسين من كبارهم رهائن . وأقام رومولوس حفلة النصر في شهر اكتوبر بمرور اءه عدداً كبيراً من الاسرى بينهم قائد الفيين وهو شيخ سلك مسلك الطيش بدل أن يسير على ما يليق بخبرة سنه . ومنذ ذاك جرت العادة في حفلات النصر أن يأخذ شيخا الى الكابتول بعد الطواف به في الاماكن العمومية يصيح دونه المنادى ( سردي للبيع ) لان الاترسكيين يعتقدون أن جالية جاءت من سرد الى ليديا وعليه تكون فايس مدينة اترسكيه .

كانت هذه خاتمة حروب رومولوس لم يستطع بعدها اجتناب العثرات التي لا يقع فيها إلا القليل ممن نهض بهم الحظ الموفق إقمة السيادة والشرف . إذ دهم بنجاحه وامتلاء ثقة بنفسه واستخف بالجمهور وطني . واستاء الناس من بذخه في الملابس إذ كان يلبس الرداء الارجواني ومن دونه الفروة . وكان يعقد الجلسات وهو جالس على مقعد منقلب . يحيط به شبان يدعون الرا كضون لسرعتهم في تنفيذ أوامره . وكانت تمشي أمامه طائفة من هؤلاء يحملون عصيا يبعدون بها الناس عن طريقه يحملون أطواقا يغنون فيها من يأمرون بالقبض عليه ويطلقون

على هؤلاء لقب (المشاديد) لما كانوا يحملون من عدة يشدون بها الوثاق على المغضوب عليهم .

وقد آل الحكم الى رومولوس بعد وفاة جده نوميستور . على ألبا . ولكنه عامل هذا الشعب بكرم إذ نزل لهم عن حكومة بلادهم محتفظا لنفسه فقط بحق إرسال حاكم يقيم العدل بين الأليين . وكان هذا ميثاق الشهوات عطاء روما يطلبون السيادة على بلد مستقل لملك فيه يطاعون ويطيعون في وقت واحد . ولم يكن الشيوخ « أعضاء مجلس الشيوخ » أصحاب رأى في إدارة الحكم ولم تكن ألقابهم سوى علامات شرف إذ كانوا يدعون إلى المجلس بحكم العادة للمفاوضة والمناقشة ؛ يسمعون صامتين أوامر الملك . ولم يكن لهم من فضل على الجمهور سوى سبق المعرفة بما تقرر . ومما زاد صدورهم حرجا ان رومولوس بمنحض ارادته ، وبدون موافقتهم ولا استشارتهم ، وزع على الجند الاراضى المكتسبة ورد الى الفينين رهائهم .

رأى المجلس فى ذلك ذراية وامتهانا ، لذلك وقعت الشبهة على الشيوخ عند اختفاء رومولوس بعد ذلك بقليل ورماهم الناس بالظنون والتهم ، اختفى رومولوس فى أول شهر يوليو الذى يطلق عليه الآن اسم كنتليوس ، وكل ما يعرف عن حادثة وفاته انها وقعت فى ذلك اليوم . ولا تزال تقام الحفلات فيه ذكرى لهذا الحادث وليس فى اختفاء الحقيقة بالامر الغريب فقد وجد سيبليون الافريقى ميتا فى منزله بعد العشاء ولم يعرف أحد كيف مات . قال البعض إنه مات لكبر سنه وضعف بنيته ، وقال آخرون انه تناول سما . والمظنون ان اعداءه أغاروا على بيته ليلا وخنقوه ؛ على ان جثته عرضت على الجمهور وكان لكل انسان أن يرى فيها دليلا على كيفية موته . اما رومولوس فقد اختفى دفعة واحدة ولم يبق من جسمه اثر ولا من ثيابه خرقه . لذلك يظن أن الشيوخ وثبوا عليه فى هيكل فولكان وقتلوه وأخذ كل منهم قطعة من جثته يخفيها تحت رداءه .

ويقول البعض إن اختفائه لم يحدث لاني هيكل فولكان ولا في حضور الشيوخ وحدهم . كان رومولوس قد عقد ذلك اليوم جلسة للشعب خارج المدينة بالقرب من غدير العنزة . هبت فجأة عاصفة لا يستطيع القلم وصفها . وقامت في الجوز وبعة أخفت ضوء الشمس ، انتشر الظلام على الأرض ولم يسمع سوى دوى الرعد من كل جانب . وكانت رياح هوجاء تهب شديدة . استولى الذعر على الناس فاختفوا ولكن الشيوخ التفتوا حول بعضهم البعض هدأت العاصفة وعاد للنهار ضوءه ، وعاد الشعب إلى اجتماعه ؛ وكان أول همه البحث عن مله واستطلاع اخباره ، منعهم الشيوخ عن البحث والتنقيب وامروا جميع الرومانيين ان يقيموا عبادة رومولوس ، قائلين انه رفع الى مصاف الالهة . كان ملكا وديعا كريما فصار لىكم إلها . صدق الشعب اقوالهم وعاد بين الفرح والامل وعكف على عبادة الهه الجديد . ولكن الريب والانتقام اوغرا صدور البعض فطلب كشف الستار عن الحقيقة . ازعجوا الشيوخ اذ اتهموهم بقتل الملك واخفاء الجريمة باحاديث مضحكة .

بينما كانت الحال على هذا الاضطراب اذ تقدم احد اشراف الشيوخ وهو رجل معروف بفضله وصدقه . مهيب الجانب وافر الكرامة محترم من الجميع ، يدعى يوليوس بروتوكولوس كاتم سر وصديق رومولوس وكان زميلا له في رحلته من ألبا الى روما . تقدم هذا الرجل الندوة العمومية ( الفوروم ) بحضور جميع الشعب واقسم واضعا يده على المذبح ؛ انه بينما كان سائرا ترآى له رومولوس في اجمل وابهى ما يكون يحمل سلاحا وهاجا كالنار ، استولى عليه الرعب عند رؤيته وانه صاح به : ماذا جنينا ايها الملك ؟ لماذا تركتنا غرضا لتهم ظالمة وتركت المدينة كاليتيم غارقة في الحداد ؟ اجابه رومولوس هندا رادة الالهة يا بروتوكولوس بعد ان عشت بين الناس زمنا طويلا و بنيت مدينة ستفوق جميع المدن قوة ومجدا واذا كنت ابن السماء فقد عدت للمقام في السماء . وداعا اذهب وقل للرومانيين : ان لهم من الاعتدال

والشجاعة خير الوسائل لبلوغ قمة السيادة . اما انا فساكون اله الوحي مختار النفس  
اسم « كيرينوس » آمن الرومانيون بصدق هذه الرواية ثقة منهم بصدق راويها  
وقسمه . استشعر كل منهم بتأثير قاهر ووحى الهى ولم يفكر احد فى المعارضة وعدلوا  
عن ظنونهم وخر الجميع ساجدين ومصلين لكيرينوس ضارعين ضراعتهم لاله .  
تشبه هذه القصة مايزعمه اليونانيون عن ارستياس البروكونزى وكليومد استبانه  
مات ارستياس فى دكان صقال واسرع اصحابه لاختد جثته ولكنهم وجدوها قد  
اختفت . وقال جماعة آتين من سفراتهم لقوه فى طريق كروتون . اما كليومد فكان  
رجلا فى بنية وقوة لامثيل لها والسكنه كان عرضة لنوبات جنون وغضب تدفعه الى  
اعمال غاية فى الشدة والقسوة . دخل يوما مدرسة اطفال وضرب عمود القبة فخطمه  
وسقطت القبة على الاطفال وسحقتهم ولما رأى كليومد الناس ينجرون وراءه دخل  
صندوقا واغلقه عليه وشد على بابه بقوة لم يستطع الناس فتحها متالين فاضطروا  
لكسر الصندوق ولكنهم لم يجدوا به الرجل حيا ولا ميتا . بلغت الدهشة منهم  
اشدها فبعثوا من استوحى لهم وحى ولف مخبأهم النبأ الآتى : ان كليومد استبانه  
اخر الابطال . ويقال ايضا ان جثة الكيمين اختفت بينما كان الناس يسرون  
بها الى الحريق ولم يجدوا مكانها سوى قطعة حجر . وهناك كثير غير هذه من  
القصص التى لا تقل عن هذه بعدا عن الحقيقة اراد بها واضعوها ان يشركوا الانسان  
الفانى مع الالهة فى الخلود . حقيقة انه من الكفر والحسد ان ننكر ما فى الفضيلة من  
الصفات الالهية ولكن من الغباوة ان نخلط بين السماء والارض . لنحرص على  
الحق ولنقل مع بنداد : ان اجسام جميع المخلوقات خاضعة لسلطان الموت ، ولكن  
هناك صورة تعيش ابداً وهى صورة ما يأتى اليها من الالهة ان هذا  
الجزء من الالهة وهو يعود اليهم لامع الجسد بل بعد ما يتخلص من الجسد .  
اذ ينفصل عنه تمام الانفصال ويصير طاهراً نقياً لا يتصل بشيء من الجسد  
الفانى . قال هيراكليت ان النفس وحدها هى الكاملة ، تنطق من الجسد انطلاقاً

البرق من السحاب . اما التي انغمست مع الجسد وصارت شهوة جسدية فهي كالبخار الـكثيف القائم تلهب بصعوبة وترتفع ببطء . فلنحذر ان نرسل الى السماء مع نفوس الابطال اجسامهم التي تأتي عليها طبيعتها ذلك . انما نرسل مع نفوسهم فضائلهم : فيكون من المؤكد انهم بفضل العسل الالهى يتجولون من اناس الى ابطال ومن ابطال الى عبقرين . ومضى لهم السلام ونالوا الرضى التام واجتنبوا كما يفعل المتقدمون فى الاسرار ، شهوات الجسد الارضية النائية حينذاك ينقلون الى مصاف الآلهة لايرسوم أوقرار على وبروح الحقيقة وانها نقضاء شرعى وهناك ينعمون باجمل وابهى سعادة .

وقد اختلفت الاقوال فى لقب كيرينوس الذى أعطى لرومولوس ، يقول البعض ان فى معنى كلمة « مارس » ويقول البعض انه نحت من نكة « كيريت » التي أطلقت على الرومانيين ، ويقول البعض ان القدماء كانوا يدعون حديد الرمح أو الرمح ذاته « كيريس » ويدعون تمثال جوتون الذى يضعونه أعلى الرمح كيريتيس ، وكانوا يدعون الرمح الذى يقدسونه فى القصر « مارس » . وكان يعطى المتفوقين فى الحروب رمحا مكافأة لشجاعتهم ، وعليه يكون رومولوس قد دعي كيرينوس لانه كان محبوبا من مارس أو لانه اله سلاحه الرمح . وقد أقيم لهذا الاله هيكل على الجبل المعروف باسم ( جبل كيرينال ) أو الكيريني عرف يوم اختفائه بيوم هروب الشعب ، وعذارى كبرائين ( العنزة ) ( كبرا كلمة لاتينية معناها العنزة ) . وكانوا يقدمون فى ذلك اليوم القرابين خارج المدينة بالقرب من مستنقع العنزة وكان من عاداتهم عند خروجهم لتلك التقديم ان يتصايحوا منادين أسماء مختلفة مثل ماركوس ، لوسيوس كايوس تشبيها وتقليدا لما وقع منهم أثناء فرارهم . اذ كان الفرع قد ذهب بصوابهم واختلط عليه حتى معرفة الاسماء . ويقول البعض ان ذلك لم يكن تمثيلا لخرقة ولكنه تمثيل لاناس يسرعون مهرولين . واليك السبب . لما طرد كاهن جيوش السلتيين عن المدينة

وكان الاهالى قد كدهم التعب وخارت قواهم . عندذاك اجتمعت شعوب من اللاتيوم على رأسهم ليفيوس يوستيميوس وقفوا بجيوشهم أمام روما . أرسل قائد الشعوب مناديا ينادى : ان اللاتينيين يريدون تجديد المعاهدة القديمة التى كادت تتلاشى وانه يحب ان يحدد اتحاد الامتين بروابط زواج جديدة : فاذا أرسلت اليهم عذارى وأرسل فتية كانت بينهم صداقة على مثل ماحدث لهم مع السابين اضطرب الرومانيون لهذه المطالب وداروا فى أمرهم بين حرب يخشونها وبين ارسال نساء يجعلهم ارسالهن فى حكم الخاضعين لللاتينيين . وبيناهم فى حيرتهم جاءت جارية تدعى فيلوتيس وفي رواية أخرى توتولا . ونصحت لهم ان يعتمدوا الى حيلة توفر عليهم عناء الحرب وتخليهم من قبول تلك المطالب . اما الحيلة فهى ان يرسلوا الى العدو فيلوتيس ذاتها ومعها أخريات من حسان الجوارى الرقيق . يلبسن ثياب الحرائر . ومتى جن الليل ترفع مشعلا موقداً من معسكر الاعداء فيخرج اليهم الرومانيون مسلحين يأخذونهم على غرة وهم نيام : قبل رأى تلك المرأة ووقع اللاتينيون فى الفخ رفعت فيلوتيس المشعل من اعلى شجرتين برقة . وأسدت بين المشعل ومعسكر العدو ستائر وابسطة تحفى عنه ضوءه . رآه الرومانيون وهرولوا مسرعين يتنادون . اخذوا العدو على غرة ومزقوا شمله شرمزق . واحتفاء بهذا النصر يقيمون عيد هرب الشعب ويدعون يومه يوم عذارى شجرة التين ، يؤدبون فى ذلك اليوم وليلة للسيدات فى ظلال اشجار التين . وتطوف نساء الرقيق لاعبات تترامى بالحجارة تقايماً لما كانت تصنعه الاماء مساعدة للرومانيين اذ كن يرمين العدو بالحجارة . لم يذكر هذه الرواية إلا قليل من المؤرخين على أن طريقة التنادى والخروج نهاراً وتقديم القرابين بالقرب من غدير مستنقع العنزة أكثر ملائمة للرواية الأولى هذا اذا لم تكن الحادثة قد وقعت فى يوم واحد لازمنة مختلفة ومهما يكن من أمر هذه الروايات فان رومولوس قد اختفى من بين الناس وهو فى الرابعة والخمسين من عمره وفى السنة الثامنة والثلاثين لحكمه

## الموازنة بين تريوس ورومولوس

هذا بالاستطاعت جمعه حقيقاً بان يذكر عن تريوس ورومولوس . رأينا تريوس حراً غير مكره وفي وسعه ان يخلف جده في حكومة لا تنقصها الأبهة وان يعيش ناعم البال في ترازين رأينا يقدم من تلقاء نفسه وثاباً على العظام . ورأينا رومولوس على حد قول افلاطون لا يجراً على العظام الا عن خوف وفرار من الرق الذي كان يعيش فيه ، ومن عقاب الموت الذي كان يهدده ، وكان اخطر ما قام به هو قتله ظالماً واحداً هو حاكم البيا . اما انتصارات تريوس على سيون ، وسنبس وبرو كرست وكورنت ، لم تكن سوى لهو وطلائع اعمال . لم يكن حين اهلك أولئك الطغاة وقضاؤه على طغيانهم وانتقاده اليونانيين من شرهم معروفاً ممن احسن اليهم كل هذا الاحسان . اصف الى ذلك انه لو اراد السفر بحراً لسافر مطمئناً آمناً جانب أولئك السفاحين . اما رومولوس فلم يكن له من سبيل للطمأنينة مادام اموليوس حياً واليك دليلاً على تفوق تريوس انه دون ان تصل اليه اية اهانة شخصية انحط على أولئك الاشرار خير الاخرين . اما رومولوس واخوه فكانا يعيشان مطمئنين مادام بعيدين عن اذى الطاغية لايباليان بما يصيب الناس من شره . ولئن برهن رومولوس على بسالة حين جرح في حربته مع السايين ، وحين قتل أكرتون بيده وحين انتصر على اعدائه في حومة الوغى ، فلاندرى كيف نوازن بين هذه الاعمال الجليلة وبين حروب تريوس مع المونيستور والمترجلات ( الامازون )

اما اقدام تريوس على تحرير اتيينا من الضريبة التي كانت تدفعها الى كريت وسفره مختاراً مع الفتيان والفتيات وتعرضه لخطر الموت فريسة المونيستور او الذبح على قبر اندروجيه او احتمال نير العبودية من قوم معروفين بغلظة أكبارهم وقسوة طباعهم . فلا نستطيع التعبير عما يستلزم هذا الاقدام من الشجاعة وعظمة النفس والاخلاص للخير العام . يلها من رغبة شديدة في المجد والفضيلة . لا اظن



الفلاسفة مخطئين في قولهم ان الحب قانون وضعته الآلهة لحماية الناس وحفظ  
 كياناتهم (١) ان حب اورد يادنه كان ولا شك من عمل الآلهة استخدمته لإنجاة  
 تزيوس فلا تلوم من اولعت به ذلك الولع الشديد بل يجب ان ندهش من أن  
 جميع الرجال وجميع النساء لم يحملوا له مثل هذا الحب . ولكن استطيع القول  
 ان هذا الغرام الذي احسنه وحدها هو الذي جعلها أهلاً لحب اله ، لان من  
 احبته كان الجمال والخير والبطولة . ولقد احبت فيه من أحب الجمال والخير والبطولة .  
 خلق تزيوس ورومولوس ايحكما وكلاهما لم يعرف الحرص . على طبيعة  
 الملك : امتننا الملكية احدهما عن طريق الديمقراطية والآخر عن طريق  
 الاستبداد ، سقط كلاهما في غلطة واحدة عن طريقين مختلفين . ان أول واجب  
 على من يتولى الحكم هو صيانة المملكة . يجب عليه أن يجتنب مالا يجب  
 ويأخذ بما يجب واذا زاد في لينه أو شدته لم يعد ملكا ، ولا رئيس شعب بل  
 يكون مملوكاً أو ظالماً يجلب على نفسه البغض او الاحتقار . ينشأ احد هذين العيبين  
 عن الدعة والانسانية وينشأ الآخر عن الأنانية والقسوة .

اذا لم تلق تبعه شفاء الناس على القدر وحده . ورائنا من الواجب ان نقدر  
 مالاضطراب العقول والقلوب من الاثر ، فلا يسعنا الاغضاء عن الغضب الاعى  
 والانفعال المشهور اللذين ركبهما رومولوس ضد أخيه وتزيوس ضد ابنه . واذا  
 راعينا الظروف كان أولاهما بالعذر من كانت أسباب هياجه خطير ، وكانت  
 صدمته أشد عنفاً . شجر الخلاف بين رومولوس وبين أخيه على مسألة عامة تحت  
 المداولة ولا يمكن ان نفهم كيف ذهب به الانفعال إلى ذلك الحد . اما تزيوس  
 فكان في ثورته ضد ابنه خاضعاً لمؤثرات قوية لم يستطع التغلب عليها إلا لتليل  
 من الناس : الحب والغيرة دوشايت امرأة . وهناك فارق عظيم : انتهى غضب  
 رومولوس الى عمل وفاجعه ، اما غضب تزيوس فانتهى الى سباب ولعنات

وهي الانتقام العادى للشيوخ . اما نكبة ابنه فمن صنع القدر . وعليه يتعين علينا ان نعطي الافضلية في هذه المسألة لتزيوس .

يمتاز رومولوس أن سلطانه بدأ حقيراً اذ كان هو واحود عبيدين معروفين انهما أبناء راعي الخنازير ، حررا أنفسهما قبل أن تتحرر جميع الشعوب اللاتينية تقريباً ونالا أعظم الالقاب وأمجدها ، انتصرا على اعدائهما وانقذا الاهالى ، وحكما الامم وأقاما المدن وأنشأها دون أن يعمدا الى نقل السكان كما فعل تزيوس الذى فخر بمدنا مأهولة قديمة معروفة باسماء ملوك وأبطال لكي يجمعها هيئة واحدة ومركزاً واحداً . يمتاز رومولوس أيضاً بالزامه الشعوب المغلوبة على أمرها بهدم مدنهم والسكنى مع الفاتحين ولم يكن الغرض فى الاصل نقل أو توسيع مدينة انشاء كل شىء من لا شىء ، أوجد أمة ووطناً ومملكة وعائلات وروابط زوجية ومماهدات لم يصب أحد من جرائها موت ولا خراب بل كان العكس ، خيراً عظيماً لجميع اللاجئين الذين لم يكن لهم ملاذ ولا مأوى اجتمعوا ليكونوا شعباً ويصيروا وطنيين . لم يقل رومولوس قاطع طريق ولا عابثاً ، ولكنه أخضع أمماً ومدناً وأجرى فى موكب نصره ملوكاً وقواداً .

تضاربت الاقوال فى مقتل روموس ، يعزو البعض الجريمة الى غير رومولوس ومن المؤكد أنه انقذ والدته من الموت وأجلاس جده نوميكتور على عرش انياس بعد ما آل به الامر الى عبودية حقيرة .

أوفى له الخدمة راضياً ولم يسىء اليه حتى عن غير قصد . أما نسيان تزيوس أو اغفاله العمل بوصية والده فى تغيير شراع المركب فليس له فى اعتقادنا مبرر ولا تخليه البراهين المطولة ، فى نظر العدل القضاة من عقاب قاتل والده . تكلف أحد كتاب اثينا الثناء عليه فدعى أن يحجيه لما علم بقدم السفينة أسرع مهرولا الى القلعة ليراه عن بعد فزات قدمه وهوى . وكأن لم يكن معه أحد من حاشيته أو أتباعه .

ولا ندرى عذراً لتزيوس في اختطاف النساء ، ارتكب هذه الجريمة غير مرة ، سبي أريدنية ، وانتيوب ، وانا كسوس من ترازان وبعدهن هيلانه وهي دون سن البلوغ . سبي وهو شيخ طفلة صغيرة حين لم تكن شيخوخته لتسمح له بالذنو من امرأة وان كانت حلالا . على أنه ليس للسبي ذاته سبب معقول لان بنات ترازان وسبارطه والمرتجلات لم تكن له مخطوبات ولاهن أهلا لان تعطيه أبناء مثل الاتينيات بنات أربخته وسيكروب . فهو ولا شك موضع للتهمة وانه لم يسلك في ذلك سوى مسلك الهوى والشهوة

أما رومولوس فقد سبي مالا يقل عن ثمانمائة امرأة لم يخص نفسه بهن جميعاً بل اكتفى بواحدة وهي هرمليا وترك الاخريات لكبار الوطنيين . وقد ثبت من سلوك الرومانيين مع تلك النساء المسلك الحسن أن الغرض من ذلك السبي هو اتحاد الشعبين وهذا عمل حكيم وسياسة رشيدة . ، جمع بذلك الشعبين وجعل منهما أمة واحدة وكان ذلك منشأ الرعاية والود المتبادلين بين السايين والرومانيين ومنشأ قوة وسيادة رومولوس .

ان الزمن خير شاهد ينطق بما أوجده رومولوس في الاسر من الحياء والحب والوفاء ، اذ مضت مائة وثلاثون سنة لم يحدث فيها أن رجلا هجر امرأته او امرأة هجرت زوجها لم يعرف سوى الخبراء من اليونانيين اسم أول قاتل لبيه ، كما يعرف الرومانيون أن سبور يوس كارفيلوس أول من طلق امرأته على أنه كان له من عقمها عذر . هذه شهادة السنوات التي تلت حادثة السبي . وقد نجم الاتحاد عن ذلك ووزعت السلطة بين المالكين وسنت قوانين المدينة التي جرى عليها الشعبان . أما زواج تزيوس فانه على العكس من ذلك لم يجلب للاتينيين صداقة ولا عهدا بل عداوة وحروبا وقتلا شديعا : وقد انتهى بهم الى ضياع مدينة ( افيدنس ) ولم ينج اهله الا يشق النفس واطراح انفسهم على اقدام اعدائهم ضارعين اليهم كأنهم آلهة حتى

وثنا لهم واقالوهم من ان يصيبهم ما اصاب الترواويين بعد ان سبى اسكندر (١)  
 هيلانه ولم تنج والدته تريوس من الخطر اذ اصابها ما اصاب (ها كوبا) اذ تخلى عنها  
 ابنها خيانه ، اذا لم تكن هذه الرواية خرافة كما يقال عنها وسواها من حوادث تريوس  
 على أن ما ينسب للالهة من رعاية نحو تريوس ورمولوس يجعل بينهما فارقا كبيرا :  
 حمت الالهة رومولوس في ميلاده وكانت حمايتها ظاهرة بارزة في حين انه يظهر من  
 نهى الالهة لا يحببه ان يمس امرأة على ارض غريبة. ان تريوس جاء الى العالم بالرغم  
 من ارادة الالهة :

(١) هو المعروف باسم باريس عند اليونانيين

## ليكورجوس

نحو سنة ٨٨٤ ق . م .

لا تسمع كلمة عن ليكورجوس المشرع الا وسمعت ما يضاف لها . فقد اختلفت  
الاقوال في اصله واسفاره وموته حتى شرأله والحكومة التي انشأها ، واشدها  
اختلافا ما قيل عن زمن وجوده . من الناس من يقول انه كان معاصرا لافتيوس  
وانه عاينه على الهدنة ايام الالاب الاولمبية . ومن هؤلاء الفيلسوف ارسطو ،  
مستشريدين بالقرص الذي يعرض في اولمبيا وعليه اسم ليكورجوس ولكن أمثال  
اراتونستيم (١) وابرلودور (٢) الذين يحسبون الزمن باعتبار عدد ملوك اسبارطه  
يرجعون به الى عدة قرون قبل تلك الالاب ويزعم « تيا » (٣) انه وجد اثنان  
في اسبارطه بهذا الاسم في ازمنة مختلفة وقد نسبت الى اشهرها الاثنين ويقال  
ان اسبقهم عاصر هو ميروس ، ويزعم البعض انهما تقابلا ، ويريدنا كسونوفون  
على الاعتقاد بقديم عهد ليكورجوس اذ يرجع حياته الى زمن الهراقلة والحقيقة ان  
اواخر ملوك اسبارطه كانوا من هذه الاسرة واسكنه قوصد طبعها الاشارة الى خلفاء  
هراقل مباشرة على أنا بالرغم من هذه التناقضات التي يظهر التاريخ على سطحها  
سنمى فيما نورد من سيرة ليكورجوس باقل الحوادث تناقضا على ما تسمح به رواية  
الثقة

قال الشاعر سيمونيديان ليكورجوس لم يكن ابن ايمونوس بل ابن برتيانيس  
وبخالفه اكثر المؤلفين في هذا القول . كان والد ديوس يدعى باتروكلس بن اريستوديم  
وخلف ولدا يدعى اريتون . وهذا ، ولدا يدعى برتيانيس وهذا ولدا يدعى اينوموس  
ورزق ولدا من امرأته الاولى دعاه بولتيكيكتس وآخر من امرأته الثانية دياناس دعاه

(١) مؤرخ وفيلسوف وشاعر عاش في عهد بطليموس فيلوباتر (٢) انتهى له مؤلف دعاه  
المكتبة وكان معاصرا للمؤرخ السابق (٣) من صقلية وكان معاصرا للسابقين

ليكورجوس . ويزعم المؤرخ او تيكيداس أن ليكورجوس هو السادس من سلالة باتروكاس والحادي عشر بعد هرقل

كان سويوس أشهر أسلافه وفي عصره استعبد السبارطيون أهالي هيلوت ووسعوا أراضيهم باغتصاب جزء كبير من أراضي الاركاديين ويقال انه لما حاصر سديوس الكليطورين في مكان صعب لأماء فيه قبل النزول عن الأراضي التي اكتسبها السبارطيون بشرط ان يسمحوا له ولرجاله ان يشربوا من مياه النبع المجاور ، وبعد أن تبادل الجانبان الايمان جمع سويوس رجاله وأعلن فيهم انه يتنازل عن الملك لمن يمنع عن الشرب . فلم يقووا على ذلك وبعد ان شرب الجميع كان هو آخر من نزل الى النبع واكتفى بان رطب وجهه من مائه مستشهدا أعداءه الذين كانوا لا يزالون هنالك . فاحتفظ بالأراضي بدعوى ان الجيش كله لم يشرب ولكن بالرغم من اعجاب الجميع به لم يعط اسمه خلفائه بل دعوا لارينتونيين كنسبة الى ابنه والسبب على ما أظن أن اارينتون أول من تراخى في ساطة ملوك سبارطة المطلقة تملقا للجمهور واكتسابا للرضا

نشأ عن تسامح اارينتون ازدياد مطالب الشعب فكان خلفاؤه من الملوك موضع سخط الشعب كلما حاولوا ردعه بالقوة ، وموضع زداية كلما تراخوا بحاملة وضعفها . لذلك بقيت سبارطة زمنا طويلا فريسة للفوضى حتى ان احدهم الملوك وهو والد ليكورجوس ذهب ضحية بينما كان يفصل بين متشاجرين اصيب بطعنة سكين قضت عليه وترك الملك لابنه البكر بوليد كتييس فتوفي هذا بعده بقليل فكان المنتظر ان يتولى ليكورجوس الحكم والواقع انه صار ملكا لان احدا لم يكن يعلم ان زوجة اخيه حبلى ، ولما ذاع هذا الخبر قال ان الحكم من حق الطفل اذا كان ذكرا ولم يجز الاحكام الا بصفة وصيا . وكان من عادة السبارطين ان يدعو الوصى على الملك اليتيم قيا .

ارسلت اليه الأمل خفية من أفهمه أنه لو رضى بها زوجة وصار ملكا فلهما قتل

ثمرة احشائها . استفزع ليكورجوس لؤم طبعها ولكنه لم يرفض طلبها بل تظاهر بالموافقة قليلا أنه لا يرى حاجة للاجهاض فتد يؤذى الشراب المجهض صحتها ويعرض حياتها للخطر وانه سيجد متى ولد الطفل وسيلة للتخلص منه وبقى يأخذ هذه المرأة بهذه الحيل حتى جاءت ساعة الوضع فارسل اليها من بناته من يعينها على الوضع ويراقبها . فاذا ولدت بنتا سلمتها للنساء وان كان ابنا اسرعت باحضاره اليه معها يكن لديه من الاعمال . ولدت ذكراً وكان ليكورجوس يتعشى مع القضاة عندما احضرت الامينات الطفل اليه . اخذه بين يديه وخاطب الحضور قائلاً « أيها السبارطيون لقد ولد لنا ملك » . وضعه على العرش الملكي ودعاه خاريلاوس ( فرح الشعب ) لشدة فرح جميع الحاضرين واعجابهم بمظمة نفس ليكورجوس وعدله .

لم يحكم ليكورجوس سوى ثمانية شهور ولكنه بقي موضع احترام مواطنيه يصفون له الطاعة وينفذون اوامره احتراما لقضائله ولأنه صاحب الأمر الملكي والقائم بالسلطة الملكية . ولكنه لم يخل من الحاسدين يبذلون جهدهم للأضرار بهذا الشاب ، لاسيما اقارب الوالدة التي ادعت انها خدعت وقد اهان ليوتيداس ، شقيق الملكة ، ليكورجوس بلا حياء قائلاً « اعرف جيداً انك ستولى الحكم » اراد بهذه القرية اتهمه واثارة الخواطر ضده حتى اذا اصيب الملك باذى وقعت التهمة عليه ، وكانت الوالدة ايضاً تدعى مثل هذه المفتريات . فدفعه الحزن والخوف مما يخبئه القدر الى الابتعاد إتقاء هذه التهم واعتزم التجوال في العالم حتى يبلغ ابن اخيه سن الرجولة ويكون له وريث .

سافر وكانت أول رحلاته الى كريت فاخذ يدرس انظمة البلاد ويحدث كبار رجالاتها . فاستحسن بعض القوانين وحرص عليها ليحريها في سبارطة متى عاد اليها وتمكن برجائه وتودده من اقناع رجل هناك معروف بحكمته وعلمه السياسية أن يغادر كريت ويقيم في سبارطة . كان هذا الرجل يدعى تالس لا يرى فيه

مواطنوه سوى شاعر ولكنه تحت ستار الشعر كان يؤدي في الحقيقة مهمة المشرع العظيم ، وكانت قصائده نحض على الطاعة والوفاء ، بديعة النظم والتنسيق تملأ النفس قوة وإيماناً . تلتفت مزاج الجمهور وتوحي إليه حب الخير وتنفي روح البغضاء التي كانت تمزق شمل الاتحاد فهد على نوع ما ، السبيل أمام أيكورجوس لتعليم وتهذيب السبارطيين

انتقل أيكورجوس من كريت إلى اسيا . ويقال إنه قصد برحلته هذه ان يقارن بين سداجة ومروءة الكريتيين وبين ما انطوت عليه حياة اليونانيين وشهواتهم وترفاتهم كما يقارن الطبيب بين اجسام الاصحاء والضعفاء ويقدر الفارق بين اخلاق وحكومة هؤلاء واخلاق وحكومة أولئك . وهناك عرف لأول مرة قصائد هوميروس وكانت بين يدي خلفاء كليوفيل . وأدرك أن ما تنطوي عليه من آداب وسياسة لا يقل قدراً عما فيها من طرائف الخيال وغرائب القصص . فأسرع إلى نسخها وجمعها وجعل منها مؤلفاً واحداً حمله إلى اليونان حيث كان بعض الشيء منها متفرقا ولكن أيكورجوس هو أول من اذاع شهرة ذلك الشاعر الكبير بين الناس ويعتقد المصريون أن أيكورجوس سافر إلى بلادهم وأنه اعجب فيما اعجب به من انظمتهم وتفريقهم بين رجال الحرب والطبقات الأخر فنقل ذلك عنهم إلى سبارطة حيث انشأ طبقة خاصة من الجنود والصناع وأوجد بذلك هيئة حكومية طاهرة نقية . ويزيد المؤرخون اليونانيون بعض الشيء في رواية المصريين . أما سفر ليكورجوس إلى ليبيا وابيريا رحلته إلى الهند لمحادثة الرياضيين الروحانيين فلا أعرف أحداً قال بها سوى اريستوقراطس السبارطي (١) ابن هيبوكرات

عم الاسف السبارطيون لغياب ليكورجوس ورجوا اليه غير مرة ان يعود قائلاً ان ملوكهم لا تختلف عن عامة الشعب الا بالتقاييم ومقامهم ولكنهم يعرفون



فيه قدرة طبيعية على القيادة وقدرة على اجتذاب الناس الى رأيه . وكان الملوك انفسهم راغبين في عودته آمين أن يروع وجوده الجمهور عند الغواية والتمرد وقد وجد عند حضوره العقول مهيئة ، فبدأ بالقضاء على عوامل السوء وتغيير هيئة الحكومة اقتناعاً منه بان القوانين الجزئية عديمة الجدوى وانه يجب أن يبدأ بمداواة الاجسام المشوهة المريضة وابداء طبائع الفساد بالعقاقير والاشربة وتغيير المزاج قبل رسم نظام جديد .

ولما قرأ رأيه على ذلك ذهب الى داف لاستشارة الاله . وقدم اليه القرايين وعاد بذلك الوحي المعروف . حيث دعى صديق الالهة وانه اله أكثر منه انسان يضاف الى ذلك ان ابولون اجاب سؤاله . وانه سيمنحه القدرة على ايجاد قوانين صالحة . تمتاز بقوتها على جميع انظمة الشعوب وشددت هذه الوعود ساعد ليكورجوس فكاشف كبار المدينة والحق عليهم في تعذيبه . افضى بذلك سرّاً الى اصدقائه ثم اخذ يضم اليه شيئاً فشيئاً عدداً كبيراً من مواطنيه ، عاهدوه على تنفيذ عزمه .

ولما حانت الفرصة المناسبة امر ثلاثين من كبار القوم ان يجيئوا مسلحين الى الساحة العمومية ارباباً بالخصومه . وقد ذكرها ريميوس عشرين من اشهرهم . وكان بين اصدقاء ليكورجوس رجل يدعى ارثميادس كانت له اليد الطولى في تنفيذ المشروع واقامة القوانين . خشي خاريلادس في بدء الحركة ان يكون مقصوداً باذى فهرب الى هيكل كالسيبوكوس ولما علم نيات كيلورجوس الحقيقية اطمأن الى الايمان التي اقسموها له وخرج من الهيكل ووافق على كل ماتم لانه كان بطبيعته ميلاً للسلام . وقد اشار ارخلاوس زميله في الملك الى هذا الخلق المرضي بقوله لمن كان يثنى على سلامة نية هذا الشاب « كيف لا يكون خاريلادس صالحاً وهو يأبى القسوة حتى على الاشرار ؟ »

ان اول واهم ما وضعه ليكورجوس من الانظمة هو مجلس الشيوخ . وهو كما

قال افلاطون. قوة تشارك الملوك في سيادتهم لتهدب من حيرتهم ولا يقل سلطان المجلس عن سلطان الملوك . يمد للحكومة في الاوقات العصيبة وسائل السلام ونصائح الحكمة . كان دأب الحكومة ان تسمح في لجج من الاضطراب يميل بها الملوك الى الاستبداد ويجتذبها الشعب الى الديمقراطية . وقف مجلس الشيوخ بين هاتين القوتين المتعارضتين قوة ثالثة تحفظ التوازن بينهما ، وبذلك استقرت الحال واستقامت الشؤون .

كان الثمانى وعشرون شيخا يعضدون الملوك كلما اقتضت الحال وقت تيار الديمقراطية ويعضدون حزب الشعب لردع الاستبداد عند الحاجة يقول ارسطوا أن ليكورجوس جعل عدد الشيوخ ثمانية وعشرين لان اثنين من الثلاثين الذين اختارهم تولاهما الخوف وابتعدا عن المشروع . ويقول سفاروس ( وله مؤلف في احياء ليكورجوس وسقراط ومبحث عنوائه جمهورية اسبارطة ) مؤكدا أن العدد الذى اختير من البدء هو ثمانية وعشرون . ولعله نظر في ذلك الى خاصية العدد الناتج من ضرب ٧ فى ٤ وأن العدد ٦ هو العدد الزوجى الكامل لانه يساوى جميع اجزائه وللرأى ان اختيارهم ثمانية وعشرين شيخا حتى اذا انضم اليهم الملك كان كانت الجملة ثلاثين شخصا .

كان لهذا النظام في نظر ليكورجوس أهمية كبيرة حتى انه ذهب الى دلف يستوحى ( ويترا ) لهذه الهيئة خاصة وجرى الوحي كما يأتى « عند ما تقيم هيكلًا لجويتر السيلانى ومنيرفا السيلانية وتقسم الشعب الى قبائل وفروع قبائل وتنشئ مجلسا للشيوخ مؤلفا من ثلاثين بما فيهم الملك وتعد المجلس كلما اقتضت الظروف بين باييس وسناسيون حيث يقترح الشيوخ القوانين ويكون للشعب حق رفضها ، وهذه الاماكن تدعى الآن اومونت ولكن ارسطو يقول ان الاول اسم جسر والثانى اسم نهر ومن عادة السبارطيين ان يعتقدوا مجلسهم هناك حيث لا اعمدة ولا مباني ويعتقد ليكورجوس أن هذه الخزاف لاتعين على تدبر الاراء

الصحيحة بل تضر بما توحيه من تخيلات عقيمة وكبرياء وتنفخه لأولئك الذين اجتمعوا للمداولة في الشؤون العامة . اذ يتلهون بالنظر الى التماثيل والصور والزخارف المسرحية وسقف غرفة المجلس المتقنة الصنع .  
لم يكن لغير الشيوخ والملوك في الجلسة العمومية حق الابتداء في عرض موضوعات المداولة بل كان ذلك من حق هؤلاء فقط وللشعب السلطة التامة في تقريرها . ولكنه حدث فيما بعد ان الشعب اخذ يفسد قرارات المجلس بالحذف والاضافة ، فاضاف الملك بوليديور وثيونوتب الى الوحي العبارة التالية « اذا حاول الشعب احداث خلاف ، فعلى الملكين والشيوخ ان ينسحبوا » ومعنى هذا انهم لا يوافقون على القرارات وان يؤجلوا الجلسة ويبلغوا قرارات الشعب لانها غير مشروعة وقد اقبعوا مواطنيهم ان هذه اوامر الاله والى هذا المعنى اشار الشارع بغيرته بقوله .

نعموا الوحي من فم ابولون . ونقلوا الى وطنهم وحي الاله وهذه الكلمات التي لاريب فيها . يرأس المجلس الملكان المقدسان . الساهران على مدينة سبارطة المأذنة يليهما الشيوخ ثم رجال الشعب . يؤيدون القرارات العادلة :  
عنى هذا النحو اعد ليكورجوس الجمهورية ولكن حدث بعد عهده ان اصبحت الثلاثون شيخا حكومة طائفة ( اوليجارشيه ) مطلقة تهدد الحرية العمومية بسلطتها التي لا حد لها فتبدت كما يقول افلاطون بسلطة النواب ، بعد ليكورجوس بثمانية وثلاثين سنة . وكان اثاتوس اول من عين نائبا وكان ذلك في عهد الملك تيوتب سمع الملك زوجته تعيب عليه انه سيمترك المملكة لاولاده اقل سعة مما كانت يوم استلامها . فاجابها ان الامر على عكس ذلك سائر كما لهم اعظم شأنا وأثبت قدما . والحقيقة انه باطراحه عنها المزيد ، جعلها في مأمن من حسد الحاسدين وخطر المعتدين ولذلك لم يتعرض ملك سبارطة لشيء من الخوان الذي أنزله أهالي مسين وارجوس بملوكهم لاستئثارهم بالملك وعدم ميلهم للتهاون في شيء مما

مرضاة للشعب ، ولا شيء أدل على حكمه وبعد نظر ليكورجوس من اتقائه الاضطرابات والولايات السياسية التي نزلت بمسكين وارجوس ملوكا وأهالي وهم من ذوى قرى السبارطيين وجيرتهم كانوا ينعمون في أول عهدهم بما ينعم به هؤلاء وكان نصيبهم من الارض خير نصيب ولكن سعادتهم لم تستمر طويلا أساء الملوك السلطة وعمرد الشعب فاضطرت الانظمة وظهر فضل الآلهة على السبارطيين الذين كانت حكومتهم تسير بحكمة بين النظام والاعتدال على أن هذا الفضل لم يظهر الا فيما ولى من الايام .

والثاني من أنظمة ليكورجوس هو تقسيمه الاراضى . كان عدم التساوى بالغا أشده لا يملك الكثيرون شيئا ولا مورد لهم وهم سواد الوطنيين في حين أن الثروة كلها مستفيضة بين أيدي نفر قليل العدد . عمد ليكورجوس رغبة في اجتناب الاعتداء والحسد والبخل والفخفة وما هو أضر منها بالحكومات أى الغنى والفقر الى اقناع السبارطيين بالنزول عن أراضيهم وتقسيمها من جديد وجعل كل الثروات على قدر واحد ومساواة تامة . تتولى الفضيحة وحدها توزيعها اذ لا فرق بين الناس الا باحتقارهم ما يمنجل وجبهم للخير . نفذ المشروع فقسم ليكورجوس أراضى لاكونيا الى ثلاثين الف جزء لأهالى الريف وتسعة آلاف لأهالى سبارطة مراعاة لعدد السبارطيين الداخلين فى القسمة . ويزعم البعض أن ليكورجوس لم يزد عدد نصيب السبارطيين عن ستة آلاف ثم أضاف اليها الملك بوليذور الفا ويزعم البعض أن الاول وضع نصف التسعة آلاف والاخر النصف الثانى . وكان ينتج كل جزء سبعين مد ( كيلة ) من الشعير لكل رجل واثنى عشر لكل امرأة مع ما يناسبها من الاثمار السائلة ( لعله يريد ما يستخرج منها من الشراب ) وفى هذا القدر ما يكفى لحياتهم فى طمانينة وصحة وما يسد حاجتهم وحدث بعد ذلك بسنوات ان ليكورجوس مر بلا كونيا وهو عائد من رحلته وكان ذلك ابان الحصاد واذ رأى أكوام الحزم مصفوفة صفوفًا مننظمة ومتساوية قال

قال لأحد رفاقه « كأن حصاد لا كونيا ميراث تتقاسمه اخوة ».

ولكي يقضى قضاء مبرما على جميع أسباب التفاوت بين الاهالى شرع في تقسيم الاموال غير العقارية . ولكنه رأى ان أصحابها لا تطيب نفوسهم لذلك فسلك طريقا آخر وهاجم الترف من سبيل غير مباشر . فبدأ بإلغاء النقود الذهبية والفضية غير مجيز سوى النقود الحديدية وجعل القطع ثقيلة الوزن زهيدة القيمة بحيث أنه يلزم لوضع مبلغ عشرة « مين » (١) غرفة كاملة ولا يمكن نقلها الا على عربة يجرها ثوران . وكان تداول هذه العملة سببا لازالة كثير من المبادئ ومن يقبل أن يسرق نقودا لا يمكنه اخفاؤها . أو يطمع في سرقة أو اغتصاب مالا يشتهى وما لو قطع أجزاء لا تصلح لشيء . ! لان ليكورجوس كان يغمس الحديد بعد احمراره في الخل لذهب عنه صلابته ولم يمد صالحا لغير ما وضع له لانه يصير سهل الكسر تحت المطرقة

ثم النخى من سبارطة جميع فنون الترف الكمالية على أنه لو لم يلغها لاختفت مع العملة القديمة اذ لا يجد صناعها نفقات صناعتهم لان النقود الحديدية لم تكن لها قيمة بين الشعوب اليونانية الاخرى ، يهزأون بها ولا يرغبون فيها ولذلك لم يستطع السبارطيون مشترى بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيدا ولم ترس مركب تجارية في موانئهم ولم تظأ أرض لا كونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جوهري يتجر في الذهب والفضة . ولما جرد الترف مما يزيكه ويغذيه ذبل من تلقاء نفسه ولم يكن لأصحاب الاموال ميزة على الفقراء ولم يكن لاموالهم منفذ بين الجمهور فيبقونها مكدة في بيوتهم عاطلة بلا فائدة لذلك اتقنت صناعة الادوات الضرورية مثل الاسرة والمقاعد والموائد وكان ذلك سببا لذيوع شهرة الكوز اللاكونى . ذلك الكوز سهل الاستعمال لاسما للجنود في المعارك ، لونه يخفى قذارة المياة التى يضطرون احيانا لشربها وقد يقرفهم

منظرها ، وتحجز اسلاكه الداخلية ما يرسب في الاناء من الوحول فلا يصل الى الفم سوى المصفى والفضل في ذلك للمشرع لأن الصناع لما تركوا صناعة مالا ينفع انصرفت همهم الى اتقان الضرورى

اندفع ليكورجوس في اضطهاد الترف والقضاء على شهوة المال فانشاء نظاما ثالثا من أجل ما يكون . وهو نظام الطعام العام . لزم الوطنيين أن يأكلوا جميعاً معاً وأن يتغذوا من لحوم واحدة ومن الاطعمة التى تبيحها القوانين . وحرم عليهم تناول الطعام فى منازلهم أو اقتناء الاسرة الناعمة والموائد الفخمة فلا يجعلوا أنفسهم تحت رحمة صناع الفطائر والطهارة وان تسمن أبدانهم فى الظلام شأن الوحوش النهمه والحتمية أن فى ذلك افساد للعقول والاجسام واطلاق سراح الشهوات والمدارة . ثم الاضطرار الى النوم الطويل والحمامات الساخنة والبطالة الدائمة والازماديشة المرضى . هذه مسألة عظيمة الشأن ولكن نتيجتها أعظم . ذلك أنها جعلت الاموال فى أمان من السرقة أو كما يقول ثيوفراست أقل من أن تشتهى ، أو كأنها صارت لا شىء بتلك الولائم المشتركة والموائد البسيطة ولم يكن فى وسع أحد أن يبذخ أو يباهى بشىء لأن الفقير والغنى يشتركان فى غذاء واحد فكانت سبارطة بذلك هى المدينة الوحيدة تحت الشمس التى حق عليها ما يقال أن بلوتوس (١) ، أعهى مضطجع على الارض بلا حياة ولا حركة كأنه تمثال ، لم يسمح لاحد أن يأكل فى بيته قبل الميعاد ويحضر الولائم المشتركة شعبان

وكانت الرقابة شديدة على من يمتنع عن الشراب والطعام مع الآخرين يعيبون عليه علانية ترفه وضعفه عن تناول الاغذية التى يجب أن يتقاسمها الجميع وكان هذا أشد أنظمة ليكورجوس اغضابا للاغنياء فاجتمع منهم عدد كبير وصاحوا صيحات الغضب والاستياء ضده ولما تساقطت الحجارة حول ليكورجوس من كل جانب فر من الساحة العمومية وأسرع بالالتجاء الى هيكل ولم يلحقه أحد

ولكن فتي يدعى الكاندر سليم النية ولكنه حاد المزاج أصر على تعقبه واذ كان ليكورجوس يلتفت اليه ضربه الفتي بالعصى فقلع عينه . لم تفت هذه الضربة في عضد ليكورجوس بل تقدم الى مواطنيه مرفوع الرأس وأراهم وجهه داميا وعينه منقوعة فتولاهم الخجل والخجل أمام هذا المنظر وساموا اليه الكاندر ثم ساروا به الى بيته مواسين متأسين وبعد أن شكرهم على صديعهم وصرفهم ، أدخل الكاندر إلى منزله ولم يسيء اليه ولا أنبه على فعلته بل أمر خدمه بالانصراف وعهد اليه أن يقوم بخدمته . فقام الفتي وهو طيب المنصر بجميع أوامره دون أن يفتح فاه واذ كان دائم القرب من ليكورجوس يراقبه كل يوم ويشهد منه العطف والذعة والالفة والدأب على العمل بلا ملل أحبه حبا جما وكان يقول لمعارفه وأصحابه ان ليكورجوس أبعد الناس عن القسوة والكبرياء وأنه الين الناس عريكة والصفهم خلقا هكذا انتقم ليكورجوس لنفسه من الكاندر بأن جعل من ذلك الفتي الغضوب العنيد رجلا حكيما واعتدال ثم أقام تذكرا لهذه الحادثة هيكلًا للالهة مينرفا الاو بتيلية ( العينية ) لان أهالي هذه البلاد يدعون العين « أوبتيل » ويقول البعض و بينهم ذبوسكور يد (١) الذي الف كتابا عن جمهورية سبارطة . أن ليكورجوس جرح ولم تفت عينه فقام هيكلًا للالهة تذكرا لشفاؤه ومنذ هذه الحادثة لم يحمل السبارطيون عصا في مجتمعاتهم

كان الكريتيون يدعون هذه الولائم العمومية اندريا ولكن السبارطيون كانوا يدعونها فيديتا ولعلها فيليتا ( الاخاء ) لما كانت تدعو اليه من الصداقة والرعاية ولعلها من اريتيا وهي كلمة يونانية معناها الاكل وكان يجتمع على المائدة الواحدة خمسة عشر شخصا أو اقل أو اكثر وعلى كل ان يقدم في الشهر مدين (٢) دقيق وثمانية كونج (٣) من الحنظل وخمسة ارطال من الجبن . ورتالين ونصف

(١) يحتمل ان يكون هو الذي بقى من مؤلفاته ستة كتب في المادة الطبية كان يعيش في القرن الاول تاريخنا

(٢) المدين يساوي ٥٩٠ د ٥١٠ لترا (٣) الكونج ٢٣٧ د ٣ لترا

رطل من التين ومع هذا تقود المشتري اللحم . اما اذا كان احد الوطنيين يقدم ضحية او ذهب للقنص فعليه ان يرسل الى الوليمة المشتركة باكورة الضحية أو جانباً من غنيمة لانه كان مباحاً لمن يقدم ضحية أو يقتنص ان يأكل في بيته من ضحيته أو غنيمة وما عدا ذلك كان الكل ملزماً ان يحضر الولائم العمومية . بقي السبارطيون زمناً طويلاً حريصين على هذا النظام ولكن الملك اجيس طلب عند عودته من حمله قهر فيها الاثنين نصيبه ليتعشى مع زوجته فأبى الزعماء عليه ذلك . اهل اجيس اشد حنقه اداء التقدمة المعتادة فحكوا عليه بغرامة

كانت الاطفال تحضر هذه الولائم العمومية يؤخذون اليها كأنهم يؤخذون الى مدرسة زهد وقناعة . هناك يسمعون الاحاديث السياسية ويتمرسون بطباع الاحرار . وهناك يتعلمون كيف يمزحون في خفة وكياسة وكيف يسخرون بلا فحوص وكيف يحتملون السخرية . صفات يحسبونها حقيقية بالسبارطي أما الذي يضيق بها ذرعاً فما عليه الا ان يشير بوقفها فتقطع . ومن عاداتهم ان اكبر الحضور سناً يقف وهو يشير الى الباب ويقول لكل ضيف « لا تخرج كلمة من هنا » ومن عاداتهم الا يقبل وطني في الوليمة المشتركة الا برضى الآخرين . تجري الموافقة عليه على ما يأتي يطوف عبد بأثناء يلقى فيه كل من الحضور قطعة من اخبز مستديرة وهي علامة القبول أو مبسوطة علامة عدم الموافقة وواحدة من هذه كافية لرفض قبول الطالب لانهم لا يريدون قبول من لا يرضى عنه الجميع وكانوا يدعون المنبوذ « كادا » نسبة الى « كادوس » الوعاء الذي يوضع فيه فتات الخبز

ومن اشهر اطعمتهم الشربة السوداء اذا اكل منها الشيوخ ذهببت شهيتهم للحجم يتركونه للشباب ويأكلون الشربة فرحين . يقال ان احد ملوك البونت اشترى عبداً سبارطياً يصطنع له الشربة ولما ذاقها القاها كريهة فقال له الطباخ ايها الامير لا يستطيع هذا الطعام الا من استحم ( اغتسل ) في الايروتاس !! وبعد ان يشرب الجميع قليلاً من الخمر ينطلقون تحت جناح الظلام دون ان تنار



الطريق امامهم لتعود بهم الا ولاج بجرأة وثبات جأش في الظلام هذا هو نظام  
الولائم العمومية

لم يكتب ليكوجوس شرائعه بل من سنته ما يحرم كتابته الشرائع فمن رأيه  
ان اقوى واعظم ما يجعل الشعب سعيدا وحكيما هو ما كان في اخلاقه وعاداته اذ  
تكون المبادئ ثابتة لا يزعمها شيء لان اساسها الارادة وهي اقوى من كل اكرام  
لذلك تخرج بروح الشباب اثناء التربية وهي الشريعة الاولى للحياة . اما العقود  
وهي اقل من هذه شأنا فلا تمنى الا بالوجهة الفقهية فانها تتغير بتغير الحاجة فمن  
الصالح عدم اخضاعها لاساليب مكتوبة أو عادات تتبدل بل يجب ان يترك  
للاختيار يزيد عليها أو ينقص منها على مقتضى الظروف فليكوجوس كان يجعل  
التربية الغاية الجلى التي ترجع اليها جميع الشرائع لذلك رأيناه كما تقدم يحرم تدوينها  
وله ضد الترف امر آخر الا يستعمل في تسوية السقوف وارضى البيوت سوى المطرقة ولا  
في تسوية الابواب سوى المنشار . ليس غير . قال ابامينونداس بعد ذلك بزمان طويل  
في حديث عن المائدة « لا موضع للخيانة مع غداء كهذا » وقال ليكوجوس من  
قبل في هذا المعنى . لا موضع في بيت كهذا للترف والسكاليات . والحقيقة هل يمكن  
ان يتجرد انسان من الذوق وسلامة الطبع فيضع في بيت بسيط بل خشن سريرا  
ذا قوائم فضية ، وبساطا ارجوانيا أو اوانى ذهبية أو ما يلاءمها من عدة البذخ ؟  
الا يرى الانسان على العكس من ذلك ان يلائم بين البيت وما فيه ، وبين الغطاء  
والسرير وبين جميع الاثاث ؟ . والى هذه البساطة ترجع كلمة ليونخداس القديم .  
رأى وهو يتعشى في كورنت سقف الغرفة كثير الزخرف فسأل مضيفه هل في  
بلادهم اشجار ذات اربعة الوان

ويروى عن ليكوجوس امر ثالث وهو تحريمه على مواطنيه اطالة الحرب مع  
عدو بعينه لئلا يستبسل ويتمرس لفنون القتال ويعتاد مقاومة الاعداء . لذلك

يعيبون على الملك اجزيلا سـ موالاته الحملات على البيوتى حتى تمس الطيبيون بالحروب  
 ووقفوا في وجه السبارطين ؛ لذلك قال له انتا السيداس اذرا دجربحا « انك تنال  
 من الطيبين الجزاء العادل عما علمتهم . لم يكونوا يرغبون في الحروب ولا يعرفون  
 شيئا من فنونها ، فعلمتهم ضروبها » وكان ليكورجوس يدعو اوامره الثلاث هذه  
 ( وحيا ) كآتها مراسيم وحى املاها الاله ابولون لاقتناعه ان تربية الاطفال اجمل  
 واجل اعمال المشرع واقومها عدة تتولاها منذ نشأتهم الاولى بما سن من القوانين  
 للزواج والميلاد . اما مارواه ارسطو عن ليكورجوس فلا نصيب له من  
 الحقيقة . زعم أن المشرع السبارطى حاول اصلاح المرأة ثم عدل عن ذلك لانه لم  
 يستطع كبح جماح النساء أو الاقلال من الحرية التى أباحها لهن ازواجهن اذ كن هؤلاء  
 ملزمين الابتعاد عن منازلهم لاشتغالهم بالحروب . تركوا ادارتها للنساء فاستفحلت  
 سيطرتهم حتى كانوا يدعونهن « سيدات » والحقيقة أن المشرع جردهن من كل  
 ما كن لهن من شأن . أراد تقوية عضلات البنات بالمران على الجرى  
 والقتال ورمى الرمح والسهام لكي تكون أطفالهن اقوياء المنبت شديدى  
 الاصلاب يشبون شجعاناً ويحتملن الوضع بلا خوف ويقابلن آلامه  
 بشجاعة . أبعد البنات عن رخاوتين وترتبن في ظلال الحياة الناعمة مما أضعف  
 جنسهن . عودهن الظهور عاريات امام الجمهور كالشبان ، والرقص والغناء في  
 الحفلات امامهم وعلى مرأى منهم فكانت الفتيات تشهد مسابقات الشبان  
 توبخ من اخطأ وتثنى على من أصاب ، فكانت بذلك تؤخر الشبان بمنحاس  
 ذى حدين تثير فيهم التنافس في حب الخير وحب الفضيلة . فمن نال منهم مدبحا  
 واحس بالشهرة بينهم عاد مفاخر ا بنائهم كذلك كانت واخراتهم لغير المفلحين  
 اشد آلاما لنفوسهم من التوبيخات العلانية . لان الحفلات لم تكن قاصرة  
 على الوطنيين بل كن يشدها الشيوخ والملوك أنفسهم . ولم يكن في تعريهم  
 شيئا من الخجل اذ كان هن في الفضيلة والحياء حى . ولم يكن أحد يفكر في

سوء ؛ بالعكس كان لهم من ذلك اعتياد البساطة والعناية بأجسامهم وسمو قلوبهم إلى ما فوق عواطف جنسهم إذ يرين أنفسهم قدرات على مساواة الرجل ومشاطرته الجاد والفضيلة. لذلك يحق لجميع نساء سبارطة إن تفكر و نقول ما يعزى إلى جور جولوزجه ليونيداس . إذ قالت لها أجنبية « انتن نساء سبارطة وحدكن تسيطرن على الرجال » فجابتها « ذلك لا ما وحدنا نادر رجالا »

وكان من مشيرات الشهرة للزواج سير البنات عاريات في الهواء كب وقيامهم بالتمرينات الرياضية تحت أنظار الشبان الذين يحسون أنفسهم منجذبين اليهن لا بدافع « هندسى كما يقول افلاطون بل بدافع الغرام وزاد ليكورجوس في ذلك المعنى حتى جعل العزوبة عاراً . يحرم على العذاب حضور هذه الحفلات و يضطرون الحـكم أيام الشتاء ان يطوفوا الساحة عريانين ينشدون وهم سائرون أناشيد ضد أنفسهم منها أنهم يعاقبون بعدل لعدم طاعتهم الشرائع . ويحرمون عدا ذلك من الاحترام الواجب على الشبان للشيوخ . لذلك لم يلم أحد ما قيل للاعزب درسيليداس رغم كونه من مشاهير القواد . ذلك انه دخل على جماعة وكان بينهم شاب لم يقف له احتراماً « ليس لك ولد يقف لى احتراماً . »

والعادة عند الزواج ان يختطف الشاب زوجته على ان لا تكون طفلة ولا دون البلوغ ، بل رشيدة صالحة للزواج . ومتى اختطفها سلمها الى مساعدة الاعراس فتقص شعرها وتلبسها ثياب وحذاء رجل ، وتقيمها على طبقة من اوراق الشجر وتدعها وحدها بلا نور ؛ يأتى الشاب غير مخمور ولا منهك القوى بملاذ ، بل في اعتداله العادى بعد تناول طعامه في الوليمة المشتركة ، ينسل الى جانب خطيبته ويحمل حزامها ويحملها الى فراشه . يقضى معها وقتاً قصيراً ثم يعود فى وقار الى الغرفة التى اعتاد النوم فيها مع الشبان يستمر على ذلك زمناً يقضى نهاره وليله مع رفقه لا يذهب لمشاهدة امرأته الا حذراً ، كأنه يختلس ذلك اختلاسا بمنجل ان يراه أهل البيت ، تعينه المرأة من جانبها بمهارتها على اختلاس الفرص المناسبة.

لزيارتها سرّاً ، وقد تستمر هذه الحالة زمناً طويلاً حتى انه ليحدث ان يصير  
الازواج اباء قبل ان يروا نساءهم على ضوء النهار . لم يكن من شأن هذه العلاقات  
مران الزوجين على القصد والحكمة فقط . بل تبقى لاجسامهم قوتها وخصبها وتحفظ  
نشاط الحدة الاولى وتجدد الحب وتمنعهما اشباع شهواتهما التي ينهك الافراط  
فيها . الرغبات والقوى ، اما اذا افترق الزوجان على ما قدمنا بقيت في نفس كل  
منهما بقية من لهب الغرام ودافع للحب والعطف .

لم يكن ليكورجوس بعد ان من للزوج هذا الحياء وذلك الخذر اقل اهتماما  
بتعطيل فكرة الغيرة الكاذبة المتخنة التي تحدث الشجار والاضطراب في الحياة الزوجية  
اباح الشركة في الاولاد لمن اراد ، ومن ارأه انه يجب السخرية بمن يريدون  
جعل الزواج ميزة شخصية لا يشاركون فيها احد ، ينقادون ممن يعتدى عليهم فيه  
بالغدر والحرب . جعل من المباح لشيخ تزوج من فتاة غضة الشباب ان يدخل  
اليها فتي شريفا يحترمه ويحبه ، وان يعترف بمن يولد له من دم زكي كابن له . كذلك  
يباح للرجل المتأنق الذي يولع بجمال حسناء متزوجة ذوات اولاد ان يطالبها من  
زوجها ليفرس في تلك النبعة الخصبة ، ويولد اولادا اقوياء يمنحهم كبار النفوس  
دماءهم والقابهم . ذلك ان ليكورجوس كان يعتقد ان الاولاد ليسوا لابائهم خاصة  
بل جميعهم ملك الدولة ، لذلك اراد ان لا تكون الابناء نسل أول قادم بل الاكثر  
جدارة من الرجال . لم يكتف بذلك بل كان يسخر من حماقة وكبرياء ماسنه  
المشرعون الآخرون للزواج ، قال في ذلك ، انهم يبحثون لكلماتهم وافراسهم  
عن خير الكلاب واكرام الخيول يتوسلون الى اصحابها بالترجاء والاموال ويحجرون  
على نساءهم يحتمون عليهم الا يكون لمن ابناء الا من بعولتهن ولو كانوا اغبياء ،  
عاجزين ، مرضى . كأن ليس من المحزن للاباء والمربين قبل غيرهم ، ان يكون لهم  
ابناء ضعفاء سلالة اباء ضعفاء ، وكان ليس من السعادة ان يكون لهم ابناء اقوياء  
يشبهون اباؤهم في القوة وسلامة البنية .

كان ليكوجوس يستمد قوانينه من الطبيعة والسياسة . لم يحمل نظامه "نسوى السبارطيات على التساهل ، باكثر مما كن عليه فقد قيل ان الزنا لم يعرف في سبارطة يستشهدون لذلك بعبارة قلها جراردس احد قدماء السبارطين . سأنه اجنبي ما هو عقاب الزاني في بلادكم ؟ فاجابه جراردس لازنا في بلادنا . — قل الاجنبي واذا حدث ؟ . فاجابه يلزم الزاني بشروطويل العنق يستطيع ان يشرب من نهر اوروتاس وهو في اعلى تايجت فقال الاجنبي ، وكيف يحصل على نور في مثل هذا الطول ؟ فاجابه جراردس ضاحكا وكيف يوجد في سبارطة زنا . ؟ . هذا ما يقرر التاريخ عن نظام الزواج .

لم يكن الوالد حرا في تربية ابنه ، كان عليه أن يمنحه الى محل يدعى « لسنشه » حيث تجتمع مشايخ كل قبيلة لفحصه فاذا كان سليما قوى البنية أمروا بتغذيته وخصوه بجزء من التسعة آلاف نصيب التي قسمت اليها الاراضى ، أما اذا كان ضئيلا نحىلا أمروا بطرحه في جفوة قريبة من جبل تايجت تدعى « أبوتت » لا يرون فائدة من بقاءه لاله ولا للدولة اذ خلق ضعيفا متضيا عليه بالحرمان من الصحة والقوة . ولكي تمتحن النساء سلامة الاطفال لا تغسلهم بالمياه بل بالنبيد لان المصروعين والمرضى من الاطفال لا يمتعون حمام الحمر ، بل يذبلهم ويميتهم ولكن تزيد متانة الاصحاء وتقوى أعصابهم ، من ثم تتولى المرضعات تغذيتهم بطريقة فنية ، لا تشدهم في قواط بل تدع جميع أعضائهم طليقة حرة . تظهر هيئاتهم على طبيعتها . يتعلمون منهم الا يتأثرون من طعام وأن يقنعوا بالبسيط منه . وان لا يهابوا الظلام أو العزلة . لا صياح ولا نهيبج ولا بكاء فما هذه سوى علامات الضعف والجبن . لذلك كان الاجانب يشتركون المرضعات السبارطيات لتربية أبنائهم . ويقال أن اميكلالا التي أرضعت السيبياد الاثيني كانت سبارطية . ولكن افلاطون يقول أن بريكلس خص ذلك الشاب بمرب من العبيد يدعى زوبير لا يمتاز عن أمثاله بشئ . أما ليكوجوس فقد أبى أن يعهد

بإنشاء سبارطة الى عبيد تشتري بالمال ولا الى مربيين من المستأجرة.  
 لم يكن الانسان حراً في أن يربي ويعلم ابنه على ما يريد : تؤخذ الاطفال  
 متى بلغت السابعة ، وتقسم صفوفاً تتلقى تربية مشتركة على نظام واحد . يعودونهم  
 القرب والعمل معاً ، ويرأس كل صف اذكاهم وأبسلهم في القتال . تتجه اليه أنظاره  
 يطيعون أوامرهم ويحتملون ما يأمر به من عقاب بلا تدمير . وهذه التربية كانت  
 تعودهم الطاعة ولا شك . كانت الشيوخ تحضر العابهم وتحدث بينهم أسباب  
 الخصام والعراك ليروا حقيقة أخلاقهم ويتبينوا جرأتهم ، وإذا كانوا لا يهربون من  
 القتال . لا يأخذون من العلوم الادبية الا الضروري وما بقي فمحصور في تلقينهم  
 الطاعة ، واحتمال المتاعب بشجاعته ، والانتصار في المعارك . وكلما تقدموا في السن  
 يعمدوهم برياضة أشد ، يخلطون لهم رءوسهم ويعودونهم السير بلا أحذية واللعب  
 بالغلاً أكثر الوقت عريانين .

ومتى بلغوا الثانية عشر ، لا يلبسون جلباباً بل يعطى لكل منهم رداء في السنة  
 ويبقون قذرين لا يستحمون ولا يتعطرون الا في أيام معدودة يسمح لهم فيها  
 بتدوق هذا النعيم . ينام كل فريق في غرفة على فراش من القش يصنعونه بأيديهم  
 من أطراف العيدان التي تنمو على شاطئ نهر الاوروناس . يحنونها ويقطعونها  
 بأيديهم دون أن يستعملوا حديداً . وفي الشتاء ينامون على هذا القش مضيقين  
 اليه بعض الشيء من الفحم القطني وهو مادة مدفئة . وفي هذا السن تتطلع أعين  
 العشاق الى الممتازين . وتزداد عليهم رقابة الشيوخ . يلازمونهم في العابهم  
 ومعاركهم ، يقوم الشيوخ بذلك لا كتأدية واجب بل بحرص وعناية كأنهم أباء ومعلمين  
 ومهذبين جميع الاطفال ، لا يخلو الولد في وقت ولا مكان يرتكب فيه خطأ الا وجد من  
 يوافيه ويعاقبه . يضاف الى ذلك أن معلمى الاطفال يختارون من خير الناس .  
 ويختار هؤلاء من كل فرقة أوفر شبانها عقلاً وشجاعة على أن يكونوا قد  
 تجاوزوا سن الطفولة بسنتين . يتولى زعيم الفرقة وهو في العشرين من عمره قيادة

فرقته في التتال ويستعمل أفرادها أيام السلم في خدمة الموائد. يكلف الكبار احضار الاخشاب والصغار احضار الخضروات والبقول ، يسرقون ما يحضرون سواء بتسلقهم أسوار الحدائق أو انسلالهم الى أماكن الموائد العمومية بمهارة وحذر . ومن أؤخذ منهم عوقب على اهماله وبلادته . يسرقون ما يستطيعون سرقة من اللحوم ويفتنون في اغتنام الفرص ، يسرقون النوم والغافلين عن الحراسة يعاقبون من يقبض عليه بالجلد والحرمان من الاكل ، ولا يأكلون عادة إلا قليلا . لانهم مضطرون للحصول على حاجاتهم بأنفسهم ، فالجراحة والحيلة من لازماتهم الضرورية . وهذا هو الغرض الاولى من الاقلال في اطعامهم ، وهناك سبب أضافى وهو أن الاجسام تطول قامتها متى كانت الاعضاء غير متعبة باستهلاك أطعمة تعطى نموها طولا ولا تسمح لها بالنمو عرضاً . فكانوا ينمون بسهولة خلقتهم وتطول قاماتهم بلا عائق ولا معطل . ويظن البعض أن ذلك من دواعى الجمال ، لان الطبائع الرقيقة المرنة تلائم قوانين النوم المعتدل الجميل ، اما التى يشغلها السمن والافراط في الطعام فتمفسد الجمال . وقد لوحظ أن الاولاد الذين تشرب والدائهم شراباً مطهراً اثناء الحمل يكونون اجمل خلقة لان المادة التى تتألف منها اجسادهم خفيفة ، وقابلة للتكيف . وأولى بنا أن لانحزم فى هذا الموضوع برأى خاص فلندعه لغيرنا يبحثه بحثاً وافياً .

واليك حادثة تدل على شدة خوف الاطفال من اقتضاح سرقاتهم . سرق احدهم ثعلباً صغيراً واخفاه تحت ثوبه ، وصبر على ذلك الحيوان يمزق بطنه باظفاره واسنانه دون أن يبدوا الولد صيحة المومات فى الساحة العمومية حريصاً على سره لانرى فى هذه الحادثة شيئاً من الغرابة اذا اعتبرنا حالة شبان سبارطة اليوم ، فقد رأيت غير مرة شبانا يموتون صامتين تحت سياط الجلاذ ، على مذبح « ديانا اورتيا . »

كان الزعيم بعد العشاء وقبل الانصراف عن المائدة يأمر احد الاطفال ان يغنى ،

ويبقى على غيره اسئلة . كان يسأله من هو خير رجال المدينة . وما رأيه في عمل ما . وبذلك يعودون الاطفال من صغرهم على الفصل بين الصالح والطالح . وتعرف اخلاق الوطنيين لان التردد في الجواب على سؤال مثل : من هو الوطنى الصالح ! ومن هو سىء السمعة . ؟ كان فى نظر السبارطين دليلا على النذالة وقتدان العواطف التى تحت على حب الفضيلة . وكان من الواجب ان يشفع الجواب بسببه ، والدليل عليه بايجاز في كلمات هذبة جليلة . اما الجواب المهمل فكان جزاؤه العقاب وهو أن يعرض الزعيم ابهام ( اصبع ) المجيب وكان العقاب يحدث غالبا بحضور الشيوخ والحكام ليتأكدوا اذا كان العقاب الذى يوقعه الزعيم عادلا وفي دائرة اختصاصه ام لا . لا يعرضون له اثناء توقيع الجزاء بل يدعونه حتى ينصرف الطفل فيعاقبونه بدوره اذا كان قد قسى في المعاقبة او تراخى في اجرائها .

وكان العشاق يشاركون الاطفال الذين يعشقونهم فيما يصيبهم من عار او مجد ويقال ان طفلا وهو يقاتل آخر صاح صيحة دالة على عدم الشجاعة فحكم القضاة على عاشقه بغرامة . كان العشاق في سبارطة طاهرا ، وكانت الشريفات من السيدات تتعشق بناتا ، اما الغيرة فلم تكن معروفة بين السبارطين . كان العشاق نوعا من الصداقة تربط بين المتعاشقين . يتنافسون فيما بينهم ايهم يجعل حبيبه أكثر مروة وفضلا .

كانوا يعودون الاطفال على أسلوب من الكلام حاد وقارص في ملاحظة ورقة . يتضمن معان كثيرة في كلمات قليلة . رأينا ليكور جوس يجعل النقود قطعاً ثقيلة من الحديد لاقيمة لها . ولكنه في النقد البياني عمد إلى العكس . أراد أن تكون الكلمات قليلة ولكنها ذات معان دقيقة وأفكار قيمة . كانوا يطبعون الاطفال على الصمت الطويل ويجعلون همهم في مناقشاتهم وفرة المعاني في قليل من الكلام ، لكن كان الافراط في الفحش يضعف اعصاب الانسان وينهك قواه فكذلك الهذر في القول يجعله مبتذلا ساقطاً خالياً من المعنى . سخر اثنى يوم امام



اجيس منك سبارطه ، من سيوف السبارطين القصيرة قائلا « ان المصارعين يتلعونها بسهولة على مسارح اللعب . فاجابه اجيس ، « وهذه السيوف القصيرة نصيب أعدائنا عن بعد . » ورأى أن خطب السبارطين على إيجازها واضحة الغاية اشد وضوح ، سريعة النفوذ إلى عقول السامعين .

كان ليكورجوس ذاته قصير العبارة جلي المعنى ، يدلنا على ذلك ما بقى من اجوبته ، ومنها عبارته عن شكل الحكومة . اشار عليه بعضهم أن يقيم الديموقراطية في سبارطه فاجابه « ابدأ باقامتها في بيتك . » ومنها كلمته في الضحايا سئل لماذا لم تأمر إلا بتقديم ضحايا صغيرة قليلة القيمة فأجاب « ليكون لنا دائما مانكرم به الآلهة . » وقوله عن المصارعة الرياضية . « لم احرم على مواطني سوى القتال الذي تمتد فيه الأيدي . » يذكر ون له أجوبة غير هذذ جاءت في رسائله الى مواطنيه مثل جوابه على سائل سألته . كيف نستطيع دفع غارة الاعداء . فكان جوابه ، متى كنتم فقراء ، لا يطمع احدكم في نصيب أوفر من نصيب سواه . وقوله عن الاسوار ، « مامن مدينة بلا سور متى كان سياجها لا الطوب بل قلوب الشجعان . »

على أنه لا يمكن الحزم بنفى أوثبات هذه الرسائل وغيرها بلا تردد .

اما بعض السبارطين الخطب الطويلة فدليلنا عليه العبارات التالية

كان انسان يكثر في غير مناسبة كلمات لا تخلو من معنى فقال له الملك ليونيداس « ما قدرك على وضع الكلمات الطيبة في غير موضعها . » وقيل لخاريلاوس لماذا لم يسن ليكورجوس سوى قليل من الشرائع . « فقال لأنه يلزم قليل الكلام قليل من الشرائع وعيب على السوفسطائي هيكانه الذي اجيز له الاشتراك في الموائد العمومية ، عدم تفوهه بكلمة فقال ارخيداميداس « ان من يعرف مواضع الكلام يعرف ايضا متى يجب الكلام هذه من طائفة من اجوبتهم القارصة التي تزينها المياقة كما قدمنا . — تضافق وامارات من اسئلة متنطع في غير موضعها كان يكرر سؤاله من هو خير السبارطين فاجابه « اقل الناس شبها لك » اثنى بعضهم امام اجيس على

عدالة احكام الآلين في اعياد اولبيا فقال « من اعجب العجب ان يعدل الاميون يوما كل خمس سنوات . باهى اجنبى باخلاصه للسابارطين قائلا انهم فى بلدنا يدعوننى صديق السبارطين فقال ثبونوتب ليتهم يدعونك صديق مواطنيك . — نعى احد كتاب ائينا على السبارطين جهلهم فقال بلستونا كس « صدقت نحن الوحيدين الذين لم نأخذ عنكم مايضر » وسئل ارخيداميداس كم عدد السبارطين؟ فقال عددنا ايها الصديق كف لطرده الاشرار . »

ولوتابعناهم في حزنهم لرأيناهم قد اعتادوا حتى في ذلك الا ينطقوا سخفا او ياتوا الكلام على غير هدى ، اقترح على سبارطى ان يذهب لسماع رجل يقلد البلبل ، فقال « لقد سمعت البلبل ذاته . » وقال بعضهم بعد تلاوة البيتين التاليين « بينما كانوا يطفئون الظلم افترسهم مارس الجبار » « هلكوا عند ابواب ساليانت » . « حق عليهم الهلاك كان يجب ان يدعوا الظلم يحترق . » وعد شاب ان يعطى ديكة يقتل بعضها بعضاً في العراك بينها . فقال لا اريد ان اعطونى ديكة يقتل وهي تدافع عن نفسها . « ورأى أحدهم أناسا محمولين على حمالة فقال « معاذ الله أن أكون فى موضع لا أستطيع منه النهوض احتراماً لشيخ . » هذه صراحتهم فى عباراتهم على أنه قد قيل بحق ان ايجازهم فى المران الجسدى كان أقل منه فى حب الحكمة .

كان ولعهم بالغناء والشعر الغنائى يعادل طابهم الرقة والهناء فى اللغة . كن فى شعرهم ما يشير الشجاعة ويوحى الحماسة ويحمل على جلائل الاعمال اسلوبه بسيط قوى ومواضعهم جدية كفيالة بتكوين الاخلاق يطرى من ماتوفى سبيل سبارطه ويندم من أظهروا الجبن يصور حياة هؤلاء بين الاحزان والتمعاسة وكان معشما بين ما يلائم كل سن حاقا على التقدم الى الفضيلة او اظهار ما يحسن أن يتجمل به الانسان . ويحسن بى أن أذكر بياننا لهذا المعنى كانوا يقيمون فى الاعياد ثلاث فرق غنائية مختلفة من حيث الاسنان فكان الشيوخ يقولون . « كنا

فتيانا وشجعانا . « فتجيبهم فرقة الشبان « ونحن اليوم كذلك (شبانا وشجعانا)  
 اقترب ترباندر « وتقول فرقة الاطفال « ونحن سنكون يوما كذلك . وأوفر شجاعة .  
 واذا القينا نظرة عامة على شعر السبارطين وقد وصل اليها بعضه ، وعلى  
 الاغانى الحربية التى كانوا يرتلوها وهم سائرون ملاقة العدو لرأينا أن ترباندر وبندار  
 لم يخطئا الصواب عند قولهم ان الشجاعة ترافق الموسيقى . فال اول عن  
 سبارطه . : هناك تزهو شجاعة الجنود والانعام الشجيرة والعدالة حامية المدن . .  
 وقال بندار « هناك يجلس الشيوخ وفوارس الحروب ، يدهم على الرماح . وفرق  
 المرنمين والاغاني والاعباد . « كلاهما يمثل لنا السبارطى شديد الولع بالموسيقى  
 والحرب . والحقيقة أن هناك شيئان متعادلان ، هزات الرماح ودقات المزاهر . كما  
 قال الشاعر السبارطى .

كان الملك يقدم قبل الموقعة قربانا لاله الموسيقى تذكيرا للجنود بما تلتوه  
 من التريبة وماسوف يحكم به عليهم ولتبعث فيهم الحمية فيخوضون الخطر ويقومون  
 بجلائل الاعمال . وفي هذه الحالة يتسامحون مع الشبان فيما يقتضيه النظام  
 من الشدة ، يباح لهم ان يعنوا بشعورهم واثابهم واسلحتهم . وان موقفهم  
 كالزيادة الفتية تنتظر المعركة لمن اشهى ماتتوق النفس الى رؤيته حيث تبرق  
 عيونهم جرأة وكبرا وتزداد عنايتهم بتنسيق شعورهم قبيل اقتحام الخطر على  
 انها موضع اهتمامهم منذ الشباب راضعين لصب عيونهم قول ليكورجوس ان الشعور  
 الطويلة تزيد الجمال هيبة والقبج رهبة . كانت تمارينهم فى المعسكرات اخف  
 منها فى ميادين الرياضة وحياتهم البين وافصح فالشعب السبارطى هو الشعب  
 الوحيد الذى يجد فى الحرب راحة من عناء المران والاستعداد للحرب .

ومتى اصطف الجند للقتال ولاقى العدو وجها لوجه ، نحر الملك عنزة وامر  
 الجند بلبس التيجان والموسيقىين ان يرتنوا على المزمار لحن كاستود وهو ذاته  
 يغنى نشيد الحرب ايذانا بابتداء الهجوم . ومن المناظر التى تجمع بين الحلال  
 م. ١٠٠ المعظماء

والرهبة ، مرأى الجنود تسير بخطى منتظمة على نغمات المزمار ، كل في صفه لا يخرج عنه . ولا اثر للخوف في نفوسهم يقتحمون الخطر باقدام ثابتة ووجوه طالقة تحذرهم الانغام الموسيقية . والحقيقة ان رجالا تسير بهم امثال هذه العواطف لا يمكن ان يخامرهم خوف ولا يساورهم غضب ؛ ان صدورهم مملأى بالثقة والامل والجرأة معتمدين على حماية الالهة .

كان الملك يتقدم الى العدو ومعه مقاتل على راسه تاج ويكون ممن فازوا في الالعاب اليونانية ، ويحكي لهذه المناسبة ان عرض على مصارع سبارطى مبلغ جسيم ليتخلص عن المصارعة في الالعاب الاولمبية فابى ، وبعد أن صرع خصمه وقد شاقه مشاقة طويلة ، ماذا استفدت ايها السبارطى من انتصارك ؟ فقال باسم . « اصحب الملك في ميدان القتال »

متى تغلبوا على العدو واكرهوه على الفرار ؛ لا يتعقبون الهاربين الا الى حيث يتأكدون النصر . ويقفون لاعتقادهم ان ليس من المروءة ولا من الشهامة ولا مما يخلق بشعب يونانى ان يتعقب ويقتل اناسا اعترفوا بالهزيمة وولوا الادبار وهذا مسلك يجمع بين الفائدة والنبالة اللائقة بالنفوس الكبيرة ، يرى الاعداء انهم يقبضون على من يقاومهم ويبقون على اثار بين فيؤثر الفرار على المقاومة .

زعم هيبىاس السوفسطائى (١) ان ليكورجوس كان محاربا عظيما وانه قام بعدة حملات . ويعزو فيلوستفانوس (٢) ان ليكورجوس تقسيم الخيالة الى دوائر يؤلف كل منها من خمسين فارسا وتكون مربعا . ولكن ديمتريوس الفالارى يدعى ان ليكورجوس لم يحمل السيف وانه وضع نظام حكمته ايام السلم ومن

(١) من اليس ومعاصر السقراط ؛ وقد سخر افلاطون في محاوراته من ادعائه العلم بكل شيء

(٢) مؤرخ وجغرافى ولد في ميرين وعاصر بطليموس فيلادلفوس .

المؤكد ان ايجاد فكرة « الهدنة » ايام الالاب الاوابية دليل على رقة خلة وميله للسلام ومع كل فان هرمنتوس يروى عن بعض الكتاب ان ليكوجوس لم يكن يفكر في ذلك اولا ، ولم يقل عنه شيئا لايفيتوس ، ولكنه حضر الالاب اثناء رحلاته متفرجا ، حيث سمع خلفه صوت رجل يعيب عليه في استنكار عدم الزامه مواظنيه الاشتراك في عيد حافل كهذا ، التفت ليرى مخاطبه فلم يجد أحدا . وقع في روعه ان هذا تنبيه من الالهة فقصده ايفيتوس ونظم معه معدات الاعياد فزادها بهاء وضمن استمرارها زمنا طويلا .

كان نظام التربية في سبارطة يخضع لقوانينه الرجال الكاملين لا تبديح لاحد حرية العيش على ما يريد . وكانت المدينة اشبه شيء بمعسكر يعيش فيه الاهالى على مانصت عليه القوانين لكل عماله في الحكومة . وكلهم يعيشون على فكرة انهم ليسوا ملك انفسهم بل ملك الوطن . ومتى كانوا غير مأمورين بعمل ولايس لديه عمل تولوا مراقبة الاطفال وتعليمهم مايفيدوا وانقطعوا الى تعاليم انفسهم يأخذون العلم عن الشيوخ ، فمن خير ما احسن به ليكوجوس على مواظنيه ، اخلاؤهم من العمل واكسابهم الوقت الطويل بفضل ما حرم عليهم من الاشتغال بالاعمال الرابحة حيث جعلهم في غير حاجة عمل يحصلون به ثروة وقد صار المال لاشى اوشبرا حقيرا . كان الهيلوتيون يقومون لهم بتفليح الارض ويدفعون لهم خراجا معيننا . كان سبارطى في اثينا يوم قضاء فسمع ان قد حكم على رجل لانه كان عاطلا . فلما عاد مع رفاقه الى منزله قال « اين ذلك الرجل الذى يحكم عليه لانه يعيش عيشة الرجل الحر . » الى هذا الحد بلغ احتقارهم للفنون والصناعة ، وجمع الاموال . خرجت القضايا والمخاصمات من سبارطة يوم خرجت الاموال ، وهذا امر طبيعى اذ لم يكن هناك ثراء ولا فقر . فضت المساواة على الفاقة ، واجتلب التقشف الخصب . لم يكن هناك سوى

المراقص والولائم ، والتنافس بالصيد والقتل والمران على الألعاب الرياضية وأحداث العامة لا يذهب الذين بلغوا الثلاثين من العمر الى الاسواق بل يقوم بقضاء حاجاتهم زودقرباهم او معشوقهم ، اما الشيوخ فكانوا يخرجون من ضيق الوقت في شأن كذا ، يتقنون رياض مهارم في الألعاب الرياضية أو اما كن الاجتماع حيث يتعبدون اطراف الحديث عن الفضائل غير مفكرين في تجارة ولا ثروة . حديثهم اطراء الاعمال الصالحة ربح الطائفة في اسلوب يجمع بين النقد والاستفادة .

لم يكن ليكورجوس عبوسا فقد قل عنه سوسيبوس (١) انه صنع بيده تمثالا صغيرا للضحك ، اراد به ان لا تفارق المشاهدة الولائم المشتركة والألعاب فتتمكن ملحا يصلح مزاج العمل والمجتمعات . اراد ان يعود مواطنيه الا يشعروا العزلة أو يعرفوها ، بل يكونون كالممل دائمى الاتحاد للمصلحة العامة . ملتفتين حول رؤسائهم خارجا عن زواتهم في نوع من الانشراح لالهى وحب الجدمما ينعش النفوس فكانوا جميعا للوطن . تعرف ذلك مما يرى عنهم من الاحاديث ، لم يفز بادارتيه بالا انتخاب ضمن الثلاث مائة فعاد من الاجتماع جزلان راضيا لانه يوجد في سبارطة ثلاثمائة خير منه . كان يتر بـسيستراتيداس بين الموفدين الى قراد القوس فسألهم هؤلاء ، هل انتم موفدون من قبل رئيسكم أو من قبل جمهوريتكم ؟ فاجابه إذا نجحنا فنحن موفدون من قبل جمهوريتنا والأفن قبل رئيسنا . « جاءت جماعة من ادميبوايت الى سبارطة لزيارة ارخيلونيوس والدة برازيداس فسألتهم هل مات ابنها شجاعا خليقا باين سبارطه ، فاطراه الاجانب قتالين ان ليس في سبارطة كلها اشجع منه ، فاجابتهم والدة ، لا تقولوا هذا ايها الاصدقاء كان ابن شجاعا ولكن في سبارطة كثيرون خير منه واشجع . »

قلنا ان ليكورجوس انتخب رجال مجلس الشيوخ (السينا) من بين الذين علونوه في عمله ثم سن بعد ذلك شرعة مؤداها انه اذا توفي شيخ انتخب بدلا منه

(١) نحوى من سبارطة عاش في عهد البطالسة الاول .

أوفر الوطنيين فضلا من تجاوزوا سن الستين. وكان التنافس معركة من المجيد المعارك في العالم وخير ما تبذل فيه جهود المتنافسين لم يكن القصد اقتخاب النشط النشطاء ولا أقوى الأقوياء بل أحكم الحكماء وأفضل الفضلاء ، يستمتع المنتخب طول حياته بأجر الفضيلة ، وهو السيادة التامة المطلقة في الحكومة ، يحق له التصرف في حياة وسمعة الاهالى اى فى اهم مصالحهم واليك تفصيل عملية الانتخاب

يجتمع الشعب في الساحة العمومية ويجتمع الناخبون ( المرشحون ) في بيت مجاور لا يرون احدا ولا يراهم احد ولكنهم يسمعون هتاف الجماعة لان الشعب كعادته يعطى صوته عاليا . ولا يرى المرشحون سوى المكتوب على لوحة الدرجات الاول والثاني والثالث وهلم جرا . ولا يدخل المتنافسون الى الساحة دفعة واحدة بل يجتازونه الواحد بعد الاخر صامتين فمن كان موقن كان الهتاف له اكثر واكثر كان المنتخب فيتوج باكليل من الزهر ، ثم يذهب الى الهيكل يقدم الشكر للالهة يمشى خلفه جماعة من الشبان يثنون على شجاعته ويطرون فضائله ، ثم طائفة من النساء تاشد الاناشيد تهنئة بحياته الفاضلة . ثم يعد كل من اصحابه طعاما ويقول له ان المدينة تكرم فضله بهذا الطعام ، وبعد ان يزورهم جميعا يعود الى الساحة العمومية حيث يقضى الشئون . عادة . غير أنهم يعدون له طعامين ( حصتين ) يترك احدهما وبعد تناول العشاء تحضر ذات قربان يتفن عند ابواب الساحة فيدعوا كثيرهن احتراما في نظره يقدم اليها الخصة الثانية قليلا ، أعطيت هذا جزاء الفضيلة وبهذه الصفة اقدمها اليك « فتصحبها النساء الى منزلها وتكون هي ايضا موضعا للدفاوة والتكريم .

ولا تقل شرائع ليكورجوس عن الموتى والحيازات حكمة عن سواها . فليكن يبعد الاوهام عن العقول لم يحرم دفن الموتى في المدينة ولا اقامة المقابر بالقرب من الهياكل فعود بذلك الشبان رؤية الموت وحال بينهم وبين الفرع من مشهده وتوهم الدنس من لمس الجثة أو الطراف حول المقبرة ولم يسمح بدفن شيء مع الميت ،

انما يكفن في قماش أحمر وورق الزيتون ، وحرمة كتابة الاسماء على المقابر الاسماء الذين يموتون في ميدان القتال أو المرأة المكرسة لعبادة دينية . جعل ليكوريوس مدة الحداد احد عشر يوما وفي الثاني عشر يذهبون لاداء التقدمة للاله سيرس فينقضى الحداد . ولذلك لانه لم يرد بقاء القوم عاطلين زمنا طويلا . اذ كان دأبه ان يجمع بين أداء الواجب الضروري والتشجيع على الفضيلة وتقبيح الرذيلة . لم يدع رواية في المدينة دون ان يقيم فيها الأمثلة والقنوات الصالحة يقتدى بها الوطنيون اذ يرونها نصب عيونهم على الدوام تجتذبهم بقوتها القاهرة الى الخير وتفرغهم في قلبه .

اما حرمان مواطنيه السفر والطواف في العالم فلانه كان يخشى عليهم ان يجتلبوا عادات البلاد الاخرى والأمثلة السيئة أو يرون في الحكومة رأيا غير رأيه . لقد فعل أكثر من ذلك ، طرد من سبارطة جميع الاجانب الذين أتوا اليها لغير مصلحة . لم يكن منه ذلك ؛ كما زعم توسيديد خوفا من ان يقلدوا حكومته أو يتمرسوا بالفضيلة بل كان ذلك منه خوفا من ان يكونوا في سبارطة معامين للرذيلة . والحقيقة انه لا بد من ان يدخل مع الدخلاء في المدينة آراء جديدة ، ومع الآراء الجديدة ، وجهات نظر جديدة ، ولا تلبث هذه ان تلد أهواء ورغبات توقع الاضطراب في النظام كما تحدث الاصوات الناشزة عند الفناء اضطرابا في الاداء والتوقيع . لذلك رأى ليكوريوس انه يجب صيانة المدينة من الاخلاق الفاسدة بعناية أكثر مما يلزم لابعاد المرضى والموبوئين عنها .

يوجد فيما قدمنا اثر للظلم أو القسوة التي يعيبنها على شرائع ليكوريوس . يقولون انها صالحة لايجاء الشجاعة ولكنها قليلة الفائدة في اقامة العدل . ولعلهم يقصدون مايدعونه في سبارطة الغدر ( أو الاغتيال . ) اذ كان ذلك مما سئله ليكوريوس على ملازمه ارسطو الذي ادعى أفلاطون استياءه من حكومة المدينة ومشرعها .



وتفضيل هذه الشرعة ان الحكم كانوا يرسلون أشد التبان حذرا وقوة  
 يقطعون الطريق في المزارع غير مسلحين الا بالخنجر والمؤنة . يتفرق الشبان نهارا  
 ويختفون في أما كن بعيدة عن الانظار ، يستريحون فيها حتى اذا جن الليل  
 يخرجون وينتشرون في مفارق الطرق يذبحون من يلاقونه من جماعة الهيلوت . وقد  
 يغيرون نهارا على المزارع يقتلون أشد الهيلوتين بأسا . قال توسيديد في تاريخ  
 حرب البيلوبونيز ان السبارطين اختاروا عددا كبيرا من رجال الهيلوت الممتازين  
 بشجاعتهم لتحريرهم وتوجههم بالليل الزهر وساروا بهم الى الهياكل ليقدّموا  
 واجب الشكر للآلهة على ما أصابوا من الحرية ، وحدث بعد ذلك ان اختفى أولئك  
 المحررون وكان عددهم ألفين . لم يقل لنا أحد في ذلك العصر ولا فيما بعده كيف  
 ماتوا . ويقولون أيضا وارسطويثيد القائلين ان النواب عند استلامهم مهام الحكم  
 يبدأون باعلان الحرب على الهيلوتين حتى لا يمد قتلهم رجسا . وان السبارطين  
 كانوا يعاملونهم حينما وجنوا باقسي ما يكون من القوة . كانوا يكرهونهم على الافراط  
 في شرب الخمر ومتى ثملوا ساقوهم الى ساحة الطعام العمومية ايرى الشبان ماهو  
 السكر . وكانوا يكرهونهم على ان يغنوا ويرقصوا أغان ورقصات وقحة مزرية  
 ويمزجون عليهم كل ما تحتوى عليه هذه الملاحى من خير وشرف . ويقال أيضا  
 انه حدث بعد ليكورجوس بزمان طويل أيام حملة الطيبين على سبارطة ان الهيلوتين  
 أبوا ان يغنوا شيئا من شعر تارباندر والكيان ، وسباندون السبارطى لان سادتهم  
 حرّموا عليهم ذلك .

وعليه يكون أجلى ما توصف به حكومة كهذه ، ان أحرارها كانوا على  
 أسى ما يكون من الحرية وعبيدها فى أدنى ما يكون من العبودية . أما أنا  
 فرأى أن السبارطين لم ينزلوا الى هذا الدرك من القسوة الا بعد ليكورجوس  
 بزمان طويل . اشتدت وطأة القسوة بعد الزلزال الخطير الذى حدث  
 ٤٨٩ سنة ق . م . انتهزه الهيلوتين فرصة للثورة فنهضوا لها بالاتفاق مع المسيئين

وقد أنزلت هذه الثورة بالبلاد شر الويلات وعرضت المدينة لاشد الاخطار. على  
انى لا أستطيع ان أنسب لليكورجوس بدعة هذا الضرب الاثيم من العذر ،  
انى أحكم عليه حسب أخلاقه ودعته وعدله ، تلك الخلال البارزة فى مسلكه  
وهى التى شهدت لها الآلهة .

ما لبست روح الانظمة الجديدة ان انتظمت أخلاق الوطنيين فتوطد  
دعائم الحكومة الى درجة تستطيع معها البقاء والاحتفاظ بكيانها . قال افلاطون  
ان الله لما أتم خلق العالم سر سروراً عظيماً عند ما رآه يتحرك حركته الاولى .  
كذلك سر ليكورجوس سروراً عظيماً عند ما رأى جمال وخلال شرائعه تسير  
وحدها وافية بالغاية التى قصد اليها . حينئذ أراد أن يضمن لها جهد المستطاع  
بقاءً خالداً وسلاماً لا تشوبها شائبة . جمع مواظبيه كلهم وقال لهم انه أنشأ هذه  
الحكومة كما يحب لسعادتهم ودوام فضائهم ولم يبق إلا نقطة واحدة ، هى فى  
الحقيقة أهم ما سبق . ولكنه لا يريد احداً منها قبل استشارة وحى ابولون . حثهم  
على صيانة الشرائع بكل حرص وأمانة لا يغيرون فيها ولا يبدلون حتى يعود من  
دلف متعبداً بتنفيذ ما يأمر به الآلهة ، عاهدوه على الطاعة التامة واستعجلوه فى  
الرحيل . اخذ ليكورجوس اليمين على المالكين والشيوخ والشعب أن يحرسوا على  
الحكومة التى أنشأها ثم سافر الى دلف . ولما وصل الى الوحي وقدم المقدمة الى  
الآله سألها اذا كانت شرائعه صالحة لسعادة السبارطين وأنماء الفضيلة بينهم ،  
فاجاب ابولون أن شرائعه عظيمة جديدة وان سبارطة ستبقى أشهر المدن مادامت  
حافضة للانظمة التى وضعها ليكورجوس ، كتب ليكورجوس جواب الوحي وارسله  
الى سبارطه ، ثم أدى مقدمة أخرى وعانق أصحابه وابنه وارضى ان يموت حتى  
لا يتجلبل مواطنوه من قسمهم . كان فى تلك السن التى يكون فيها الانسان من  
القوة بحيث يستطيع الحياة ، ومن النضوج بحيث يستطيع الموت اذا أراد .  
رأى جميع متمنياته محققة على وجه التقريب فامات نفسه جوعاً معتقداً ان موت

السياسي أوفر فائدة لمواطنيه من حياته العاطلة.

هنا مجال فسيح للنظر في هذا الموقف العظيم للفضيلة والعمل . رأى ان يتم سعادته بعد ما قام به من جلائل الاعمال بالموت . رأى أن يحفظ لمواطنيه الذين أقسموا أن يحرصوا على شرائعه حتى يعود ، دوام ما اجتلب لهم مدة حياته .

لم يحب ظنه فقد بقيت سبارطة في المقام الاول بين مدن يونان متفوقة بفضل حكومتها الحكيمة متحفظة بمجدها مدة الخمسمائة سنة التي حرمت فيها على شرائع ليكورجوس . لم يحدث أحد من الاربعة عشر ملكا الذين تلوه في الحكم من المشرع الى أجيس بن أرخداميس تغييراً ما في الشرائع لان النواب لم يتهاونوا في شأن من شؤون الحكومة بل ازدادوا حرصاً على صيانتها . وكان في ذلك الخير كل الخير للشعب . ولكن قوة الارستوقراطية أخذت في النمو أيضاً . في عهد اجيس تسربت النقود إلى المدينة ومعها البخل والجشع . وفي ذلك العهد اجري ليزاندور في وطنه محبة المال والترف ، ولوانه لم يكن يسمح لنفسه أن تستهويها شهوة الذهب . وانهى الأمر بان تغلبت الاموال التي عاديها من الحرب على شرائع ليكورجوس . اما أيام احترام سبارطة تلك الشرع فكانت اشبه بيت عاقل حسن النظام منها بمدينة تسودها الحكمة . أو كما يقول الشعراء عن هرقل أنه طاف العالم لابساً جلد أسد وبيده « زقلة » يظهره من أولاد الخنا والطفاة الظالمين ، كذلك كانت سبارطة برسالة صغيرة وطاقية حقيرة تملئ إرادتها على جميع بلاد اليونان فتدين اسلاطمتها طائعة . تقوض اركان الظلم والاستبداد اللذين يرهقان المدن ، تحكم فتبطل الحروب والفتن ، وكثيراً كان يحدث ذلك دون أن تجرد سيفاً أو تدبر ترساً ، لا يكلفها ذلك سوى ارسال سفير يخضع الجميع لارادته كما يعمل النحل متى رأى ملكه يسرع اليه ويصطف حوله . فما أعظم ما كان لسبارطة من هيبة وما اشتهر عنها من عدل !

يدهشني بعد ما تقدم ان يقال بأن السبارطين لا يعرفون سوى الطاعة ، أما القيادة فلا . اني أفهم ما يعلقون من خط على كلمة الملك تيونوثب ، قيل أمامه يوماً أن سبارطة محتفظة بمقامها لان ملوكها يعرفون كيف يتودون . فقال تيونوثب « الاولى أن يقال أن الوطنيين يعرفون كيف يطيعون . » إن الشعوب على ما ترى ؛ لا تخضع طويلاً لمن لا يعرف كيف يقودها . إن طاعة الرعية ثمرة علم الراعي . فمن احسن القيادة حسنت له الطاعة . وكما أن الغرض من رياضة الخيل هو كبح جماحها واخضاعها للشكيمة ؛ كذلك الغرض من السياسة الملكية هو افراغ الشعب في قالب الطاعة .

لم يخضع السبارطيون الشعوب لارادتهم فقط بل كانت الامم تتنازع عرش رياسة أحدهم عليها يخضع لأمره . لم يطالب منهم الا جانب سفنا ولا مالا ولا جيوشا ، بل قائداً سبارطياً . وحتى فازت به امة تقدمته اليها الهيبة والرهبة . على هذا خضع الصقليون لزعامة جيليب ، والكاليدون لزعامة برازيداس ، وجميع يونان اسيا لزعامة ليزاندر وكاليكراتيداس واجزيلاس . كان القواد السبارطيون يدعون حكام ومصلحي شعوب وملوك العالم . كانت سبارطة سيدة العالم في فني الحياة الطيبة والحكمة . وهذا مادعا ستراتونيكوس (١) إلى إلقاء عبارته الساخرة . « على الاثينيين ان يحفلوا بالاسرار والاعیاد الدينية ، وعلى الأبيين ان يقيموا الالعب العمومية التي برعوا فيها واذا أخطوا تولى السبارطيون جلد هم . » كلمة اراد بها الضحك . ولكن انتستين السقراطي (٢) قال في جد إذ رأى الطيبين يفاخرون بانتصارهم في ليكره ، انهم يشبهون تلاميذ يباهون بضرب معلمهم .

لم يكن من هم ليكورجوس ان يجعل سبارطة على رأس جملة شعوب لا اعتقاده ان سعادة المدينة كسعادة الفرد ثمرة الفضيلة والنظام . قصد إلى ذلك واحسن

(١) مؤسس المذهب الكلي ومعاصر افلاطون .

(٢) موسيق ايني معروف بنكاته وملحه م

الوضع بحيث جعل الالهالى وهم احرر مكنتين بانفسهم بحرصون جهد استطاعتهم على الفضيلة . عنه أخذ أفلاطون وديوجانس وزينوت وجميع المؤلفين السياسيين و اراءهم السياسية ولكنهم لم يتركوا سوى كتب وخطب . اما هو فقد أخرج للعالم ، لافى الكتب ولافى الخطب ، ، بل فى دائرة الحقيقة جمهورية لا مثيل لها . واقنع الذين يدعون ان الرجل الحكيم على ما حدده الفلاسفة لا وجود له ، انهم مخطئون : لذلك فاق مجده بحق جميع ابناء مؤسسى الجمهوريات فى يونان .

لذلك قال ارسطو ان السبارطين لا يفن ليكوجوس ما يستحق من التكريم وان كانوا يكرمونه تكريماً خارقاً للعادة . أقام له السبارطيون هيكلًا يؤدون له التقدّمات كل سنة كأنه اله . ويقال أيضاً أنه لما احضرت رفاقه الى سبارطة انقضت الصاعقة على قبره ، ولم يحدث هذا لغيره من العظماء سوى اوريستيدس الذى مات بعد ذلك بزمان بعيد فى مقدونية . ودفن بالقرب من اراتوس ، وهذه شهادة مجيدة وفي بها المعجبون به لانها مميزة انفرد بها وحده بعد موته كافرش واعز رجل على الالهة .

يقول البعض أن ليكوجوس مات فى جبرها ، يقول أبولوتيس (١) أنه نقل إلى أوليد ، ويؤكدها (٢) و اريستوكسين (٣) أنه ايامه فى كريت وان الكريتين يدلون على قبره بالقرب من الطريق الكبير ويقال أنه ترك ابنا وحيدا وهو انتيوروس ومات بلا عقب فكان آخر أسرته . أقام أصحاب وأهل ليكوجوس عيداعاما يحيون به ذكراه ، بقى زمنا غير قليل . يدعون أيامه باسمه « الليكوجوسية » ويقول اريستو كرات بن هيبارك (٤) أنه لما مات ليكوجوس فى كريت أحرق

١ كاتب مجهول . ٢ اعله تيماء التوروموينى الذى سبقت الاشارة اليه . ٣ له ثلاث مؤلفات فى الموسيقى نشرت باسمه فى مجموعة مايوسبيوس . وله مؤلف فى سيرة الفلاسفة . ولد سنة ٣٥٠ ق م . وكان تلميذا لارسطو . ٤ مؤلف غير معروف

الاهالى جثته وذرورامادها فى البحر بناء على وصيته . لانه ان تعاد رفاة الى  
ضبارطة فيتحال السبارطيون من ايمانهم بحجة انه عاد فيغير شكل حكومته هذا  
ما يعرف عن ليكورجوس :

## نوما

من سنة ٧٥٤ الى سنة ٦٧١ ق . م .

تتناقض الاقوال في زمن حكم الملك نوما على ان السلالات متصلة اليه من جيل الى جيل . حقيقة ان كاتباً يدعى كلود يوس يؤكد في مؤلف له عنوانه مناقشات في الازمنة . ان جميع السجلات ضاعت ايام اغر الغاليون على روما وان الموجود منها مختلف اصطفايته ايدى البعض رغبة في اثبات سلسلة النسابة الى قدماء الرومانيين ليمسحوا لانفسهم مكاناً في منازل العظماء . يقال ان نوما كان صديق فيثاغوروس . ويقال انه لم يكن يعلم شيئاً من الآداب اليونانية ؛ ولان الطبيعة وحدها هي التي ككونته وحماته على التزام الفضيلة . واذا كان قد تلقى العلم والادب على استاذ فيجب ان ينسب هذا الشرف الى رجل من البربر ( الاجانب ) أعلى كعباً من فيثاغوروس ويؤكد البعض ان فيثاغوروس لم يوجد إلا بعد نوما بزمن طويل تقدر بخمسة أجيال على الأقل . ولكن فيثاغوروس السبارطى الذى أحرز قصب السبق فى الألعاب الاولمبية للدورة السادسة عشر التى حدثت فى سنتها الثالثة انتخاب نوما . قام برحلة الى ايطاليا وصار صديقاً للملك وأعانه على تنظيم شؤون مملكته . هذا سبب متراد من لائحة السبارطية خلال النظم الرومانية . ولكن النصائح التى تعرض الى فيثاغوروس هذا قد تكون هى انها أنية الى نوما عن طريق أصله السابى لان السابيين يزعمون انهم سلالة بجالية سبارطية . على انه من المتعذر ضبط الزمن ؛ لاسيما اذا أردنا تطبيقه على الدورات الاولمبية التى أنشأها أخيراً هيببىاس الالىسى ولا يستند الى وثيقة حقيقية ثابتة . ومع كل سنوى ما وجدناه عن نوما جديراً بالذكر وفى الموضوع ذاته ما يدلنا على بدايته .

في السنة السابعة والثلاثين ابناء روماء وحكم رومولوس وفي السابع من شهر يولييه وهو اليوم المعروف الآن بيوم العذارى السكابرانية. ذهب رومولوس الى خارج المدينة ليؤدي مقدمة عامة بالقرب من غدير العنزة يصحبه جميع رجال مجلس الشيوخ والشعب كله تقريباً. تغير الجو فجأة تغيراً غريباً. انتشرت على الارض غيمة كثيفة مظلمة وهبت رياح عاصفة فكانت زوابع مخيفة. استولى الرعب على الجمهور ففرقوا بددا واختفى رومولوس وسط هذه العاصفة ولم يجدوا حتى جثته. اشتدت الشبهة ضد الشيوخ وجرت الاشاعة بين الناس؛ انهم ملوا الخضوع لسيطرة ملك فعلوا على التخلص منه ليستأثروا بالحكم. في الواقع ان رومولوس كان قد مال عليهم وعاملهم بالقسوة والاستبداد ولكنهم كسروا حدة هذه الارجيف بتقديمهم الى رومولوس التقدّمات الالهية واقناع الشعب بأنه لم يحث وانه ينعم بحياة أوفر سعادة. وأكدهم برومولوس وهو من أكثر رجالهم شهرة مقسماً أغلظ الايمان أنه رأى رومولوس صاعداً الى السماء متقلداً اسلحته وانه سمعه يأمرهم بان يدعوه كيرنيوس.

ولكن مسألة انتخاب ملك جديد أوقعت المدينة في الاضطرابات والفتن لم يكن الاجانب قد امتزجوا بالوطنيين. وقع الخصام بين الاهالي وتفرقت كلمة الشيوخ كل يسى الظن بالآخر. كان الكل مجمعين على ضرورة وجود ملك ولكنهم مختلفون في من ينتخبون، ومن أية أمة من الامتين يختارونه. رأى الذين اشتروا مع رومولوس في تأسيس روما أنه من الظالم أن يدعى السابيون السيطرة على شعب دعاهم لمشاركته في المدينة وأراضيها. وقيم السابيون البراهين التي لا تقل قيمة عن هذه بقوهم إنهم بعد موت تاتنيوس ملكهم لم يشقوا عصا الطاعة على رومولوس بل تركوا له الحكم هادئاً مطمئناً وعليه يجب لهم في مقابل ذلك ان يختار الملك منهم. يضيفون الى ذلك أنهم يوم جاءوا الى روما لم يكونوا أقل قسراً من الرومانيين وانهم زادوا في قوتهم زيادة كبيرة وجعلوه



زيادة كبيرة وجعلوه من مدينتهم تلك المدينة القادرة القاهرة ولكن الشيوخ خشية اضطراب الحال اتفقوا فيما بينهم أن يتولى كل منهم الحكم واحداً بعد واحد يقدم التقديمات المعتادة على ما كان يفعل رومولوس وإن تكون مدة حكمه ست ساعات نهلاً وست ليلاً. رضى الشيوخ بهذا الاتفاق لتداول السطة بين أيديهم ويرى كل شيخ في كل نهار وفي كل ليلة وطنياً وملكاً فتزول أسباب الغيرة ويطلق الرومانيون على هذا العهد (عهد ما بين الحكومتين)

لم ينج الشيوخ بالرغم من اعتدالهم وتقربهم للشعب من الريب والظنون والتدبر ضدهم. أمهم الشعب بتحويلهم الحكومة الفردية الى حكومة جماعة وانهم يضمرون عدم انتخاب ملك ليقوا الحكم بين أيديهم. فتفق الفريقان اتقاء هذه الظنون ان يعين أحدهما ملكاً يختاره من الفريق الآخر. هذه هي الطريقة التي ظن أنها خير ما يصلح الحال، تحمل الملك المنتخب على العدل لعطفه على الفريقين يطف على هذا الذى اختاره مدين له بالملكية وتعطفه على الآخر لحمة القرابة. ارتضى السابيون أن يقوم الرومانيون بعملية الانتخاب ورأى الرومانيون أن خير لهم أن يعينوا سابياً يختارونه هم من أن يقبلوا حكومة رومانيا ينتخبه السابيون. وبعد المداولة قر قرارهم على اختيار نوما بونيليوس، ولم يكن من السابينيين الذين أقاموا فى روما ولكنه رجل أذاعت فضائله شهرته بين الجميع بحيث أن السابينيين هتفوا عند سماعهم اسمه أكثر من الذين انتخبوه. أعلن الانتخاب الى الشعب وأرسلوا وفداً من الفريقين الى نوما يرجوا اليه الحىء لاستلام أزمة الملك.

كان نوما من كوريس وهى احد مدن السابينيين الشهيرة اخذ منها الرومانيون والسابيون الذين اكتسبوا حقوق الوطنية الاسم الذى أطلقوه على أنفسهم الكيريت وهو ابن بونيونيوس رجل محترم وهو اصغر اخوته الاربع. وهو وليد توفيق الهى،

اذ ولد في اليوم الذي وضع فيه رودولف اساس روما ، الحادى عشر من شهر مايو حملته فطرته الطيبة على التحلى بالفضائل زادهما كمالا بالعلم والصبر والفلسفة . طهر نفسه لا من جميع الالهواء المنجالة بل من الالهواء التى يفتخر بها البربر (المتوحشون) كالتمسوة والشراسة . لا اعتقاده ان الشجاعة الحقيقية هى اخضاع الشهوات لغير العقل وحرصا على هذه المبادئ ابعد عن بيته جميع اسباب الترف والفخفة . رأى فيه الاهالى والاجانب حكما عادلا لا غش فيه . خص أوقات فراغه لالسى وراء التمتع بالملاذ ، ولا يجمع الثروة بل لتكريم الآلهة والسمو بعقله الى معرفة طبائعها وقدرتها حتى اكتسب من الصيت الحسن والمجد . ما حمل تاتايوس زميل رومولوس فى الحكم على اختياره صهر له ، زوجه من ابنته الوحيدة ثانيا . لم تستوهه هذه القرابة الى مغادرة موطنه والمقام بقرب حميه بل بقى فى كوريس يعتنى بخدمة والده المعجوز وقد اثرت ثائيا امرأته البقاء مع زوجها فى بيته الخصوصى ناعمة البال قريبة العين على ما كانت تجد من انواع الاحترام والتبجيل فى روما وفى بيت ابيها يقال ان ثائيا توفيت بعد زواجها بثلاث عشرة سنة فبجر نوما بعدها المدينة واعتاد سكنى الريف وكان من دواعى السرور عنده ان يتنزه منفردا بين خصاص الآلهة والمروج المقدسة والاما كن الخربة . وظنى ان هذه الحياة كانت سببا لما اشيع عنه من اتصاله باحدى الالهات :

ظن القوم ان لا الضجر ولا الحزن هما اللذين حملا نوما على الابتعاد عن الناس ، بل انه وجد اليقة اسمى وان الهة وجدته خليقا بعهدا وانه صار زوجا للالهة اجبرى تغدق عليه خيرات حبها فصار بفضل المقام معها سعيدا عالما بجميع الامور الالهية وفي هذا ما يشبه ما توارثه الابناء عن الالباء من انحرافات كالتى يرونها الفريجيون عن أنيس والطيديون عن هيردوتوس والاركدابون عن انديميون وغيرهم مما يروى عن رجال أسعدهم الحظ بصداقة الآلهات لا بأس ، لا بل من الطبيعى ان الله الذى يحب الخيول والطيور ، بل الناس يرضى مخاطبة الممتازين بفضائلهم

ولا يأتي محادثة التقى الورع . لما ان الها أو ذاتا الهية تتصل بجسد انسان فان  
تتشق جماله ، فهذا مالا يسهل تصديقه . ويذهب المصريون في ذلك مذهبا  
خاصا اذ يرون انه ليس محالا ان تقترب روح الآله من امرأة وتبذر فيها غرسا  
ولكن لا يستطيع بحال ان يتصل أو يتحد جسديا بالآله . ولكن هذا لا يتفق مع  
المبدأ المعروف ان كل ذات تتصل بمادة تترك فيها جزءا منها وتأخذ منها جزءا  
لا يقل عن ذلك في الحقيقة ، ان الآلهة تود الناس . ومن هذه المودة ينشأ فيهم  
ما يدعى حب . وما هو منهم سوى عناية خاصة بتكوين أخلاق من يحبون وجعلهم  
فضلا . هذا ما يمكن تصديقه وبهذا تفسر أحاديث الشعراء عن حب أبولون  
لغورباس ، وهيانث وادميت وهيبوليت البسيوني ويقال ان هيبوليت لم يكن  
يركب البحر من مدينته الى غيرها إلا ومثى شعر الآلهة بقربه وفرح بعودته حتى  
يوحى الى مستلم الوحي ان ينطق بهذا الشعر الحماسي

«هيبوليت تلك الرأس الغريزة يجتاز البحر ويعود» ويقال أيضا ان «بان»  
أحب بندار وشعره وان الآلهة أكرمت هزود وارخيلوك بعد موتيهما لانهما كانا  
عزيزين على آلهة الشعراء وان الآله اسكولاب أقام في مسكن سوفوكل مدة حياته  
ولا يزال هناك حتى اليوم أدلة على هذه الزيارة وان بعد موته قام له اله أخر بالواجب  
الاخير . اذا كان هذا شأن الآلهة مع الشعراء فهل نستطيع في غير عدل ان ننكر  
عليهم . تكريمهم أمثال زالوكيس ومينوس وزردشت ونوما وليكورجوس وهم  
حكام ومؤسس جمهوريات ؟ الا يجدر بنا ان نقول بان داعيا خطيرا يحمل للآلهة  
على مواصلة هؤلاء العطاء ؟ وجب عليهم ان يأتوا ليوحوا اليهم مشروعاتهم المجيدة  
وتشجيعهم على تنفيذها في حين انه اذا صح اتصالهم بالشعراء والموسيقين فلا  
يكونوا لغير شيء سوى التلعي . وإذا رأى احد غير هذا فالجمال فسيح . كما قال  
اكيليدس ، فلا بأس من الاعتقاد بما ذهب اليه بعض المؤافين ان ليكورجوس  
ونوما وغيرهما من العطاء ممن تولى قيادة جماهير خشنة الطباع شديدة المراس  
م ..... ١١ العطاء

ادعوا لقبول ما ارادوا احداثه من التغييرات صدورهما عن الالهة : تخيل وافر الخير حتى لمن خدعوا

كان روما في الاربعين من عمره عندما وصل اليه وفد روما يرجو اليه قبول ملكية . قام بمخاطبته بروكلوس وفالازيوس اللذان وقعا عليها الانتخاب الاول من الرومانيين والثاني من السابينين ، لم يكن خطابهما طويلا ولم يشك في ان روما سيتلقى الخبر الذي يحملانه اليه كنعمة كبيرة ولكنهما لم يجدا السبيل لاقناعه سهلا . كان لا بد لهما من تقديم الاسباب المعقولة والرجاء لاقناع رجل اعتاد العيش بين الراحة والسلام ، بقبول حكومة مدنية ولدت في الحروب ونمت في ظل السلاح . اجاب بحضرة والده وماريوس احد اقاربه بما ياتي .

« في كل تغيير يحدث في حياتنا خطر علينا اما من لا يعوزه شي ولا يشكو حالة فمن الجنون ان يعدل عن عادته ويغير من شأنه وان يستعوض عما هو مؤكد الفائدة بما لا تؤمن عقبا كما يستفاد مما حدث لرومولوس فقد الصقت به تهمة قتل زميله تاتيوس وتركه التهمة لاحقة برجال مجلسه بعد موته بانهم هم الذين قتلوه .

مع ان الشيوخ يختلفون بذكرى رومولوس بصفته ابن الالهة . يقولون ان رومولوس غدى في طفولته وانه قد بعناية الهية خاصة . اما انا فمن البشر غذيت ونشأت بين رجال تعرفونهم وماتت مدحونة في من الصفات ايست ما يلزم لرجل يقدم على تولي الحكم .

ان ما اجبته دائما هو الراحة والدرس بعيدا عن مهام الاشغال وما يلزمها اني احس بميل شديد للسلام ، للرياضة البعيدة عن الحرب ، لتلك المجتمعات التي تشتغل بتكريم الالهة التي تمتنع بالمسرات البريئة يعود منها الى حرائة الارض ورعاية القطعان .

اما انتم ايها الرومانيون فقد خلف لكم رومولوس حروبا يحتمل انكم

لم تكونوا تودونها . ان المدينة محتاجة في مقاومتها الى ملك ممتلي حماسة وفي تنفوان الصبا . لقد اعتاد هذا الشعب الحروب والنصر مغرى بشجاعته ويعلم الكل انه لا يريد سوى التوسع والسيادة على الشعوب الاخر . فيكون من المضحك خدمة الآلهة وتعويد الاهالى العدل وبغض الحروب واحتمال الشدائد في أمة حاجتها إلى قائد جيوش اشد منها الى ملك

قابل الرومانيون قدمه نوما من الاسباب لرفض الملكية بالالاحاح الشديد وتوسلوا اليه الا يرمى بهم ثانية بين الاضطرابات والحرب الاهلية لانه هو الرجل الوحيد الذى ارتضاه الفريقان . ولما انسحب بذل والد نوما وماريوس الجهد لاقتناعه بقبول هذه المنحة الجميلة الالهية .

« اذا كان لك من ثروتك ما يغنيك ولم تكن فى حاجة إلى كنوز : اذا كنت لاتطمع فى مجد السيادة والسلطة بما لك من الفضيلة من مجد محقق فلتعبر على الاقل انه فى تولى الحكم خدمة لالهة . ان الاله هو الذى يدعوك اليوم ؛ لا يريد ان تبقى العدالة التى اقترنت به عاطلة لاثرها . فلا تقاوم ارادته . لاترفض الحكم انه مجال يأتي فيه الرجل العظيم جلائل الاعمال هناك يستطيع أن يكرم الاله أكبر تكريم باخضاع الرجال لعواطف التقوى بما يقدمه الملك من القدوة الصالحة المؤثرة .

لقد أحب الرومانيون تاتيوس وهو غريب عنهم واكرموا ذكرى رومولوس بتكرمات دينية ومن يدرى اذا لم يكن هذا الشعب المنتصر قد مل الحروب وشبع من النصر والاسلاب تاق الى رجل يحب العدل يقيم خير الشرائع التى تكفل لهم السلام ؟ و إذا بقى ذلك الشعب على ميوله وشهوته الحربية الا يكون من الخير تحويل هذه الحمية إلى شؤون اخرى متى قبضت على اعنة الحكم . تجمع كلمة الوطنيين وتوفيق روابط المودة بين السابين وأهالى المدينة العامرة الرهيبة ؟ ويقال ان فلا حسنا ايد هذه الاسباب ، وزادها رجاء مواطنيه

الذين اسرعوا اليه عند ما سمعوا بقسوم وقد روماء الحوا عليه في السفر وقبول الملكية ليوثق الاتحاد والالفة بين رجال الامتين .

ومذ قبل قدم مقدمة للالهة وسافر الى روما فاستقبله رجال مجلس الشيوخ والشعب بحمد وبهم الشوق لرؤيته هتفت له النساء هتاف الفرح وقد من التقدّمات في الهياكل وشمل الفرع الجميع حتي كأنهم لا يستقبلون ملكا بل ملكة ولما وصل الى الفروم (ساحة المدينة) شرع سيوريوس فتيوس القائم بالحكم في اجراء الانتخاب فاجتمعت الاصوات على انتخاب نوما وقداموا اليه الشارات الملكية . فطلب اليهم نوما أن يترشوا حتى يتاكد من رضى الآلهة فاخذ طائفة من الكهنة والعرافين وصعد الى الكابيتول الذي كان يدعو الرومانيون حينذاك قل تاربيا فالتقى على وجهه رئيس العيافة غشاء واداره نحو الجنوب ووقف خلفه . ونوما يده اليمنى على رأسه وصلى وادار نظره في جميع الجهات ليرى ما تعلنه الآلهة بطيران العصافير أو علامات اخرى . وكان السكوت الرهيب يخيم على تلك الساحة المكتظة بالناس والكل ينظر ما يحدث الى أن ظهرت اخيرا طيور حسنة الطالع سائرة إلى اليمين وحينئذ لبس نوما الرداء الملكي وتوسط الشعب فعلا هتاف الفرح يحيي الجميع الملك يلقبونه القديس ابن القديسين واعز انسان على الآلهة وكان أول عمله بعد تولية الملك الغاء فرقة الحرس وهي مؤلفة من ثلاثماية جندي التي كان رومولوس يقيمها حوله وكان يدعوها السريمة نخفة رجالها في الجرى . لم يرد نوما ان يظهر عدم الثقة فيمن وثقوا به ولم يرد الا الحكم بين أناس يثقون به ثقة تامة . ثم زاد على كاهني جوبيتر ومارس كاهنا اخر لرمولوس ودعاها فلامين كبير ينال . وفلامين كلمة مأخوذة من لفظة بكالاتين اليونانية ومعناها القبعة الحمراء وهي التي كان يلبسها الكهنة . وذلك لان الكلمات اليونانية كانت كثيرة التداول بين الرومانيين في ذلك العصر كذلك كلمة لين التي تطلق على اردية الملك مأخوذة من « كلين » اليونانية وكاملوس وهو الاسم الذي كان يطلقه بعض شعوب اليونان على مرقير لانه وزير (أورسول) الآلهة

وبعد هذه الاصلاحات التي اكسبته عطف الشعب ورضاه لم يضع نوما لحظة من الوقت . أخذ يلين أخلاق الوطنيين كما يلين الحديد وان يبدهم من ميولهم القاسية الحربية عواطف أرق وأعدل ، كانت روما حينذاك المدينة الشائرة التي تكلم عنها أفلاطون . صنعة أجراء الرجال وأسلمهم في القتال اجتمع أبناؤها من كل حذب عاشوا بين الحملات والحروب المتوالية تحت قوتها بفضل السلاح وكانت الحماطر يزيد قدمها رسوخا كما يزداد الوقت تمكيناً بالدق . كان نوما يعلم انه من الصعب جداً ان يحمل هذا الشعب المتبكر الحربي على حب السلم فاستعان بالدين وتوسلا باقامة الاعياد وتقديم القرابين واقامة المراقص يدبرها بنفسه ويخفف من حركتها بما يودع فيها من أسباب السرور وبهذا راض تلك الطبائع الهائجة وهذبت من سورتها وكان يعتمد احيانا الى الافضاء اليهم باجاديث ومعجزات مخيفة أظهرتها اليه الالهة : رؤى غريبة واصوات تهديد ، وأخيرا أفلح في تهدئة تلك النفوس وثناها تحت سلطنة الدين

كان هذا المسلك داعياً للقول بان نوما مدين بحكمته لتعاليم وصدافة فيثاغوروس والواقع أن أساس حكومة نوما ومبادئ الفيلسوف هما عبادة الالهة والريضة الصالحة ، ويقال أيضاً إنه ذهب مذهب فيثاغوروس في ابراز جميع ما يعمل في شيء من المباهاة . فقد راضى الفيلسوف نسرا حتى جعله يقف طيرانه متى دنا منه وينحط على رأسه . وكان في الالعب الاولمبية يمر بين الجماعات مظهراً فخذذه الذهبي وكم من حيلة تعزى اليه وكم معجزات ، حملت تيمون الفليمازي ( ١ ) على القول .

« فيثاغوروس صاحب البيان الساحر الجشع في حب المجد »

١ شاعر هجاء اشتهر بهجائه الفلاسفة التنفيديين وكان من أهل الشك على مذهب بيرموني معلمه لا يحب الحماط بيته وبين تيمون النفور الذي عاش قبله بقرن

« كان يأمر الناس بخطبه الخطيرة الفخمة »

وفي الناحية الروائية من حياة نوما حبه لاحدى الالهات او عذارى الجبال تلك  
الصلة التى سبق لنا الكلام عنها ، واحاديثه المرغومة مع الهة الشعر . وكان يعزو  
الى هذه اكثر ما اوحى به اليه ومن الرومانيين شرعة تكريم احداها ودعاها  
(تاسيتا) (الصامته او الخرساء) وكان قصد بها ذكرى وتقديس الصمت الذى  
منه فيثاغوروس كحمية .

اما اوامره عن تماثيل الالهة فكانت شديدة الشبه بتعاليم فيثاغوروس  
وكان الفيلسوف يعتقد ان الذات او الروح الاولى لا تدرك ، ولا تحس ولا ترى ،  
معصومة من الفساد كلها « أدراك »

حرم نوما على الرومانيين ان ينسبوا للالهة شكل انسان او حيوان ولم يكن بينهم فيما  
مضى صورة ولا تمثال الهى . وظلوا امة الماية وسبعين سنة الاولى لا يضعون فى هياكلهم ولا  
معابدهم صورة ماثلة . معتقدين انه من الكفر تمثيل « الاكمل » فى « الاحقر »  
وانه لا سبيل لمعرفة الله إلا بالفكر . وكذلك كانت تقدماته مطابقة للتقاليد  
الفثاغورية لا يستخدم فيها الذبايح بل الدقيق والفول وأشياء بسيطة أخرى

ويستشهد الذين يتمسكون بوجود صلة بين الرجلين بادلة محسوسة يقولون  
ان الرومانيون منحوا فيثاغوروس حقوق المدينة يذكرون تأييداً لدعواهم  
شهادة ايشارم وهو شاعر هزلى روى ذلك فى مؤلف اهداه الى انتنور وهو شاعر  
قديم كان تلميذاً لذلك الفيلسوف (١) ودليلهم الثانى ان نوما دعا احد ابناؤه الاربعة  
مامركوس اسم احداً ابنا فيثاغوروس ونسبت من هذا الابن اسرة الاميلين  
وهي من انبل واشرف عائلات الشيوخ . اما اسم اميليوس فهو  
اسم تحبب اعطاه الملك لابنه للدلالة على رقة طبعه ولطف حديثه

(١) خطأ تاريخى لان الشاعر ايشارم عاش سنة ٤٥٠ قبل الميلاد وكان معاصر لسقراط



(ميليبوس كلمة يونانية تؤدي ذلك المعنى) وقد سمعت بنفسى غير مرة في روما أن الوحي أمر الرومانيين أن يقيموا في المدينة نصباً لاوفر رجال اليونان حكمة وآخر لاوفرهم شهامة. فقاموا في الفوروم نصبين من (النحاس) أحدهما لفيثاغوروس والآخر لاكسبياد

على أن هذا الرأي كثير الشك ومن البله والسخف أن نطيل فيه الحديث اثباتاً أو نفيّاً

ويعزى إلى روما أيضاً إنشاء وتعميم كاية الكهنة المدعون الاحبار (السادة) وتولى رياستها وكمة بونتييف في عرف البعض مأخوذة من أن أولئك الكهنة كانوا يخدمون الالهة القادرة على كل شيء سيادة كل شيء لان كلمة صاحب القدرة أو السيادة في اللغة اللاتينية (بونس)

ويزعم البعض ان هذه الكلمة تعين شرطاً «لو كان في الامكان» وذلك لان الشرع لم يعين على الكهنة سوى التقديمات التي يستطيعون تقديمها ولا يجعلهم مسؤولين اذا عاقبهم عائق مشروع. ولكن أغلب الكتاب مجمعين على أصل أراه مضحكاً. يزعمون أن كلمة بونتييف في عرفهم معناها الجسور واطلقت على الكهنة نظراً للتقديمات التي كانوا يقدمونها فوق الجسور وهي أقدم واقدس من سواها

وفي الواقع ان كلمة جسر في اللغة اللاتينية «بونس» يضيفون الى ذلك ان صيانة واصلاح الجسور لم تكن أقل وجوباً على الكهنة من التقديمات الغير معينة ولا الحفلات القومية عدا ان الرومانيين يعتقدون بحكم الدين انه من الرجز تحطيم جسر (كوبرى) من الخشب (١) ويزعمون أن هذا الجسر النشء بلا حديد مناسك وايا خشبية طبقاً لما اراد الوحي ولم يبن الجسر الحجري الا في عهد اميليبوس. ويقال ايضاً أن الجسر الخشبي لم يكن موجوداً في عصر روما. وانه بني في عهد

حفيدة مارسيسوس، يقوم الكاهن الاكبر بوظيفة المنسج والعراف لا يقوم بالتقدمات العامة فقط بل يراقب ايضا من يقدمون التقدمات الخصوصية ويحرص على الا يتعدي احدهم الاوامر الدينية وهو الذي يتولى تعليم الجميع ما يجب عمله لتكريم الالهة او تسكين غضبهم .

ومن وظيفة الكاهن الاعظم مراقبة العذارى المقدسة ( فستال ) اذ يقال ان نوما هو الذي انشا نظامها يعهد اليهن العناية بالنار المشتعلة على الدوام والحرس على الطقوس والتقاليد ولعل نوما رأى أن مادة النار الطاهرة النقية لا يصح ان يعهد في رعايتها الا لاجسام طاهرة بلا دنس ولعله لاحظ الشبه الجامع بين الاله العقيم بطبيعته والبتولة والواقع انه في ييشنو واثينا ( اليونان ) حيث تشمل النار على الدوام لا تحرسها العذارى بل الارامل اللواتى تجاوزت سن زواج ثان واذا حدث ما اطفأ هذه النار كما انطفأ المشعل المقدس في اثينا ايام ظلم اريستيون وفي ييشو حين احرق الميديون الهيكل وفي روما ايام حرب بيرايڤاد والحروب الاهلية حيث التهمت النار الهيكل والمذبح . متى حدث هذا كن من المحرم اعادة اشعالها بنار عادية بل يجب احداث نار جديدة فيقتبس من الشمس لهب طاهر نقي . يعملون لذلك اناء مقعرا يقسم داخله الى زوايا متساوية حادة تتجه جميع اضلاعها الى مركز واحد تعرض هذه الاواني للشمس فتعكس جميع الاشعة من جميع نقط محيطها وتتحد في المركز المشترك يشف الهواء وينقسم فيحصل عن الانعكاس طبيعة وقوة النار وتشعل في الحال المواد الجافة الخفيفة التي تعرض لها يزعم بعض المؤلفين ان وظيفة العذارى المقدسة منحصرة في صيانة النار الدائمة فقط ويقول غيرهم ان هناك اشياء اخرى كان يباح لهن النظر اليها . وقد ذكرت في سيرة كاميل كل ما يعرف ويقال عن هذه الاسرار . ويقال ان نوما بدأ بتعيين اثنتين فقط وهما جيجانيا وفارانيا ثم زاد عليهما اثنتين كانولينا وتوبيا ثم زاد عليهن سرفيوس اثنتين والى هذا الحد بقيت حتى اليوم .

من نوما للعذارى العفة مدة ثلاثين سنة العشرة الاولى لتلقى العلوم والعشرة الثانية لمدرسة العمل والثالثة لتعليم الناشئات . ومضى انتهت هذه المدة كان لهن الخيار في ان يتزوجن او يتركن المعابد او اية عيشة تردن . ولكنهم يؤكدون ان قليلات منهن اللواتى اسفدن من هذه الحرية ومن فعلت منهن لم تجد مايسر بل قضت بقية حياتها بين التندم والحزن فكانت مثالا يدخل الخوف الدينى الى نفوس زميلاتهما فتؤثرن البتولة الدائمة على الزواج

وقد منحهن نوما امتيازات عظيمة مثال ذلك يرثن في حياة والدهن ويمتعن بحقوقه الزوجة التى لها ثلاثة اولاد فتدبر امرها كما تريد بلارقيب ومضى خرجت احدهن سارت المشاعل امامها واذا قابلهن مجرما يساق الى القتل خلى سبيله بشرط ان تقسم العذاراء انها قابله على غير اختيار صدقة لاتدبير فيها . واذا مر احد تحت الجمالة التى تقبلن كان ذلك ذنبا موجبا للموت . اما اذا اقترفت عذراء ذنبا عاقبها الكاهن الاعظم بالجلد يوقع عليهن الفصاص فى مكان مظلم سحيق وهن عاريات لا يسترهن سوى ثوب رقيق اما التى تخون نزر بتولتها فتدفن حية بالقرب من باب القل . يوجد فى ذلك المكان داخل المدينة رجلة كبيرة يدعوونه المدخل أنشأوا فيه حفرة ينزلون اليها من فتحة على ظهر الارض وادعوا الحفرة سربرا وسراجا مضئيا وقليلا من المونة الضرورية للحياة . قليل من النبيذ والخبز والماء وجرة لبن وقليل من الزيت كنهم يخفون قصدهم من امانة انسانة مقدسة جوعا . توضع المحكوم عليها على حمالة تغلق غلقا محكما يشد عليها بالحبال بحيث لا يسمع صوتها ثم يجتازون لها الساحة العمومية وحينئذ يصطف الناس فى حزن وصمت عميق . مشهد لا يوجد فى روما افطع منه ويوم لا يوم مثله ، ترى فيه المدينة غارقة فى النكد ووتى وصلت الجمالة الى مكان التنفيذ يحمل رجال المشاغل عنها الوثائق ويؤدى رئيس الكهنة صلاة سرية رافعا يده الى السماء ثم يجذب المقضى عليها من الجمالة وعليها غشاء

وتضع على السلم الذي ينزل منه الى الحفرة ثم يعود مع باقى الكهنة . ومتى نزلت الى قاع الحفرة رفعوا السلم ثم يغطون الحفرة بان يكسوا عليها التراب حتى يساوى الارض هذا جزاء العذارى اللواتى تخون عهد دنزر بتوليتهن

ويقال ان نوما هو الذى انشأ هيكل فيستا المستدير لتحفظ فيه النار المقدسة ولم يكن الشكل المختار شكلاً يمثل الارض المعتبرة انها فستا بل الكون الذى تشعل النار فى وسطه حسب عقيدة الفيثاغوريين ويدعونها ( فستا والمونادا ) لانهم لا يعتقدون ان الارض ثابتة ولا انها فى مركز الدائرة بل يعتقدون انها تدور حول النار ولا يحسبونها من افضل ولا اول الاجزاء التى يتألف منها العالم ويقال ان افلاطون قبل شيخوخته اخذ بهذا المبدأ وهو ان الارض ليست فى مركز الكون بل تدور ذلك المقام الشريف الى عنصر اثير . وقد سنت الاحبار طقوس الجنازات وقد علمهم نوما ان ليس فيها ما يدنس بل يجب تكريم الهة الجحيم الذين يتلقون خير عناصر ذواتنا وبينهم الآلهة ليبنتين الموكلة برعاية حقوق الموتى كأنهم يخلطونها مع الآلهة بروزيريس او فينوس كما يفعل اشهر علماء الرومانيين ينسبون الى الهة واحدة ميلاد وموت الناس اما مدة الحداد فجعلها مناسبة لسن المبكى عليه ؛ لاحداد على من مات دون الثالثة من عمره ومن ثلاثة الى عشرة يحد عليه بنسبة شهر عن كل سنة عاشها لايزاد عليها ولا يتجاوز اطول حداد عشرة شهور وهذه مدة ترمل الزوجات اللواتى فقدن ازواجهن . أما التى تزوج قبل مضي هذه المدة فيجب عليها ان تضعى بعزرة سمينة حسب شريعة نوما

وقد أنشأ نوما ايضا عدة طوائف من الكهنة نذكر منها اثنتين لدلالتهما على تقوى الملك وهما طائفة السالين وطائفة الفاسينيو . يؤدى هؤلاء مهمة المحافظة على الاسلام وقد اخذوا اسمهم من مهمتهم اذ يقومون بتسوية كل خلاف بالطرق الودية ولا يسمحون بحمل السلاح الا متى يسوا من الصلح ومن عادة اليونانيين الا يدعوا صلحا الا ماتم الاتفاق عليه بالطرق العقلية . أما الصلح بالاكرام فلا

يذهب كهنة السلام الرومانيون بانفسهم مرارا الى الشعوب التي تسيء الى الجمهورية  
ويبذلون الجهد للتفاهم معهم واذا لم يفوزوا باصلاح الخطأ او الترضية استشهدوا الآلهة  
ونادوا بانويل والشبور طالبين من الآلهة نصب على رؤسهم اذا لم تكن مطالب  
بلادهم عادلة ثم يعانون الحرب . اذا اعترض السلمييون على الحرب أو ابوا الموافقة  
عليها حرم على الجنود الرومانيين والملك حمل السلاح . كان يجب أن يسمحوا  
للأمير بالقتال باعلانهم ان الحرب عادلة فياخذ الأمير في تدبير وسائل تنفيذها..

يقال ان غارة الغاليين على روما حدثت بسبب مخالفة هذه العادة المقدسة  
وذلك أن البربر حاصروا كلوزيوم فارسل الرومانيون فايوس اينوستوس اليهم  
مندوبيا لمفاوضتهم في رفع الحصار لم يرضه جوابهم فاعتقد أن مهمته قد انتهت  
وأقدم بمحبة وعناد الشباب على حمل السلاح في جانب الكلوزيين فاثار حمية  
أبسل شعوب البربر الى حرب شعواء طاحنة اذ قهر خصمه وقتله وجرده من  
السلاح . وهناك عرفه الغاليون فارسلوا مناديا الى روما يشكون فايوس لحمله  
السلاح ضدهم بالرغم من التين ومن كل شريعة وبدون اعلان الحرب . فقرر  
جلاس الشيوخ بعد أخذ رأى طائفة السلميين تسليم فايوس للغاليين ولكنه  
نجأ الى الشعب فايده ونجا من عقاب الموت فلم يحجم الغاليون عن المسير الى روما  
فيخربوا جميع ما فيها ما عدا الكايتول وقد شرحت تفاصيل هذه الحادثة  
في سيرة كامي .

أما طائفة السالين « الراقصين » فقد أنشأها نوما للناسبة الآتية.  
حدث في السنة الثامنة لحكمه أن وباءاً انتشر في ايطاليا واجتاح  
روما فامتلاّت قلوب الشعب حزناً ثم قيل أنه في يرم ما سقطت ورقة نحاسية  
من السماء بين يدي نوما فاخذ الملك يروي عنها أحاديث غريبة زعم أنها  
عليها عن الالهة أيجبري وآلهة الشعر قائلات على زعمه أن هذه الورقة أرسلت  
لنجاة المدينة وأنه يجب الاحتفاظ بها وضع احدى عشر أخرى تشبهها في

صورتها وحجمها وشكلها بحيث لا يميز أحد بين المصنوع والاصل منها ويجب أن يكرس محل سقوطها والمروج المحاطة به لالهة الشعر لأنها تتردد على هذه المروج ثم يجب جعل ينبوع الذي يرويها لاغتسال « العذارى » يأخذن منها الماء كل يوم لسقاية وتطهير الهيكل وقد جاء انقضاء الوباء مصداقاً لقوله أخذ نوما الورقة « الترس » وعرض على الصناع عمل مثلها فعجزوا جميعاً إلا فتور يوس مامور يوس أمهر الصناع فقد أجاد صناعة الاحدى عشرة الأخرى اجادة تامة بحيث أن نوما ذاته لم يعد يفرق بين الاولى وبينها . فرأى الملك أن ينشيء طائفة الراقصين للعناية بهذه التروس واختار لها هذا الاسم ؛ لانسبة الى ساليوس الساموتراس أوماتينه مخترع الرقص المسلح بل نسبة الى ما يقوم به هذه الطائفة من ضروب الرقص ؛ من تلك القفرات التي يحدثون عند طوافهم في شهر مارس اذ يسبرون في موكب بهذه التروس المقدسة في شوارع روما لابسين أردية من الأرجوان وعليهم زرد من النحاس وخوذات من النحاس يقرعونها بسيوفهم القصيرة . ينحصر رقصهم في حركات أقدامهم في خطى متوازنة مختلفة ودورات ولفات سريعة متقنة يأتونها في خفة ونشاط .

وبعد أن فرغ نوما من نظام الكهنوت أنشأ هيكلاً لفستا في قصر يدعى بيت الملك كان يسكنه عادة يقدم فيه التقدّمات ويعلم الكهنة ويحادثهم في شؤون العبادة وكان له مسكن آخر في جبل كيرينال باق حتى اليوم . وكانت العادة في المواكب العمومية أو تضرعات الكهنة أن تتقدمهم المنادون في شوارع المدينة ينادون بالتزام الصمت والانتقطاع عن العمل .

يشكر الفيشاغوريون على الناس أن يعبدوا الله أو يصلوا اليه وهم يجرون يجب في عرفهم أن تخرج الناس من بيوتهم على هذه النية مستعدين لها . لذلك رأى نوما أنه يجب على الوطنيين فيما يختص بعبادة الآلهة ان لا يعملوا شيئاً باهمال أو عن طريق العادة بل يجب عليهم ترك جميع شواغلهم وأن

يتصرفوا بعتوالبهم الى ذلك العمل وهو اشرف أعمال التقوى . عليه  
يجب الامتناع عن الضوضاء والصياح والانبين الذى يلزم الصنّاع  
لاتزال بقية من هذه العادة قائمة حتى اليوم . متى قصد الفال او استشارة الوحي  
او القيام بتقدمة يصيحون بأعلى الصوت « اعملوا هذا » ويراد بذلك دعوة  
الحضور الى استجماع قواهم النفسية والانتباه

ولا تقل شرائع نوما الاخرى شيئا عن تعاليم الفيشاغوريين يحرم هؤلاء  
الجلوس على الاشجار وتحريك النار بمخنجر والنظر الى الورا عند السفر ويأمر  
بان يكون عدد التقدّمات للالهة السماوية فرديا كذلك كانت تعاليم نوما تنطوى  
على معان خفية مثل تحريم الغسل للالهة من خمر كرم لم يقلم او تقدمه بلا  
دقيق ، وأمر بالقيام بدورة مستديرة اثناء العبادة والجلوس بعد الفراغ منها والظاهر  
ان الغرض من الامرين الاولين الحث على زراعة الأرض لجزء من الدين .  
وكان الغرض من الدورة حول الالهة على ما يقال تقليد حركة دوران من كل عمل  
وبعدنا عن كل شاغل

تمكنت هذه التريفة الدينية من روما حتى جعلتها من الطاعة والاعتقاد بقدرة  
نوما اعتقادا غريبا بحيث لا يصعب عليه امر مهما يكن متى اراده ، ويقال فى  
ذلك انه دعا جماعة كبيرة لتناول العشاء وقدم لهم وعاء واحدا عليه طعام تقشف  
مبتذل جدا . وبينما كان القوم يهيمون للجلوس حول المائدة قال لهم « هذه آلهتى  
اتية لزيارتى » وفى الحال رأوا المنزل ملىء باللاوعية الفاخرة ومدت على الموائد  
اشهى والذ الاطعمة فى اعظم ابهة .

اما ما يروى عن محادثته مع جو بتر ففوق كل خرافه  
لم يكن جبل افانتين داخلا فى زمام روما ولم يكن مأهولا ويقال ان ينابيعه  
الغزيرة واشجاره الكثيفة كانت الكون ، وبما أن الهيكل كان متجها الى الشرق  
وظهر المصلى للشمس فكان الغرض على ما أظن ان يواجه المصلى الشمس ليكون

في حضرة الآلهة . وبهاتين الحركتين يتم دورة كاملة يفرغ اثنائها من صلاته . وهل لا يكون في هذه الدورات اشارة الى العجالات المصرية ؟ الاتفيد عدم ثبات شيء بشئ وانه يجب علينا الخضوع لارادة الله حينما يدور ويؤثر في حياتنا ؟ اما الجلوس بعد الصلاة فهو من باب الغال الحسن ، بان الصلاة قبلت ، وان الخيرات المرجوة ستكون دأمة ويقال في ذلك ايضا ! ان الراحة تفصل بين اعمالنا فاذا انتهى العمل الاول استراح العاملون امام الالهة ليبدؤوا بعده عملا آخر . وكان غرض المشرع من ذلك على ما قدمنا الانصلي الى الله ونحن في شغل آخر كأننا نلهوا ونجري ، بل تكون الصلاة متى خلونا من مزار الآلهتين هما بيكوس وفونوس . اللتين يمكن مقارنتهما « بساتير » « ربان » عدا ان تلك كانت تطوف ايطاليا تحدث فيها بفضل بعض الادوية والتعاويذ السحرية ما ينسبه اليونانيون الى داكسيل . ويقال ان نوما اسر تلك الالهتين بما اودعه من خمر وعسل في الينبوع الذي كانتا تستقي منه عادة واخذت الالهتان تغير من زيتهما وتتراى في اشكال رهيبة ولكنهما رأتا ان قيودها لا ترضى فظهرتا لنوما وكشفتنه بامور مقبلة وعلتهما التفادى من الصواعق بواسطة البصل والشعور وشخص وبقول البعض ان ليست الالهتان هما اللتان علمتهما هذا التفادى بل انزلتا بسحرهما جوبيتر . غيظ الاله وقال لنوما لا بد لعمل الفداء من رؤوس . . . فقاطعه نوما بقوله « بصل » فاستمر جوبيتر قائلا ، اناس قاراد نوما اجتناب هذا الامر القاسى فقال بشعورهم ، فاجاب جوبيتر حية فانسرع نوما بقول شخص والتي اوصت اليه بهذه الحيل هي العذراء ايجيرى عاد الاله جوبيتر راضيا واطلق على هذا المكان اسم ايلاسيوم وصارت اجوية نوما القاعدة في اتقاء الصواعق

تدلنا هذه الخرافات المضحكة على مبلغ ما وصل اليه رجال ذلك العصر من التأثير بالسلطة الدينية والى أى حد من الخضوع بلغ بهم نوما . اما هو فكانت



كل آماله مرتكزة على الحماية الالهية حتى انه قيل له يوما ان الاعداء دنوا منا  
فقال باسا اما انا فاني اقدم للالهة

كان نوما اول من بنى هيكلًا « للايمان » وللالة « حد » « ترم » وهو الذي  
علم الرومانيين أن أعظم قسم هو يمين الايمان وهو القسم الذي يقسمون به  
حتى اليوم

اما الحد الترم فهو الاله الذي تقدم اليه التقدّمات العامة على حدود الحقول .  
يقدمون اليه اليوم ضحايا حية . على انها كانت تجرى قديماً بدون اراقة دماء : لان  
نوما أدرك على نور العقل أن اله الحدود حارس السلام وشاهد العدل يجب أن  
يكون طاهراً من كل دماء ، وأظنه هو الذي وضع حدود اراضي روما . ولم يفعل  
رومولوس ذلك لأنه لو كان عين ما يملكه لاظهر ما اغتصبه من الآخرين .  
والحقيقة أن الحدود اذا حفظت كانت عائقاً في سبيل القوة ، واذا اهملت كانت  
شهادة على الظلم . وكانت حدود روما في اول عهدا ضيقة جداً ولكنها اتسعت  
بسلاح رومولوس . قسم نوما الاراضي الجديدة على فقراء الوطنيين ليقضي على  
البؤس وهو سبب الفساد ولكن يحول الشعب الى الزراعة . والرومانيون بتفليحهم  
الارض دشت اخلاقهم . لان لاشيء يحمل على الرغبة في السلام اكثر من  
الحياة الزراعية . تحفظ على الرجال شجاعتهم الحربية في الدفاع عن املاكهم  
بقوة السلاح ولكنها تنزع منهم شهوة الجشع اتى تفريهم باغتصاب املاك  
الآخرين . قام نوما رغبة في حمل الاهالي على حب الزراعة كخير وسيلة للحلوم  
على حب السلام والتهذيب من اخلاقهم بأكثر مما تغنيهم ؛ بتقسيم الاراضي  
اقساما دعى كل منها صنعة وجعل على كل منها مراقبين ومحكمين .  
وكان يزورها بنفسه يشهد أثر العمل في اخلاق الاهالي ، يكرم الممتازين بنشاطهم  
ويؤنب السكالي ويصلح اهمالم  
وخير نظم نوما هو تقسيمه الشعب حسب الصناعات لان المدينة كانت مؤلفة من

أمتين أو حزبين مختلفين لا يرغبان في ائتلاف ولا إزالة الفوارق التي تجعلها  
كشعبين كل غريب عن الآخر لا ينقضى بينها نزاع ولا خصام . وكما أنه إذا  
لريد خلط اجسام صلبة غير قابلة بطبيعتها للامتزاج لا بد من تحطيمها وجعلها  
قطعا صغيرة فيسهل مزجها . كذلك فعل نوما إزالة للأسباب الشجار وكسراً  
قشرة الخلاف قسم الشعب الى فرق صغيرة تحولت هماتها الى مصالح اخرى ،  
فرقة الموسيقيين وفرقة الصياغ وفرقة النجارين وفرقة الصباغين والدباغين والحدادين  
وصناع الفخار الخ

وجعل لكل فرقة جميعاتها وأيام اجتماعاتها وحفلاتها الدينية كل حسب اهليته .  
فاخذت الفوارق تتلاشى بين السابين والرومانيين مو اطنى تاتيوس ورومولوس  
بعد شدتها وبدأ التآلف وتم امتزاج الوطنيين في قلب واحد  
ويعتدحون لنوما أيضاً شرعته التي لطف بها القانون الذي كان يخول للاباء  
مع أبائهم فاستثنى الابناء الذين يتزوجون برضى والديهم لانه رأى من القسوة  
ان امرأة تزوج رجلاً حراً ترى نفسها زوجة عبد

ثم اشتغل بتنظيم النتيجة التاريخية واثن جاء إصلاحه غير واف الا انه  
لا يدل على جهل : لم يكن متبعاً في عهد رومولوس قاعدة نظامية فمن الاشهر  
ما كان عشرون يوماً وما كان خمسة وثلاثون يوماً واكثر ولم يكن يخطر ببالهم  
شيء عن الفرق بين دورتي القمر والشمس بل كانت غاية همهم أن السنة ثلثماية  
وستون يوماً ولكن نوما ادرك ان الفرق بين الدورتين احد عشر يوماً لان  
القمر يتم دورته في ثلثماية أربعة وخمسون يوماً والشمس في ثلثماية خمسة وستين  
يوماً ضاعف الفرق وجعله شهراً قائماً بنفسه مرة اثنين وعشرون يوماً يدخله الى  
النتيجة كل سنتين بعد شهر فبراير . ودعا الرومانيون هذا الشهر مارسيدونوس على  
ان هذا العلاج كان سبباً لاجداث آخر أوفى واكمل

ونوما هو ايضا اول من غير ترتيب شهور السنة جعل مارس الذي كان اول

شهور السنة الشهر الثالث واستبدله بيناير وهو الحادى عشر فى عرف الرومانيين  
 وكان شهر فبراير آخر السنة فصار الثانى ومهما يكن فمن المتفق عليه أن نوما هو  
 الذى اضاف شهرى يناير وفبراير الى السنة الرومانية التى لم تكن سوى عشرة  
 شهور فلا تزال سنوات بعض البربر ثلاث شهور. وكانت السنة عند اليونانيين  
 والاركادين أربعة شهور. ويقال إن المصريين كانوا الاول عهدهم يعدون السنة  
 شهراً واحداً ثم أربعة، ومن أجل هذا يترأى لنا لأولة وهلة ان هذا الشعب  
 الذى يسكن مدينة جديدة بعيد المدى فى التاريخ، نرى فى تاريخهم عددا كبيرا  
 من السنين لأنهم كانوا يحسبون الشهر سنه والذى يدلنا على ان سنة الرومانيين  
 كانت عشرة شهور فقط ان اسم الشهر الاخير دسمبر الذى لا يزال جازيا حتى  
 اليوم (العاشر) اما ان شهر مارس كان اول شهور السنة فظاهر من الترتيب الحالى  
 لان الشهر الخامس ابتدأ من مارس يدعى كانتيليس (الخامس) يتلوه السادس  
 والسابع الخ. فاذا قلنا أن شهرى يناير وفبراير كانا قبل مارس كانت تلك التسمية  
 خطأ. اذ يدعون خامساً ماهو فى الحقيقة سابعاً. ومع كل فان شبه رأى بالحقيقة  
 هو أن مارس الذى كرسه رومولوس لعبادة ذلك الاله يكون فى المقام الاول. ثم شهر  
 ابريل المشتق منه اسم افروديت وهو الشهر الذى تقدم فيه الرومانيات التقديمات  
 الى هذه الآلهة وتغتسلان فيه وعلى رؤوسهن اكليل من الارجوان وقد اختلفت  
 الاقوال فى ذلك الا انه الشهر الذى يفتح فيه الربيع اكمام الزهور كما ينم على  
 ذلك اسمه اللاتينى ابريليس يتلو هذين شهرى مايو ويونيه الاول نسبته الى  
 الآلهة مايا وهو مكرس للاله ماركير والثانى من جونون. ويزعم البعض ان هذين  
 الاسمين متفقان من كاتى الصبا والشيخوخة حسبما تدل عليه معانيهما فى اللغة  
 الرومانية. اما بقية الاشهر فقد بقيت على ما هى عليه الخامس، السادس، السابع،  
 الثامن، التاسع، العاشر. ومن ثم حدث ان الخامس دعى يوليوس تكريماً  
 لقيصر الذى قهر بوبيه والتالى اغسطس لقب الامبراطور الثانى وقد استبدل

دوشيان اسمى سبتمبر واكتوبر بالتبين من القابه ولكن ذلك لم يدم طويلا بعد قتله . فاعيدت الى الشهرين اسمها الاولى . وبقى الشهران الاخيران على حالهما . اما الشهران اللذان اضافهما نوما او بدل مواضعهما فبرابر ومعناه التطهير حسب مدلول الكلمة اللاتينية وفيه تقدم الضحايا للموتى ويقام عند نوبيركال وهو يشبه كثيرا عيد التطهير (١)

اما يناير اول شهور السنة فقد نحت اسمه من جانوس وظنى ان نوما ابى افتتاح السنة بشهر مارس وهو اله الحرب لانه كان يؤثر الصفات المدنية على الحربية وجانوس هذا سواء كان الها او ملكا كان معروفا منذ القدم بانه صديق المدنية والسلام وانه عدل بالناس عن الحياة الهمجية ولذلك يعودونه بوجوهين وذلك لتمكينه باساليبه وسلوكه ان يوفق بين وجهي الحياة

يوجد في روما هيكل باسم جانوس له بابان يعرفان ببابى الحرب لان العادة تقتضى بفتحهما لبان الحرب واغلاقهما لبان السلم . ولم يكن اندر من أن تراهما مغلقين . لان الامبراطورية لم تكن تنقطع عن الحرب للدفاع عن نفسها من غارات البر بالذين كانوا يحيطون بها .

اشاق هذا الهيكل بعد انتصار قيصر اغسطس على انطوان واغلاق قبل ذلك في عهد قنصاية ماركوس اتيلوس وتيموس مانيليوس ثم اعيد فتحة لتجدد الحرب اما في عهد نوما فلم يفتح يوما ما وبقي محكم الغلق مدة ثلاثة واربعين سنة اذ خمدت جذوة الحروب لافى روما فقط بل وفي كل مكان . ولم يكن الشعب الروماني وحده الذى عملت به رقة وعدالة وشفقة الملك بل تأثرت بهذه الفضائل جميع المدن المجاورة كأن ربحا طيبة حملت لسمات السلام من روما الى جميع الشعوب فأخذ كل فى اصلاح شأنه وتهذيب خلقه وطابت نفس الجميع للاستمتاع

بالرفهية في ظل الشرائع الحكيمه والسلام يعمل لزراعة ارضه وتربية بيته وتكريم الآلهة . فلم يكن الانسان يرى في جميع انحاء ايطاليا سوى الاعياد والمراقص والولائم والتزاوير بلا خوف وبالصياقة ، كأن حكمة نوما ينبوع غزير يفيض العدل والفضيلة على جميع العالم وكان الهدوء نشر من نفسه الوادعة فعم جميع القلوب لذلك يقال ان الشعراء رغم مبالغاتهم لم يفوا وصف سعادة ذلك الزمن « لقد نسجت العنكبوت السمراء خيوطها على الحلق والزرد واكل الصداد الزماح باسنتها الخادة والسيوف ذات الحدين ، ولم يسمع صوت النفير يزعج النوم الهادي من بين الجفون (١)

ولم تحدث في عهد نوما حرب ولا فتنة ولا رغبة في تغيير نظام الحكم . لم يجلب على نفسه بغض او حسداى انسان فلم يجسر أحد على المؤامرة ضده أو أحداث اى شعب وقد يكون ذلك خوفا من الآلهة التي منحت نوما رضاها بأكثر من دليل . أو احتراماً لفضائله أو هو الحظ الموفق الذى عصم الناس مدة حكمه من اللدنس والفساد فكان حكمه مثلاً مطعماً وبرهاناً قاطعاً على صدق تلك الحقيقة السياسية التي اجترأ افلاطون بعده بقرون على اعلانها وهي انه ليس خير للناس ولا انجع لشفاء امراضهم وآلامهم من أن تجمع الآلهة فى يد رجل بين السلطة والفلسفة فتعيد الى الفضائل قوتها وتنصرها على الرذيلة وما أسعد حظ الرجل الفاضل لو ما أسعد حظ من يسمع ويهوى الكلمات التي تخرج من فم الحكيم ! بها لا يكون الشعب في حالة اكراه أو تهديد . ان الشعب الذى يرى في رئيسه اجمل ما يقتدى به في الفضيلة يحول وجهه راضياً نحو الحكمة تجمعها المحبة والوفاء فيمارس العدل والقناعة ليعيش تلك العيشة النقية السعيدة التي هي اكمل غاية ترمى اليها جهودنا فأولى الناس بالحكم هو الذى يعرف كيف يغرس في نفوس شعبه هذه العواطف

١ قطعة من قصائد باخيلين الموجودة في مجموعة سنوية وهي غير كاملة هذا لان المؤرخ ديوس استملاها ذاكرته بدل ان ينقلها غيره مدح الامانة في النقل

ويحملهم على سلوك هذه الجادة . هذا ما نلح فيه نوما أكثر من أى ملك .  
وقد اختلفت اقوال المؤرخين في عدد زوجات وابناء نوما فمن قائل انه لم  
يتزوج غير «ثايا» التي رزق منها ابنته الوحيدة بوبليا ومن قائل انه تزوج من سواها  
ورزق اربعة ابناء كانوا رؤساء لا كبر العائلات الكريمة في روما وهم : بونبونوس ،  
بينوس ، كلبوس ، مامير كوس ولكنهم يتهمون القابليين انهم ارادوا الزلفى  
لدى لهذه العائلات بنسبتها الى نوما . كما يقولون ان بوبليا ليست ابنته من  
ثايا بل من امرأة اخرى تدعى لوكريس تزوجها عند اعتلائه العرش . ومن قائل غير  
ذلك ولكنهم مجمعون على ان بوبليا تزوجت من مارسيوس وهو ابن مارسوس  
الذى اقنع نوما بقبول الملك وجاء معه ونال درجة السناطور ( عضو فى مجلس  
الشيوخ ) وهو الذى نازع بعد موت نوما ، تالوس هو ستاليوس ، الملك فقهر و انتحر  
اما ابنه فاقام فى روما ورزق ابنا دعاه انكوس مارسيوس الذى تولى الملك بعد  
تالوس هو ستاليوس ولم يكن عمره عند وفاة نوما أكثر من خمس سنوات . لم تحدث  
وفاة نوما فجأة بل اصيب بداء الهزال واطفأت الشيوخة مصباح حياته شيئاً  
فشيئاً وكان قد نيف على الثمانين

وقد زادت التكريمات التى حفت بها جنازته جلال حياته اذ اجتمعت الشعوب  
الموالية فى روما يحملون الهدايا والاكاليل وحمل الشيوخ النعش على اكتافهم  
وسارت الكهنة فى جنازته ومعهم النساء والاطفال فصارت كأنها ليست جنازة  
ملك مات كبير السن بل جنازة صديق عزيز اقتطفته يد المنون فى ربيع حياته .  
يذرف الجميع الدمع ويرسلون نفثات الالم والالين . لم تحرق جثته لانه خرم ذلك  
على ما يقال بل صنعوا له نعشين من الحجارة دفنا تحت الجانوكول وضعوا فى  
أحدهما الجثة وفى الآخر الكتب المقدسة التى خطها بيده كما كان يفعل المشرعون  
اليونانيون إذ يكتبون شرائعهم وكان فى حياته قد علم الكهنة ما انطوت هذه  
الكتب وشرحها لهم وامرهم أن يدفنوها معه لأنه لم ير من اللائق ان تصون

هذه الاحرف الميثة تلك الأسرار . يقال من أجل هذا السبب يأبى الفيشاغوريون كتابة مبادئهم بل يكتبون بتلقينها لمن يجدون فيه جدارة واستحقاقا . وقد حدث أنهم القوا مرة الى رجل غير خليق بالعلم نظريات وشرحات هندسية لم تكن معروفة فغضبت الالهة وهددتهم بعقاب صارم تنزله على الشعب لما اجتروا عليه من تدنيس وكفر

فلا يجب علينا بعد هذا التشابه ان نشدد النكير على القائلين ان نوما وفيثاغوروس كانا معاصرين . يزعم انقياس أنهم أو دعوا النعش الثاني اثني عشر كتاباً لاتينيا في الدين واثني عشر كتاباً يونانياً في الفلسفة ويقال أيضاً انه حدث بعد اربعماية سنة ان هطلت الامطار مدراراً ، وكان ذلك في عهد قنصلية بوبليوس كورنوليوس وماريوس فكشف المطر عن النعشين فوجد الاول فارغاً لا اثر فيه للجنة أما الكتب فبقيت محفوظة في الثاني وقد تناولها باتليوس وكان اذ ذاك يطالعها ثم اقسم امام الشيوخ انه ليس من الدين ولا من العدل نشرها بين الشعب فأحرقت

من مميزات رجال العدل والفضيلة ان يزداد مجدهم بعد موتهم اذ لا يدوم الحسد بعدهم طويلاً وقد يموت قبلهم ولكن النكبات التي توالى على خلفاء نوما زادت مجدهم بهاء وجلالا . اذ بقيه خمسة ملوك انزل خلفهم عن عرشه وقضى شيخوخته في النفي . ومات من الأربعة الأخر ثلاثة غداً أما تولوس هو ستيليوس الذي تولى الحكم بعد نوما مباشرة فكان دأبه السخرية من سلفه ومن تقواه الدينية متهمة بتعويده الرجال النذالة وتخنيثهم فحول انظار الرومانيين الى الحرب ولكن هذا الخئون لم يطل وانقلب الى نقيضه لما أصابه من مرض عضال فهو حتى الاخذ بخرافات وترهات لا تتفق في شيء مع تقوى نوما فنكره الشعب ولما انقضت الصاعقة على الملك فمات محروفاً ازدادت في نفوس الناس المخاوف

## الموازنة

### بين ليكورج ونوما

أما وقد فرغنا من سرد سيرتي ليكورجوس ونوما فلنقارن بين الرجلين بلا تردد ولنظهر ما بينهما من خلاف .  
في أعمالهما ما يكفي للدلالة على الفضائل المشتركة بينهما الحكمة مثلاً والرحمة وعلم صناعة الحكم والكفاية ، في تقدم الشعوب وما افترقه كل منهما في اسناد عمله إلى الالهة ذاتها ، أما إذا نظرنا اليهما من حيث أعمالهم الشخصية العظيمة ظهر الفرق بينهما . نوما يقبل الحكم وليكورجوس يتنازل عنه راضياً أحدهما يناله بلا طلب والآخر يردده وهو بين يديه . أحدهما اختاره شعب غريب ليكون ملكاً عليه والآخر ملك يرد نفسه إلى مقام العامة . جميل جداً ولا شك أن يحصل الانسان على الملكية جزاء فضله واجل من هذا أن يؤثر الانسان الفضل على الملك . اذاغ الفضل صيت نوما حتى جعله أهلاً للملك ولسكنه جعل ليكورجوس عظيماً يحتقر الملك

واليك فارق آخر بين الرجلين لقد غنى كل منهما ، لو جاز لنا هذا التعبير ، صوتاً يخالف الآخر ، أحدهما في سبارطة شد اوتار الحكومة التي ارخاها الترف والمخلاعة ، فالآخر فقد أرخى ماتوتر وتصلب في روما . وكانت الصعاب القائمة في وجه ليكورجوس من أشد ما يلقى الانسان لم يرد مواظبه على التجرد من دروعهم وسيوفهم بل أرادهم على التجرد من ذهبهم وفضتهم . واجتناب اسرتهم الوثيرة وما أدبهم الفاخرة . لم يجعل لهم من الاعياد والتقدمات عوضاً عن الحرب بل حملهم على ترك الملاذ واتعبهم بحمل السلاح والرياضة البدنية . أفلاح



أحدهما في تحقيق غايته بفضل الاحترام والعقل، أما الآخر فقد اقتحم المخاطر وجرح غير مرة ولم يفلح إلا بعد جهاد طويل . أما الصوت الذي غناه نوما فكان منطوياً على الرقة والدعة وقلح في تهذيب اخلاق الرومانيين ولطف من مزاجهم الثأرو حبيب اليهم العدل والسلام . و إذا لم تكن لنا مذبوحة عن نسبة قاتون الرقيق « الهيلوزين » الى ليكوجوس وهو عمل غاية في القسوة والظلم . فلا بد لنا من الاعتراف بأن نوما كان في تشريعه أنسى وأرقى ، فقد سن للعبيد والذين ولدوا في العبودية أن يذوقوا معاني الحرية . شرع لهم الجلوس أيام ( ساتورنال ) الحصار الى موائل ساداتهم يقاسمونهم ملاذها . واليه يرجع ذلك القول المأثور . يجب أن يكون الزارع نصيبه من محصول ذراعتة ويرى البعض في هذه الشرعة رمزاً يراد به الإشارة لتلك المساوات التي كانت قائمة في أيام ساتورن حيث لم يكن سيد ولا مسود وكان جميع الناس ينظرون إلى بعض نظر المساواة والاخاء .

وجملة القول ان المشرعين قصدا الى حمل شعبيهما على القناعة والكفاف . اثر ليكوجوس فضيلة الشجاعة ونوما فضيلة العدل . ولعل اختلاف الشعبين اوجب اختلاف الطرق . لم يحمل نوما الرومانيين على اجتناب الحرب جبناً بل أراد منعهم الاضرار بالغير ولم يقصد ليكوجوس ان يخلق من السبارطين رجال اعداء وبغى اذ جعلهم رجال حرب بل قصد إلى حمايتهم من غارات المغيرين . اضطر كل منهما لاحداث تغييرات عظيمة احدها للقضاء على المزيدي والآخر لسد النقص . اما سبيلهما في تقسيم الشعب وتوزيع الاراضي والصناعات فتقدم ذهب نوما مذهباً ديوقراطياً حقيقياً يرضى الشعب فجعل من الصياغ والموسيقيين وصناع الاحذية شعباً خليطاً جامعاً بين الوانه ، وذهب ليكوجوس مذهباً ارستوقراطياً جعل الصناعات الآلية بين ايدي العبيد والاجانب وخص الوطنيين بالدرع والرمح . فكانوا رجال حرب وانصار ( مارس ) ( اله الحرب )

لا يعرفون ولا يتعلمون سوى الطاعة لرؤسائهم والانتصار على الاعداء . حرم  
ليكورجوس على الاحرار الاشتغال بكل عمل تكون غايته الربح حتى اذا ما تحرروا  
عاشوا احرارا ابدا وخص العبيد والهملوزين بالعمل لكسب الربح واعداد  
الولائم . اما نوما فلم يعمد الى شيء من هذه التفرقة ، اكتفاء بملاشاة حشع  
الجندى لم يحرم على اى الاشتغال بما يشاء قصد الاثراء ولم يعبأ بتذليل مشككة  
التفاوت بين الناس وعدم مساواتهم . ترك الوطنى حرا يجمع من المال ما استطاع  
غير مبال بما يحدث عن ذلك من الفقر والحاجة . اللذين كانا منتشرين فى المدينة  
كان عليه ان يقاوم من اول الامر البخل حين كان التفاوت غير ملحوظ ،  
وكانت الثروات تتراوح بين الناس وفى الامكان تسويتها لو فعل ذلك لالتى  
ما اتقاه ليكورجوس من مضار هذه الشهوة التى اشتد خطرها فى روما وكانت  
جرثومة الشقاء الذى حدث فيما بعد

اما تقسيم الارض فلا لوم على ليكورجوس لاجرائه ولا لوم على نوما لعدم  
اجرائه . جعل احدهما هذا التقسيم قاعدة واساسا لجمهوريته . ووجد الآخر  
الارض حديثة العهد بالتقسيم فلا داع لاعادته وتعديل السابق منه اذا كان  
لا يزال جاريا فى البلاد . ذهب كل منهما الى اشتراكية النساء والاولاد  
فنفيا بذلك المسلك الحكيم الغيرة من قلوب الازواج ولكن ذهب كل منهما  
فى ذلك مذهبا خاصا . كان للرومان الذى تكثر ابناءه ان ينزل عن زوجته  
لمن يشتهى ان يكون له ابناء مع الاحتفاظ بحرية تركها كل الترك او استردادها  
اما فى سبارطة فكان الزوج يبقى على زوجته فى منزله ويبقى التزاوج على  
مقتضاه ، ثم يقرض اخرا زوجته ويمنحه حق الابوة ويحدث غالبا كما قدمنا  
ان الزوج يدعوا الى بيته رجلا يأمل ان ينتج ابناء على كل شيء من الجمال  
واللطف فيدخله على زوجته . فما هو الفرق بين العادتين ؟ يؤخذ من عادة  
السبارطين ان لا اثر فى قلب الزوج لذلك الداء الذى يزعج اكثر الرجال

ولسخطهم على زوجاتهم وعملاء حياتهم غيرة وحرنا اما عادة الرومانيين فانها  
تسعر بانجل والحياء فالاختفاء تحت ستار التعاقد اقرار بانهم لا يحملون هذه  
المشاركة بلا ألم

جعل نوما البنات تحت رقابة قاسية وحتم عليهن عيشة معتدلة لا ثقة  
بجنسهن . اما ايكورجوس فقد اطلق لهن حرية لاضرر معها كنهن صبيانا ،  
وكان غرضه السخرية بالشعراء الذين اطلقوا على بنات سبارطة « عاريات  
السيقان » ومن ذلك قول اوربيد في ايبكيوس واندرومان  
تغادر منازلهن جريا وراء الفتيان

فخاذهن عارية و . . . في الهواء ( تذوب شوقا للرجال ) حقيقة ان شقات  
ثوب الفتاة لم تكن مخيطة من اسفل فتنتفتح بحيث انهن لا تخطو خطوة دون  
ان يظهر ساقها كما يؤخذ من قول سوفوكل في الايات الآتية  
والتي تبدأ تحس الشهوة وثوبها مفتوح من الجانبين

ينسدل على الساق التي تدعه بارزا ، تلك هيريون تظهر افخاذها للمارين «  
ويقال ايضا انهن كانت على جانب كبير من الجرأة لاسيما على ازواجهن  
لهن السيادة التامة في منازلهن ، وفي المجالس تعطى لرائيها بحرية في اهم المعضلات  
تمكن نوما من أن يحفظ للرومانيات ما كن يتمتعن به في زمن رومولوس  
حين كان الازواج يمتثلون كل حيلة لينسوهن حادثة الاختطاف فحاطهن بسياج  
من الحياء منعهن كل سبيل للتطلع وعاليهن الاحتشام والصمت ، وحزم عليهن  
الخربلا استثناء ولم يحز لهن الكلام حتى في اشد الاحوال لزوما الا بحضور  
ازواجهن . ويقال انه حدث مرة أن امرأة دافقت بنفسها عن قضية لها في المحكمة  
فلرسل مجلس الشيوخ يستخبر ابولون فيما يتوقع للمدينة من هذا الحادث . ومن  
الادلة على لطفهن ودمائة اخلاقهن عناية الرومانيين بتدوين اسماء الناشرات كما  
يدونون اسماء المثيرين للفتن والحروب الاهلية والسفاكين الذين يقتلون والدا أو أخا

فيؤخذ مما دونوه ان اول من طلق امرأته هو سبور يوس كرفيايوس وكانت هذه الحادثة قريبة في بابها لم يقع لها شبيه مدة مائتين وثلاثين سنة منذ تاسيس روما. ومنذ شجر الخلاف بين تاليا زوجة بناريوس وحماها جيجانيا . ولم يكن الرومانيون لينعموا بهذه السعادة العائلية لولا عناية المشرع واحكام نظام الاسرة وقوانين الزواج

اما السن التي يباح فيه للفتاة الزواج فهو واحد عندها . ومن حيث التربية يأبى ليكورجوس ان يسلم الفتاة للزوج قبل ان تدرك سن البلوغ وتشعر الشهوة . أراد بذلك ان يكون زواجها الملائم لسنة الطبيعة من دواعي السعادة والحب لا دواعي البغض والخوف كما يحدث في حالة الاكراه والاعتداء على سنن الطبيعة فيتريث في ذلك حتى تبلغ الاجسام أشدها ، فتقوى على احتمال الحمل وآلام الوضع لان الغرض الوحيد من الزواج في عرقه هو إقامة النسل ، وكان أكثر الرومانيين يزوجون الفتاة في الثانية عشر وما دون ذلك واهمين ان المرأة في هذه السن تكون أظهر جسما وأعف نفساً وأسهل قيادا لزوجها . ومن هذا ترى ان شريعة ليكورجوس أوفى الى نواويس الطبيعة يقصد بها إقامة النسل . اما شريعة نوما فأوفى الى سنن الآداب يقصد بها الحرص على التفريق بين الزوجين

اما نظام تربية الاطفال واشتراكهم في تلقى العلوم على معلمين معينين ورياضاتهم وألعابهم وما آدابهم وفي كل ما يعين على تكونهم وتهذيبهم فقد ارتكب نوما في ذلك كله اخطاء المشرعين العاديين وتفوق ليكورجوس عليه في ذلك ظاهر جده الظهور .

ترك نوما للوالدين حرية تربية أبنائهم على ما تشاء أهواءهم ووفق حاجاتهم فيجعلونهم مزارعين ونجارين وحدادين ومطربين كأنه لا يجب توجيه الاولاد منذ نعومة أظفارهم الى غاية واحدة وأفراغهم من الاخلاق في قلب واحد : أو كأنهم مسافرون ( سفر ) في مركب لا يفكر الواحد منهم الا في حاجاته واغراضه

الشخصية ، لا يشتركون في مصلحة عامة الا أمام الخطر حين يخاف كل على نفسه وفيما عدا ذلك لاتهم سوى مصلحته الشخصية .

قد يغتفر للعامة من المشرعين خطأه عن جهل أو ضعف ولكن ، ألم يكن الا جدر برجل رفعته الحكمة الى تولى شؤون شعب حديث النشأة لا تقوم في وجهه معارضة ، ان يعمل الفكر في تنظيم تربية الاطفال ورياضة الشباب حتى يحمو من بنيتها الفوارق الخلقية ويهذب مبادئها ويوفق بين ميول رجال صبوا منذ حداثتهم في قالب واحد من الفضيلة وصاروا على شاكاة واحدة ؟ تلك التربية المشتركة عدا ما فيها من الفوائد هي التي حفظت شرائع ليكورجوس .

لم يكن ايمان السبارطين سوى وثائق واهية اذا لم تكن هذه التربية وهذا النظام قد طبعها شرائعه في أخلاقهم .

اذا لم يرضعوا مع اللبن حسب هذا النظام . لما بقيت شريعة ليكورجوس مع كل ماتضمنته من الشؤون الهامة أكثر من خمسمائة سنة كالصبغة القوية اللون التي تخلل جميع أجزاء القماش . أو العكس بالعكس فقد اختلفت شريعة روما باختفاء صاحبها . اختفى ذلك السلام وذلك الوئام اللذين أقامهما في روما ألم يكده يوارى التراب حتى فتحت أبواب الهيكل التي أغلقها واعتقل بها شياطين الحرب وسالت جوانبا إيطاليا بالدماء والمذابح . لم تستطع هذه الحكومة بالرغم من جماها وعدلها البقاء طويلا لانها لم توثق برباط تربية الناشئة .

ولرب معترض يقول كيف ألم تزد الحروب مجسد روما ؟ سؤال يحتاج الى جواب طويل لو اردت اقناع أولئك الذين يرون مجد الامة في الثروة والترف والسيادة . لا في الطمأنينة والدعة والاعتدال والعدل . ولكن الذي يؤيد صلاحية مذهب ليكورجوس ان الرومانيين لم يبلغوا ما وصلوا اليه من شؤدد الا بابتعادهم عن شرائع روما . في حين ان السبارطين ما كادوا يتراخون في الحرص على شرائع صاحبهم حتى دالت دولتهم وانحط شأنهم وبعد ان خسروا مملكة اليونان تعرضوا

للخراب التام.

على انه لا بد لنا من القول اعترافا بهجد نوما انه لمن أعجب وأسمى الأمور  
ان يدعى أجنبي الى حكومة شعب فيتمكن من تبديل نظام بغير شيء سوى  
الاقناع دون ان يلجأ الى سلاح أو اكراد كما فعل ليكورجوس في استخدام  
الاشراف ضد الشعب ، وتمكن من حكم مدينة تمزقها الفتن المتضاربة . وجعل  
الحكمة والعدل سبيلة لتوحيد كلمة الشعب والتأليف بين عناصره بشد !  
أواصر الصداقة ما

## صولون

من آخر سني القرن السابع ق . م . الى وسط القرن السادس

جاء ويديم النحوي (١) فيما كتبه عن قوانين صولون ، ردّاً على اسكليبياد (٢) بعبارة لرجل يدعى فيلوكلس (٣) خالف فيها جميع من كتبوا عن صولون ، زاعماً أن والده يدعى ايفور يون . والحقيقة المجتمع عليها هي انه ابن اجزستيد ، رجل متوسط الحال والثروة في المدينة ولكنه من اعرق بيوتات اثينا واجزستيد من سلالة كور دوس . اما والدته فهي على ما قال هيراقليد اليوناني (٤) ابنة عم والده بيزستراتس . وكان الود متصلاً بين هذا وصولون لالسا بينهما من قربي بل لما كان عليه بيزستراتس من خلق طيب وجمال ، حبا فيه صولون . وكان هذا الود سبباً لعدم انقلاب الخلف السياسي الذي شجر بينهما الى بغض ، ولقد بقيت في نفوسهما حقوق الرابطة القديمة كما بقي بعد النار شر يأتلق .

لم يقو صولون على مقاومة الجمال . كان جباراً ولكنه ضعيف الحيلة أمام الحب وشعره ناطق بضعفه وكذلك شرائعه التي حرم فيها على العبيد أن يداكوا اجسادهم دون أن يغتسلوا ويتحلبوا للشبان . رفع بذلك هذه الرابطة الى مقام العواطف الشريفة المدوحة وجرمها على من لا يستحقونها وكأندعا اليها اللاتقيين

(١) نقاد من مدرسة اريستارك ، ولد في الاسكندرية وعاش في عهد الامبراطور اغسطوس  
(٢) نحوي من مدرسة ابولونيوس من ميري في يتيانيا وبلغ قده شهرته في عهد يوليوس قيصر  
(٣) لاندري عن ابن فيلوكلس بتكام فلوطارخوس . وجد شاعران جديان وشاعر مجونى بهذا الاسم . وعاش الثلاثة في عصر بريكس . وكان فيلوكلس فيلو بابيتس ابن اخ اشيل .

(٤) فيلسوف يوناني في القرن الرابع ق . م . ولد في هيراكليه في اليونان وتعلم في لافلاطون وسيزيب وارسطو . له مؤلف عن هوتيروس ويظهر انه غير ثابت له . وقطع من مؤلف عن انظمة الدول .

بها . ويقال أيضاً إن بيزسترات كان عشيق خالمر موس وأنه دشن تمثال الحب  
المقام في الأكاديمية بالقرب من المكان الذي يوقد فيه المشعل المقدس في  
السباق العمومي

قال هرميبوس إن صولون وورث ثروة ذهب احسان والده وكرمه بكثير  
منها . ولم يكن بلا اصدقاء على استعداد تام أن يقدموا اليه المال ولكنه كان من  
اسرة اعتادت أن تعطى لأن تأخذ ، لذلك كان يخجل ان يتقبل شيئاً . وإذا كان  
شاباً أقدم على التجارة . ويقول البعض إن صولون لم يتنقل بين أنحاء العالم  
للكسب والاثراء بل لمعرفة والعلم . والواقع أنه كان يحترف صناعة الموازين بالعلوم  
وكان يكرر عند شيخوخته « أنى ازداد كل يوم علماً كلما تقدمت في السن » .  
لم يكن ممن تبهرهم الثروات فمن قوله إنه لافرق عنده بين ... صاحب الفضة  
والذهب والحقول وافرة الحصاد والخيول والبغال وبين رجل لا يملك سوى معدة  
سليمة وعضلات قوية وأقدام خفيفة . يضاف اليها أبناء وزوجة

بين الشباب وفي ربيع الحياة هذا هو الحظ الموفق وقال في مكان آخر

نعم أنى أريد الثروة ولكنى لأأريدها من الظلم  
لأبأس على الرجل الطيب والوطني الصادق أن يحتفظ بمقام وسط . لا يتعلق  
بالكاليات ولا يحتمل الضرورى وما يسد الحاجة

لم يكن في ذلك الوقت كما قال هزiod (١) مامن عمل يخجل ولا  
تفرق الصناعات

بين اقدار الرجال وكانت التجارة محترمة تفيض على الأجانب خيراتها وتكسبهم  
صداقة الملوك وتعود عليهم بالخبرة الواسعة . وقد عرفنا كثير من التجار أنشؤا  
مدناً كبيرة . فقد أنشأ بروتوس مارسليا بعد ان استوثق من صداقة الغاليين  
الذين يسكنون شواطئ الرون . ويقال إن تالس وهيبوقراط الرياضي (٢) اشتغلا



بالتجارة . وكان افلاطون يبيع الزيت في مصر ليسد نفقات رحلته . ونعتقد ان اسراف صولون وحياته الناعمة الشهوانية واستهتاره في شعره وباحته في كلامه عن الشهوات بطريقة لا تليق بحكيم لم تكن سوى نتائج اشتغاله بالتجارة . فهي مهنة تعرض صاحبها لخطر جسيمة ولكنها تعوض عليه بما تعطيه من الملاذ والملاهي واليك عبارة من كلامه وضع فيها نفسه في جانب الفقراء لا الاغنياء  
 ما أكثر الاشمرار الاغنياء والصالحين الفقراء .

أما أنا فلا أقبل ان أبادل أولئك فضيلاتي بثروتهم . ان الفضيلة تلازمنا ابداً .  
 أما الثروة فلا تنقطع عن التنقل من يد لاخرى .

بدأ صالون صناعة الشعر قصد التلهي والتسلية في أوقات فارغة لذلك لم يعن بالموضوعات الجدية من ثم أخذ ينظم المبادئ الفلسفية وأدخل في شعره أكثر من لمحة من ارادته السياسية لا للتاريخ ولا للذكرى بل ليعتذرها عن سلوكه . ولكي يبحث الاثينيون ينصح لهم وينتقد اعمالهم . وقيل ايضا إنه نظم شرائعه شعراً بدأها بما يأتي

أبدأ بالتوسل الى الملك جوبتير بن ساتورن  
 ان يمنح هذه الشرائع التوفيق والمجد

جري على عادة حكماء ذلك العصر بالعناية بذلك الجانب من الفلسفة الادبية الخاص بالسياسة . أما الفلسفة الطبيعية فلم يعد فيها المبادئ الاولى لا أكثر ، واليك ما يؤيد ذلك :

« يأتي الثلج والبرد من القمر

والصاعقة من البرق المتطاير شرراً

والرياح تثير عجاج البحر الذي لا تهيج به زفخة

وهو أهدأ العناصر »

وانواقع انه لم يكن في ذلك العصر من يشتغل بالعلوم الطبيعية سوى تالس

فتفوق على جميع معاصريه أما الآخرون فلم يكتسبوا شهرتهم إلا من وراء علومهم السياسية

ويقال إن الحكماء السبعة اجتمعوا مرة في دلف وأخرى في كورنتوس حيث دعاهم باريان وأدب لهم وليمة . ولم تذع شهرتهم ومجدهم أكثر من إرسال كل منهم المتعد الذهبي الثلاثي القوائم إلى زميله بالتعاقب . وحكاية ذلك إن جماعة من قوس طرحوا شبكتهم في البحر فاشتري جماعة غرباء من أهالي ميلا ما فيها قبل أن يرى الصيادون ما احتوت عليه . وإذا بالشبكة متعددة ثلاثي القوائم من الذهب يقال إن هيلانة ألقته في البحر تنفيذاً لأمر الوحي عند عودتها من تروادة شجراً بسببه نزاع بين الصيادين والأجانب ثم امتد إلى أهالي المدينتين فجرد كل سلاحه في وجه الآخر حتى كادت الحرب تقع بين الفريقين . ولكن الكاهنة التي اتفق الفريقان على استشارتها قالت باعطاء ذلك المتعد إلى أوفر الحكماء حكمة فأرسلوه أولاً إلى ميلا برسم تالس . فقبل أهالي قوس اعطاء ما كادوا ينازعون الميلانيين جميعاً عليه بالسلاح إلى رجل واحد معين . ولكن تالس قال إن بياس أوفر منه حكمة وأرسله إليه . ورأى لياس مارآه زميله فأرسله إلى آخر وهكذا السبعة . وبعد أن تداول الجميع ذلك المتعد عاد ثانياً إلى تالس . ثم نقل من ميلا إلى ظيصة وكرس لابلون الاسماني . ولكن تيوفراشت يزعم أنه أرسل أولاً إلى بياس وبعد أن طاف جميع الحكماء عاد إليه . ثم نقل إلى دلف . هذه هي الرواية المشهورة ولكن البعض يزعم أنه لم يكن مقعداً بل كان إناء أرسله كراسوس ويزعم غيرهم أنه كان من ميراث باتكلس .

تعرف صولون بكل من أناخرسيس وتالس وله معهما أحاديث تروى عنهم جاء أناخرسيس إلى أثينا وذهب إلى بيت صولون وقرع بابه قائلاً أنه أجنبي يخطب صداقته وضيافته فأجابه صولون أولى بك أن يكون لك أصدقاء في وطنك

« لا في الخارج » فقال أنا خرسيديس « بما أني في بيتك أجعلني صديقك وضيفك »  
 أعجب صولون بسرعة خاطره فأكرم وفادته واستضافه زمنا وكان حينذاك مستغلا  
 بالأعمال العمومية بعد شرائعه وأطلع ضيفه على ما يعمل فسخر من المشروع ومما  
 يحسبه صولون من كفاية القوانين المكتوبة لردع مواطنيه عن الظلم والفساد  
 لاعتقاده ان أمثال هذه الشرائع أشبه شيء بنسيج العنكبوت تأخذ الضعفاء  
 الصغار فيقفون عند حدها أما الأقوياء والاعنياء فانهم يمزقونها ويتجاوزونها فقال  
 صولون « ان الناس يحرصون على ما يتفقون عليه اذا لم تكن هناك مصلحة لاحد  
 في الاخلال به . وستكون شرائعي ملائمة لمصالح جميع المواطنين بحيث لا يجد أحد  
 لنفسه خيرا في الاخلال بها أكثر من الطاعة لسننها » . ولكن الحوادث أثبتت  
 صحة نظر أنا خرسيديس وباء صولون بالخيبة . وقال أنا خرسيديس بعد حضوره جلسة  
 عمومية « يدهشني من الاثينيين ان الحكماء ينصحون والمجانين يقررون »

وذهب صولون الى ميلالز يارة تالس وأبدى له دهشته من امتناعه عن الزواج وحرمان  
 نفسه من الاولاد . لم يجبه تالس لغوره ولكنه بعد ايام قدم اليه أجنبيا قال له إنه آت  
 من أثينا وإنه لم يبرحها الا منذ عشرة أيام . سأله صولون اذا كان لم ير شيئا جديدا  
 في أثينا فاجابه الرجل وكان تالس قد لقنه ما يأتي . لا شيء جديدا الا وفاة شاب  
 مشتهر المدينة كلها في جنازته ، قيل إنه ابن رجل عظيم معروف بمحكمته وعدله  
 وإن والده ليس في أثينا بل في رحلة من زمن بعيد . فقال صولون ما اتعس ذلك  
 الوالد . ثم سأل الاجنبي وما اسمه ؟ — سمعت باسمه ولكنني نسيت وأذكر فقط  
 أنهم كانوا يلمحون بك كعدله وحكمته وفضله . أخذت هذه الاجوبة تزعج  
 صولون حتى يئس ان سأل الاجنبي ألم يكن الميت ابن صولون ؟ فاجاب الاجنبي  
 نعم . لطم صولون عند سماعه هذه الكلمة رأسه وأخذ ينتحب انتحاب من  
 نزلت به شر الويلات . حينئذ أخذ تالس بيده وقال له ضاحكا هذا يا صولون  
 ما أبعدني عن الزواج والاولاد . خشيت الضربة التي أوجعتك وأنت أثبت  
 ١٣٣ - العظماء

الرجال . اطمئن ليس فيما سمعت شيء من الصدق . (١) . هذا ما رواه  
 هوميروس عن باتيكوس (١) الذي يدعى أنه ورث زوج ايزوب على أن الامتناع  
 عن اجتياز الضرورى خشية ضياعه خطأ ضد العقل والقلب . ولو صح هذا كان  
 من الواجب أن لا نحب شيئاً من الثروة أو المجد أو الحكمة . ان الفضيلة ذاتها  
 وهى أئمن وأسمى الخيرات قد ينتزعها منا المرض والشراب . وتالس ذاته  
 بامتناعه عن الزواج لم يكن فى مأمن من المخاوف الا اذا كان متطوع الصلة بينه  
 وبين أهله وأصدقائه ووطنه . ولكنهم لم يكن على شيء من ذلك اذ تبنى ابن اخته  
 سيبنوس لان فى نفس الانسان غريزة العطف يتنازعها الحب والاحساس  
 والفكر والذكرى تستعير أغراضها الطبيعية التى تعوزها بروابط خارجية تسعى  
 لها وتكون أشبه شيء بمنزل أو أرض ليس لها وريث شرعى فتربح بالاجانب  
 وأولاد الزنا يتدخلون فيها بالحيلة والتحبب ويستولون عليها ومتى استقرت  
 بهم الحال ادخلوا الى النفوس بعلاقاتهم هذه الرغبة فى الحرص عليهم والخوف من  
 ضياعهم وما أكثر من نراهم اليوم يسخرون من الزواج والاولاد ثم نراهم اذا  
 فجعوا بابنائهم من خادماهم أو محظياتهم أو رؤوسهم مرضى انخرطوا فى الحزن والالم  
 على مالا يليق بالقلوب الشريفة . ومنهم من اذا أصيب فى كلب أو حصان حزن  
 نه حزنا مخجلا مميّتا . بينما نرى غيرهم اذا احتسبوا فى ابناء فضلاء يتأسون ويقضون  
 بقية حياتهم فى اعتماد لا بأس به . من الضعف لا الحب ، ان يسترسل  
 الانسان فى الحزن والخوف الشديد وليس لنا من العقل عدة ضد الخط . اننا لانعرف  
 كيف نستمتع بالحاضر ، والمستقبل يروعنا بالآلام والضيقات لجرد التفكير فى  
 ضياعه يوما ما . فلا نسرع الى الفقر او عدم المبالاة او العزوبة خشية ضياع  
 ثروتنا أو أصدقائنا أو أولادنا . يجب أن نستمد قوانا من العقل . وكفى بهذا  
 مناقشة فى هذا الموضوع .

مل الاثينيون هروبهم الفنيمة ضد الميجاريين لاسترداد جزيرة سلامين فأصدروا مرسوما يقضى بالموت على من يقترح شفوياً أو كتابة المطالبة بها . ساء صولون هذا الجهن ورأى الشبان أو أغلبهم لا يطالبون سوى صحبة يتذرعون بها لمعاودة القتال . غير أنهم لم يجروا على التقدم خوفاً من ذلك القانون . فادعى الجنون وأذاع بواسطة أهل بيته انه فقد صوابه . وأعد في انحاء قصيدة استظهرها على لوح قلبه وخرج فجأة من منزله وعلى رأسه قبعة (١) وجرى الى الساحة العمومية وتبعه الشعب جماعات وهناك اعتلى صخر الخطابة وأنشد قصيدته التي مطلعها :

أتيت منادياً من سلامين الجميلة

وقد ألفت لكم هذه الاشعار بدلا من خطبته

واتمدا أطلق على هذه القصيدة اسم سلامين وهي مؤلفة من مائة بيت غاية في الجمال .

ولما انتهى صولون من انشادها صفق له أصحابه ، وبلغ من تشجيع بيزستراس للاثينيين على الأخذ برأيه ان ألغى المرسوم وأعلنت الحرب وعين صولون قائداً للجيش .

أما الرواية الشائعة عن ذلك فهي أن صولون أبحر مع بيزستراس الى كولياد حيث كانت الاثينيات يحتفلن بعيد الالهة سيريس . ومن هناك أرسل رجلا ممن يثق بهم الى سلامين مدعيا انه هارب واقترح على الميجاريين انهم اذا شاءوا ان يستولوا على خير نساء اثينا فليسافروا معه الى كولياد . صدقه الميجاريون واسرعوا من فورهم الى سفينة مائوها جنوداً . وإذا رأى صولون ان سفينتهم عادت سلامين سحب النساء وأنبس المرد من الشباب ثيابهن وعصباتهن

١ هي غطاء رأس المرضى . والقبعة من الوقيات الطبية التي أوصى بها افلاطون في الجزء الثالث من كتابه الجمهورية .

وأخذيتهم فأخفى المرد خناجرهم تحت الثياب وذهبوا بناء على أمره يلعبون ويرقصون عند الشاطئ إلى أن نزل الجنود ولم يبق للسفينة سبيل للنجاة من أيديهم . خدع الميجاريون بهذا المشهد وتسابقوا لاختطاف أولئك النساء المزعومات ولكنهم قتلوا عن آخرهم ، ثم أبحر الاثنيون إلى الجزيرة واستولوا عليها . ويزعم البعض أن صولون سلك في ذلك طريقاً آخر . أوحى إليه دلف . أن يستعمل اليك بالهدايا الإبطال من الأهالي وسادات البلاد

ممن يضمهم ازويوس في حضنه

ومن يجعلون قبورهم نحو الغرب

فذهب صولون إلى سلامين ليلاً وذبح الضحايا للبطلين بارايقاموس وسيشيره ثم قدم إليه الاثنيون ثلثمائة متطوع ضمن لهم حكومة الجزيرة برسوم اذاهم استولوا عليها أنزلهم صولون في قوارب صيد تحرسهم سفينة بثلاثين مقدافاً . وألقى المرسى تجاه أوبا . لم يعلم الميجاريون المقيمون هناك عن حملته سوى اشاعات مضطربة ففرزوا إلى سلاحهم في غير نظام وبعثوا بسفينة تستكشف الخبر . دنت السفينة من عمارة الاثنيين فانسرت . قتل صولون من كان بها من الميجاريين وأحل محلهم جماعة من أشجع جنوده وأرسلهم إلى سلامين وأوصاهم أن يتنكروا جهد المستطاع وسار ببقية جنده برا لمحاربة الميجاريين . وبينما هو مشتبك معهم في القتال فجأ رجال السفينة سلامين وأخذوها عنوة . تؤيد العادات المتبعة هذه الرواية . ففي كل سنة تذهب سفينة متنكرة من أثينا إلى سلامين ويسرع أهالي الجزيرة في هرج واضطراب لملاقاتها وحينئذ يقفز أثيني إلى البر شاهراً سيفه ويصيح صيحات عالية في وجه القادمين . يحدث ذلك عند قمة سيرا ديوم . ويشاهد على مقربة من ذلك المكان هيكل مارس الذي أقامه صولون بعد انتصاره على الميجاريين . أما الذين نجوا من الموت فبقوا أحراراً بفضل معاهدة ولكن الميجاريين أصرروا على استرداد سلامين . وبقى الشعبان ينزل كل منهما بالآخر مافى وسعه

من شر . ولكنهم قبلوا أخيراً ان يحكموا الاسبارطين في الامر وارتضوا حكمهم  
ويقال ان صولون استشهد في خصوصته بهوميروس ودس عليه أشعارا في بيان  
السفن وروى أمام القضاة .

قاد أجاكس من سلامين اثنتي عشرة سفينة وجعلها في مصاف جنود الاثينيين .  
ولكن الاثينيين هزمون بهذه الرواية ويؤكدون ان صولون أثبت للقضاة ان  
فيلوس واديزاسيس ابني اجاكس لما فلا حقوق مدينة أثينا نزلا عن الجزيرة  
للاثينيين وأقاما في أتيكا . فأقام أحدهم في بروروم والآخر في ماليتا وان فيلوس  
أعطى اسمه لقرية الفيلاين التي منها يبرزستراس .

ولكي يجهز صولون على كل حجة للميجاريين استشهد بطريقة دفن الميجاريين  
لموتاهم وهم في ذلك يشبهون الاثينيين ويختلفون عن الميجاريين . يوجه الميجاريون  
موتاهم نحو الشرق اما الاثينيون فانهم يوجهونهم نحو الغرب . حقيقة ان هرايس  
قرر انهم في ميجاريا يحولون وجوه الموتى الى الغرب وزاد على ذلك برهانا مقنعا  
وهو انهم في أثينا يخصصون كل ميت بنعش اما في ميجاريا فانهم يضعون في النعش  
الواحد أربعة أو خمسة . ولكنهم يزعمون ان صولون أيد مطالبه بوحي الكاهنة  
التي دعت سلامين « يونيين » وكان الحكم في هذه القضية خمسة من الاسبارطين  
وهم كريتولايداس - امونفاريثيوس . هبشثيداس - اناجزيلاس . كليوبوبس  
عاد صولون من هذه الحملة متوجا باكاليل المجد . وقد زادت سمعته شهرة ولمجت  
التاس باسمه والاعجاب به بعد الخطاب الذي ألقاه عن هيكل دلف قائلا « يجب  
ان ندافع عنه ولا نحتمل مايفعله السيرهيون تدنيس الوحي . وانه احتراماً للاله  
يجب اسعاف دلف » قبل المجلس الاعلى الانفكتيون هذه الدعوة وأعلنوا الحرب  
على السيرهيون . هذه حال يشهد بها كثير من الكتاب بينهم ارسطو في مؤلفه  
بثيونيك - وقد ضاع هذا المؤلف - حيث يعزو هذا القرار الى صولون . على  
ان صولون لم يعين قائدا في هذا الحرب بالرغم مما زعمه ايفانت الساموسي (وهو

كاتب غير معروف) الذي استشهد به هرميباس . ولم يقل اشين الخطيب شيئاً عن ذلك . ويؤخذ من سجلات دلف ان الكيمييون لاصولون هو الذي تولى قيادة الاثينيين في هذا الحرب

كان ارجس السيلوني يحدث في اثينا كثيراً من الاضطرابات وكان شركاء سيلون قد لجئوا الى هيكل متروفا فتمكن ميجالس الجاكيم من اقناعهم بان يتقدموا للمحاكمة فربطوا خيطاً بتمثال الآلهة وأمسكوا به ونزلوا به واذا صاروا على مقربة من هيكل الآلهة المحترمة (١) انتطع الخيط من تلقاء نفسه . فقبض عليهم ميجالس ورفاقه بحجة ان الآلهة أبت ان تحميمهم فانزلوا العقاب بمن كان خارج الهيكل أما الذين فروا فقد ذبحوا أمام « المذبح » ولم ينج منهم الا الذين رموا بأنفسهم تحت أقدام نساء الحكام . ومن ذلك الحين دعى الحكام ارجاساً وصاروا موضع بغض الجمهور . عادت الثقة بعد ذلك الى من بقى من انصار سيلون واستمر وافي عدائهم لخلفاء ميجالس . بلغت الفتنة أشدها وانقسم الشعب بين الحزبين فتدخل صولون ، الذي كانت شهرته قد عظمت بين الجميع في المسألة وتمكن بمساعدة كبار الاثينيين بالتوسلات تارة واللوم أخرى من حمل المدعويين ارجاساً الى قبول تحكيم ثمانمائة من افضل الوطنيين . حكم على الارجاس بناء على اتهام ميرون وفيلي . وحكم على الاحياء منهم بالنفى . فنبشوا قبور الموتى والتوا رفقتهم بعيداً عن اراضي اتيكا

انتبه الميجاريون فرصة هذا الاضطراب وهاجموا الاثينيين وطردهم من « فيزه » (٢) واستردوا اسلامين اجتمع مع هذه الولايات ما كان يملأ القلوب من مخاوف وهمية ذلك ان اثينا امتلأت أرواحاً طائفة . وقال العرافون بعد فحص الضحايا بوجود رجس ودنس يجب التطهر منه ما فاحضرا بيميند الغسقي من كريت وهو تابع الحكماء في نظر من لا يعد منهم بير ياندد . وكان معروفاً « عزيز الآلهة » .

(١) لقب ايتونيده وكان هيكل في كولون ٢ مدينة واقعة على خليج كورنت



وكان ضليعاً في علوم الوحي والأسرار . وكان يدعى في حياته ابن العذراء « يالته »  
وكوريت الحديد وقد وصل ائينا صادق صولون وساعده في وضع شرائعه . ومهد  
له السبيل بتعويد الاثينيين الاقلال من النفقات في التقاليد الدينية والاعتدال  
في الخداد . نفرض تقدمات للجنازات بدلا من العادات الوحشية التي كانت  
تقوم بها بعض النساء الى ذلك الحين . واهم ما اصبغته من التطهيرات والتقدمات  
وانشاء المعابد طهر المدينة تطهيراً تاماً وابعدها عن الرجس والظلم وجعل الاهلى  
أكثر استعداداً وقبولاً للاتحاد والسلام .

ويروى أيضاً أنه لما رأى مونيشى وأنعم فيه النظر طويلاً قال لرفقه « ان  
الرجل أعنى عن المستقبل لو استطاع الاثينيون ان يدركوا مايجرده هذا المكان  
على مدينتهم من الولايات لدمود »

ويقال أن تالس أحس أيضاً بمثل هذا الشعور وأمر أن يدفن في مكان  
صحراوي قاحل من ميلازيا . متنبئاً بأن هذا المكان سيصير يوماً ما ساحة  
ميلازيا العمومية .

أراد الاثينيون اعجابا بايمنيدي أن يغمره بالتكريمات والهدايا ولكنه لم  
يطلب سوى غصن من شجرة الزيتون المقدسة فقدم اليه وعاد الى كريت .

انتهت الفتنة السيلونية بانتقاء الارجاس ولكن ائينا عادت الى الاختلافات  
السياسية القديمة . ووجدت في المدينة أحزاب عداد ما في اتيكا من اراض مختلفة  
أراد أهالى الجبل حكومة شعبية . وفضل أهالى السهل حكومة اوليجارشية  
( حكومة جماعة ) وبقي سكان الساحل وهم خليط من الحزبين يحولان بين انتصار  
أحدهما على الآخر . هذا وكان ما أحدثه تفاوت الثروة بين الفقراء والاعنياء  
من الشقاق على أشده وكان المدينة في هذا الموقف الحرج لم تجد من سبيل لاعتدال  
الطائفة والنجاة من الخراب سوى الاستسلام لحاكم مستبد . كان الشعب كله  
رازحات عبيد ما كان عليه من الديون للاغنياء وكان المدين يشتغل لدائنه

ويعطيه سدس المحصول . وكان يدعى هؤلاء السدسيون او المستأجرة وكان غير هؤلاء يقترضون برهون على اشخاصهم ويحكم بهم لدايتهم فيبقون عبيدا في ائتنا أو يباعون في الخارج وكان الكثيرون يضطرون لبيع ابناءهم لا يحميهم قانون ، أو يهربون من المدينة نجاة من قسوة المرابين . اجتمع منهم عدد كبير من اولى العزبة الصادقة واحتجوا على هذه الالهانة واعتزموا ان يعينوا على انفسهم رئيساً حقيقياً بشقتهم وان يذهبوا تحت قيادته لانقاذ المدينين الذين لم يستطيعوا الوفاء وإن يعيدوا تقسيم الاراضي ويغيروا هيئة الحكومة .

حول العقلاء من الاثنيين في هذه الازمة انظارهم إلى صولون لانه الرجل الوحيد الذي لم تقع عليه شبهة . لم يشترك في مظالم الاغنياء ولم يختار شخصياً حالة الفقراء . رجوا اليه ان يتولى الامر وان يضع حداً لهذا الخلاف . قال فانياس دى لسيوس (١) ان صولون انقاداً للمدينة خدع الحزبين معاً . وعد الفقراء خفية بتوزيع الاراضي والاغنياء بنشيت ديونهم ٢ مع انه يقول ان صولون تردد كثيراً في قبول هذه المهمة خشية بخل هؤلاء وقحة اولئك .

مهما يكن من الامر فقد انتخب صولون حاكماً بعد فيلومبروتوس وصار حاكماً في الاتفاق ومصاحاً للشرائع وصادف هذا الانتخاب قبولاً من جميع الاحزاب الاغنياء لان صولون كان غنياً والفقراء لانهم يعرفونه رجل خير . وقد ذاع عنه قوله إن المساواة لا تحدث الحرب . كلمة طابت لها نفوس الاغنياء والفقراء . رأى فيها الاغنياء ان المساواة أساسها الجدارة والفضيلة . ورأى فيها الفقراء تسوية عادلة حسب الانفس . رأى الحزبان موضعاً لآمال كبيرة . عرض الرؤساء على صولون الحكم المطلق والحواء عليه في إدارة حكومة مدينة يسيطر عليها . حتى أن الذين لم يعنهم أمر هذا الحرب أو ذاك ، أولئك الذين لم يكونوا يتوقعون من الحكومة أو التشريع تغييراً صالحاً يحدث بلا خطر ولم يحجموا عن تقديم السلطة التامة الى

أعدل وأحكم رجل . ويقال إن صولون تلقى من بيتو الوحي الآتى :

اجلس ؛ ايها البحار ، وسط المركب

ودبر سيره . سيخلص لك أكثر من واحد في اثينا .

وقد عاب عليه كثير من أصدقائه خوفه من كلمة ( مملكة ) كأن الحكومة المطلقة التى تكتسب بالفضيلة لا تصير ملكية مشروعة . ألم لذلك مثلاً فى أوبا فى شخص تيونونداس ؟ ألم تقلد ميثيلين ؛ بتاكوس الحكم المطلق ؟ ولكن كل هذه الأقوال . لم تنل من صولون . فكان يجيب أصحابه بقوله ان المطلقة بلد جميلة ولكن لا منفذ لها . وقال فى أشعاره مخاطباً فوكوس

... اذا كنت قد أنقذت وطنى

( لان قسوة الاستبداد لم تدنس يدي )

اذا كنت لم أسود ( أو أظلم ) ولم أشن مدى .

فانى لا أندم على ذلك . لانه يلوح لى انى بهذا تغلبت على جميع الرجال ... ويرى من هذا انه كان حتى قبل نشر شرائعه ممتعاً بالاحترام والاجلال على انه يذكر فى أشعاره الاقوال التى كانوا يسخرون بها منه لرفض الحكومة المطلقة

لم يكن صولون حكيماً ولا عاقلاً

رفض ماقدمته اليه الآلهة من خيرات .

ولما أخذت السمكة نظر اليها مبهوتاً ولم يسحب الشبكة .

لقد ضاع صوابه وحاد في أمره

على انه كان يريد لامتلاك هذه الكنوز ،

والحكم ولو يوماً واحداً على اثينا

ان يساخ جلد حيا وان يهلك جميع أبناء جنسه

بمثل هذا كان يعبر عما يقول فيه الغوغاء والاشرار

لم يكن رفض الحكم المطلق ليدفعه الى اللين والحوادة . لم ينزل عن شيء  
للاقوياء ولم يماق في قوانينه الذين انتخبوه . لم يضع الدواء على الاعضاء السليمة  
ولم يرد ان يقطع من خم الحى ، خشية انه اذا قلب المدينة رأسا على عقب لا يبعد  
من القوة ما يكفى لاعادة تنظيمها واصلاحها . لم يضع من القوانين الا ما رأى في  
وسعه ان يجعله مقبولا بالاقناع أو الثقة جامعاً بين القوة والعدل كما كان يقول .  
وقد سئل مرة هل من اللائينيين خير الشرائع فقال « نعم خير ما يسن لهم »

كان اللائينيون على ما هو ملحوظ يطفون من قطاعة الاشياء باعطائها أسماء  
شريفة طاهرة . مثال ذلك انهم كانوا يدعون المومسات صديقات ، وانظرائب ؛  
اعانات ؛ وجنود الحامية حراساً ، والسجن بيتاً . ويكاد يكون من المؤكد ان  
هذه من اختراعات صولون . وكان يدعو الغاء الديون ، تسديداً وهذا أول إصلاح  
أحدثه في الدولة . فالرسوم يقضى بالغاء الديون السابقة وتحرير رقبة المدينين من  
التعهدات ومن كل اكراه بدنى . على ان البعض وبينهم ان روسيون (١) يقول  
ان صولون لم يلغ الديون بل أنقص فوائدها وان الفقراء الذين خفت عليهم وطئتها  
هم الذين دعوا تسديداً . ويقول ذلك البعض ان الذى أتم مفعول القانون هو اعلان  
قيمة النقود : كان « المين » يساوى ثلاثة وستين درهما فجعله مائة . بحيث  
ان المدينين يسددون القيمة الاسمية ولكنها أقل قدراً وبذلك ربحوا كثيراً ولم  
يخسر الدائنون شيئاً .

على ان المتفق عليه عموماً هو ان التسديد كان إلغاء حقيقياً لجميع الديون .  
مما يؤكده ذلك قول صولون ذاته فى قصائده مفاخرأبانه ألغى من اتيكا قوائم  
الرهنات العقارية فالأراضى التى كانت مرتبطة أصبحت خالية وقد أعدت  
الوطنيين الذين حكم بهم شخصياً لدائنيهم من البلاد الاجنبية حيث لم يكن لهم  
مأوى ولم يتكلموا لغة اتيكا . وقد حررت رتبة الباقين الذين كانوا يعيشون فى

١ له مذكرات عن اتيكا . وقد ذكره بوزانياس . ولم يعرف زمن وجوده

## وطنهم أرقاء أذلاء (١)

لحق صولون من عمله هذا اثر ما يبتلى به من الكدر . بينما كان يشتغل بالغاء الديون ويبحث عن عبارات ملائمة يصوغ بها مرسومه ويضع لها مقدمة مناسبة اطلع ثلاثة من أصدقائه على مشروعه وهم « كونيون » و « كلينياس » و « هيبو فيكوس » موضع ثقته قائلاً لهم إنه لا يمس الاراضى وأنه سيملى الديون . اغتم هؤلاء الثلاثة الفرصة وسبقوا صدور المرسوم فاقترضوا من الاغنياء مبالغ طائلة واشتروا اراضى . فلما صدر القانون احتفظوا باملاكهم ولم يسددوا شيئاً من ديونهم فأثار هذا الخبث شكوى مرة ضد صولون واتهموه لابان اصحابه خدعوه بل بأنه كان شريكاً لهم في سوء فعلهم . زالت هذه التهمة الغريبة عن صولون اذ كان أول من عمل بقانونه فنزل عن خمسة طالانات مستحقة له . ويقول البعض ومنهم بوليزاوس الروديسى (٢) إنه نزل عن خمسة عشر لخمسة فقط . على ان هذا لم يعرف اصحابه من أن يطلق القوم عليهم لقب « حاذق الديون »

قد أساء أمر صولون الحزبين معا : أساء الاغنياء الذين ضاعت عليهم حقوقهم وأساء الفقراء الذين حرروا مما كانوا يطمحون اليه من تقسيم الاراضى بين الجميع سواء بسواء كما فعل ليكوزرجوس . ولكن ليكوزرجوس كان الحادى عشر من سلالة هرقل . واستمر ملكه على اسباطة عدة سنوات وكان ينعم بشهرة وثقة واسعتين وكان له كثير من الاصدقاء ونفوذ عظيم وهذه امتيازات جائلة ساعدته على اجراء اصلاحه السياسى . ومع ذلك اضطر الى استخدام القوة أكثر من الاقتناع وقد كلفه خير نظمه ضياع عينه مع ان خير مأسه السعادة مدينته ورفاهيتها . وهو الغاء القوم والغنى . ولم يكن فى سع صولون ان يطمع الى هذا المقام . ولد من طبقة العامة وفى حالة وسط . على انه لم يقصر عما كان فى طاقته من حكمة وثقة . ولقد شهد هو نفسه بان شريعته أغضبت أغاب الاثينيين الذين كانوا ينتظرون شيئاً آخر

١ هذه الاشعار التى لحصها افلاطون خوس محفوظه فى خطاب ارشيد بارافتيجات ٢ لم يعرف عنه سوى انه كتب ذكريات عن جزيرة رودس

« لقد كانوا يمجّبون بي والان كلهم ناظم على

كلهم ينظرون الى بعين العدو

ومع كل فلم يكن في وسع أى انسان غيرى صارله مالى من السلطة  
أن يضع قانونا أو غاية لا يدفع هذا الشعب الى الفوضى وامتصاص آخر  
مصّة من لبانه »

لم يلبث الا ثينيون ان عرفوا فائدة قانونه فعدلوا عن تدميرهم وقدموا  
قربانا دعوه « قربان الاعفاء أو البتديد » وعهد الى صولون فى مهمتى الاصلاح  
السياسى والتشريع وخولوه فى ذلك سلطة مطابقة فسيطر بذلك على القضاء  
الجمعيات والمباحثات والاحكام . وكان ينظم مرتبات الضباط وعددهم  
ومدة خدمتهم يلقى ويثبت ماشاء من العادات والانظمة فبدأ بالغاء جميع شرائع  
« درا كون » لصراحتها وعدم تناسب العقاب ولم يستثن سوى عقوبة القتل .  
لم تكن فى شرائع « درا كون » سوى عقاب واحد لجميع الاخطاء  
وهو الموت : فمن يثبت عليه البطالة كان جزاؤه الموت . ومن سرق بطلا أو  
فاكهة كان جزاؤه جزاء من ارتكب رجسا أو قتل انسانا . ولقد اصاب وأما فى  
قوله إن « درا كون » كتب شرائعه بالدماء لا بالمداد . قيل « لدرا كون » لماذا  
جعلت الموت عقاب كل خطأ فقال « لآنى وجدت أقل خطأ يستحق الموت ولم  
أجد غيره للعجز أم الكبرى »

أراد صولون بقاء الحكم فى أيدي الاغنياء وان يشرك الفقراء فى ادارة  
الحكومة التى كانوا مبعدين عنها . فاحصى الثروات وجعل الطبقة الاولى من  
الوطنيين الذين يبلغ ابرادهم خمسمائة مديم غلالا أو سوائل ودعاها « بنتاكوزيو  
مديم » وجعل الطبقة الثانية ممن يملكون قوت حصان أو ثلثماية مديم ودعا اصحابها  
الفوارس « شقاليه » وألف الطبقة الثالثة ممن يملكون مائتى مديم ودعا اصحابها  
« زوجيت » ودعا الذين يملكون اقل من مائتى مديم « ثات »

حرم صولون على الطبقة الاخيرة الاشتغال بالقضاء ولم يجعل نصيبهم في الحكم الا حق التصويت في الجلسات والاحكام . لم يبدووا هذا الحق على شيء من الخطورة إلا أنه صار فيما بعد عظيم الخطر . لان غالبية القضايا كانت تنتهي الى حكم الشعب . ولئن كان الحكم أول من يبدأ بمعرفتها فإنه كان من الممكن عرض احكام القضاء على الشعب . ويقال إن غرض شرائع صولون وما كانت تنطوي عليه معانيها من التناقض كانا سبباً لزيادة سلطة المحاكم . ولأنه لم يكن من السهل الفصل في الخلاف ، لم تكن للشعب مندوحة عن الرجوع الى قضاة في تقرير القضايا وبذلك صار القضاء المتحكمين في القوانين . وقد ذكر صولون في قصائده هذا التوازن الذي اقامه بين الاغنياء والفقراء :

أعطيت الشعب سلطة كافية

لم أنقص من شرفه ولم أزد عليه ( مالا فائدة منه )

أما الاغنياء المعجبون بثرواتهم

فلم أسمح لهم بارتكاب المظالم

لقد قللت كل حزب دروعاً حصينة

فلا سبيل لهؤلاء ولا لاولئك إلى العدوان

وقد أباح وقاية الشعب، لكل انسان أن يتقدم للدفاع عن أى وطنى أهين. فاذا جرح أحد أو ضرب أو أهين كان لكل انسان الحق لو اجتراً أو أراد أن يقاضى المعتدى أمام القضاء . وهذه حكمة أراد بها المشرع تعويد الوطنيين ان يروا انفسهم أعضاء هيئة واحدة ( جسم واحد ) فيشعروا ويشاطروا كل منهم ويلات الآخرين . ويذكرون لصولون كلمة في بيان هذا القانون . سئل يوماً ماهى خير مدينة يسودها النظام ؟ فقال « تلك التى يعنى فيها الوطنيون برداى أذى كأنه أصاب كل فرد منهم »

فصولون هو الذى أنشأ مجلس شيوخ الحكم « الاريوباج » ألفه من الذين

تولوا منصب حاكم واذ كان هو حاكماً كان عضواً في مجلس الشيوخ . ولكن  
لاحظ ان الغاء الديون اوجد في الشعب روح الادعاء والكبرياء . فانشأ  
جلساً ثانياً مؤلفاً من أربعائة عضواً ، مائة من كل القبائل الاربع . ينظر في  
المسائل قبل عرضها على الشعب . وحرّم الجمعية العمومية النظر في مسألة لم يفتحها  
هذا المجلس . أما المجلس الاعلى فقد خصه صولون بالاشراف العام وصيانة  
القوانين كما ان السفينة لو ثبتت برسيين صارت أقل عرضة للاضطرابات .  
ينسبون كما قلت الارويوباج ( مجلس الحكم ) الى صولون (١) يؤيد ذلك ان  
دراكون لم يتكلم على أولئك الحكماء ( الارويوباجين ) وانه في قضايا الاجرام  
الكبرى كان يوجه الكلام الى ( النواب ولكن القانون الثامن من اللوحة الثالثة  
عشرة من تشريع صولون يجري بما يتلى :

« جميع المتهمين من الوطنيين الذين ثبتت ادانتهم قبل حكومة صولون تعاد  
اليهم براءتهم الا الذين حكم عليهم مجلس الشيوخ ومجلس النواب أو الملك في  
بريتانه في جرائم القتل أو السلب أو الطموح الى الاستبداد والاستعباد . أو الذين  
امتنعوا عن الحضور عند نشر هذا القانون » . وهذا دليل على ان مجلس الشيوخ  
كان موجوداً قبل حكومة صولون ونشر قوانينه

هل يعقل ان يصدر مجلس الشيوخ حكماً اذا كان صولون هو أول من منحه  
حق الحكم ؟ اوربنا كان في هذا النص غموض أو نقص ، هل يفهم ان الذين حكم  
عليهم قبل نشر هذا القانون مجلس الشيوخ أو النواب أو الملك البريتانيين يبتون  
في حكم المدانين وان تبرأ ساحة الباقين . هذا ما أراد المشرع .

وبين قوانين صولون قانون لم يسبق اليه وهو غريب في بابه . ذلك انه  
يعتد مهاناً كل من يلزم الخيطة إبان الاضطراب لا ينتمي الى حزب من الاحزاب

١ ترجع الانباء المتواترة هذا النظام الى زمن البطولة ، ويقال ان أول قضية نظرها  
هذا المجلس قى قضية فوزى ضد اورست قاتل أبيه . امينيد تأليف اشيل



وكأنه أراد بذلك ألا يستخف أحد أو لا يتأثر بما يحل بالبلد من أنويالات العامة .  
مكتفيا بإسلامه شخصه وأمواله ثم المفارقة بأنه لم يقدم شيئا ولم يصبه شيء من ذكبات  
الوطن . أراد أن يتقدم كل انسان منذ ابتداء الفتنة فينضم الى اوفر الجانبين  
نصيبا من الحق . وبذل ان ينظر لمن يكون النصر يعضد الفضلاء  
ويشاطرهم الخطر

ومن شرائع صولون قانون أراد سخيغا من ربا ذلك الذي يبيح لزوجة اذا  
كانت غنية ان تسلم نفسها لمن تشاء من أقارب زوجها متى كان عاجزا مع انه ما لكما  
الشرعى . ويقول البعض ان ذلك عقاب للعجزة في المسائل الزوجية ، الذين  
يدفعهم الجشع الى زواج غنية متخذين ما يبيحه القانون للاعتداء على الناموس  
الطبيعى . اذ يعلمون ان لنساءهم الحق فى الاستسلام الى من يرون أو أن يفرض  
الزواج أو لا يتزوجن منهم الا لالباسهم العار . فيكون ذلك جزاء وفقا لهم على  
جشعهم وجريمتهم . لم يحدد القانون اختيار الزوجة عبثا من حيث حصره فى أقارب  
الزوج . أراد المشرع بذلك ان يكون أبناؤها من دم الزوج وجنسه : لهذا  
السبب أمر ان يحبس العروسان معا وان « يعضيا سفرجلة واحدة » وأن ينس  
الزوج لزوجته بواجبه الزوجى ثلاث مرات على الاقل فى الشهر : ولئن كن  
لا يولدها فهو تشريف لفضيلة الزوجة . وان فى هذا العطف ما يبدد أسباب الاستيلاء  
الذى يحدث غالبا بين الزوجين ويتحول الى شجار عنانى .

وفيما عدا ذلك ألغى صولون البائنة ( الموطنة ) وكانت المرأة ان تحضر ثلاثة  
اثواب وبعض اثاثات قليلة الثمن . أراد بذلك الا يكون الزواج تجارة وترفا .  
بل يكون ائتلافا بين الزوجين استعدادا لاقامة النسل . وأن يكون رباط دعة  
وحب . طالبت والدة دانيس من ابنها ان يزوجه من شاب سيرا قوزى فأجابها  
« كن فى وضعى ان اخترق قوانين المدينة وأتولى الحكم المطلق فيها واسكن  
نيس فى وسعى أن أمتنهن قوانين الطبيعة بعقد زواج بعيد عن السن المناسبة »

ولذلك لا يجوز ان يسمح بمثل هذا الخلل في دولته ، او بإباحة زواج في غير تناسب لا ينطوي على شيء من الهناء ولا يؤدي عمل الزواج ولا الغاية منه . قال احد علماء الحكماء لعجوز تزوج فتاة حديثة السن ما قيل لفيلوكيتيت  
تزوج أيها النعس ؟ ان حالك ناطقة ! ،

واذا وجد شابا في غرفته عجوز غنية يسمن كما يسمن الحجل لدى أنثاه .  
انزعه منها . وألق به بين يدي عذراء فتية محتاجة الى زوج . ان في هذا كفاية

ومما يثني عليه من شرائع صولون نهيه عن اساءة سمعة الموتى . والحقيقة أنه من مقتضى الصلاح اعتبار الموتى مقدسين . ومن العدل احترام ذكرى من فارقوا العالم . ومن السياسة ألا تكون البغضاء لا نهاية لها . وقد نهى صولون عن اذاء أى شخص في الهياكل والمحاكم والمجتمعات والملاعب . وجعل على من يتعرف ذلك غرامة قدرها خمسة دراهمات . يدفع منها ثلاثة للمعتدى عليه واثنان للخزنة العمومية . من علامات سوء التربية وفساد الخلق ان يتهدد الانسان في كل وقت كما انه من الصعب ان يمتلك الانسان نفسه وقد يكون ذلك محالا على البعض فواجب القانون أن يحرم الشاسع من الاخطاء اذا اراد أن يجعل بين عقاب البعض مثالا صالحا للغير لا ان يكثر العقاب على غير جدوى

مما يثني عليه أيضا قانونه في الوصية . لم يكن حق الوصية معروفا قبل صولون . كانت جميع أموال الميت تبقى في عائلته . ولكن صولون أباح لمن لم يرزقوا أولادا ان يتصرفوا على ما يشاءون مفضلا الصداقة على القربى وحرية الاختيار على الإكراه . و اراد بذلك أن يكون الانسان حراً حقيقة في املاكه ولكنه جعل لذلك حدا . لم يبيح الهبات على الاطلاق بل اباح ما يوصى به منها في حرية تامة لا تحت تأثير الامراض ولا المشروبات ولا سوء القصد لا الاكراه ولا تحت تأثير اغراء امرأة وكان رأيه وله الحق ان لا يفرق بين مخالفة القانون

الغنيمة وبين التفرير من مساويين الاحتيال والاعتصاب . وبين الالم والشهوة باعتبارها اسبابا تدفع الانسان عن جادة الصواب

وسن للنساء شرائع في رحلاتهن وحدادهن وما يقدمن من القرابين . عاب عليهن تبرجهن وفوضاهن وحرم عليهن الخروج من المدينة بأكثر من ثلاثة أبواب وألا يحمان مؤونة بأكثر من « فلس » (١) وألا يكون لهن سلة أطول من ذراع وألا يسرن ليلا إلا في عربات تنقلها المشاعل . والايشوهن وجوههن . وألا ينشدن اشعاراً في النذب أو يصرخن وراء جنازة إذا لم يكن الميت من ذوى قرباهن . وألا يضحين ثوراً على القبر . وألا يدفن مع الميت أكثر من ثلاث بذلات . وألا يذهبن الى مدافن عائلات اخرى الا يوم الدفن . ونهاهن عن كل ما لا يزال منهياً عنه في شرائعنا . ويقال ايضاً إن الذين يخالفون هذه القوانين يحكم عليهم الحكام المخصصون لمراقبة النساء باعتبارهم رجالاً مخنثين يستسلمون في احزانهم لكل مافى المرأة من ضعف

كانت أئدنا تزداد بالسكان يوماً بعد يوم ، ممن ينحدرون اليها من الخارج منجذبين بما كانت تتمتع به أتيكا من الحرية . لكن قسماً كبيراً من الاراضى كان قاحلاً وعقياً . وتجار الواردات البحرية لا يقدمون عادة شيئاً لمن لا يعرضهم منها . فوجه صولون صناعة الوطنيين الى الفنون وأصدر قانوناً يعفى الابن من إقانة والده إذا لم يكن قد علمه صناعة . إن ليكورجوس الذى كان يسكن مدينة غير مزدهرة بالاجانب وكان تحت تصرفه مساحات كبيرة من الاراضى لا تكفى لتكوين شعب كبير فقط بل تكفى توين ضعف عدده . كما قال أوديبديد: ليكورجوس الذى كن يحيط به جماعات من الهيلوت ( الهيلوزين الرقيق ) لم يسمح لهم بالبطالة بل كان يكرهم على العمل المستمر . كان على حق في تحريره على الوطنيين تناول جميع الصناعات الحقيرة أو المستأجرة . وأن يبقوهم على الدوام تحت السلاح

١ الفلس سدس الدرهم وهو تساوى ١٥ سنتيم

وَألا يدرهم الا على صناعة الحرب . ولكن صولون الذى كان يطبق القانون على الحال لا الحال على القانون كان يرى أن البلاد فقيرة بطبيعتها وانها لا تكاد تكفى لتغذية المزارعين ولم يكن فى وسعه تغذية مدينة عاصمة لذلك عمد الى اعلاء قدر الصناعات وعهد الى مجلس الحكم فى البحث عن موارد كل وطنى ومعاينة العاطلين .

وهناك شريعة أبلغ فى الشدة وهى على ما قال هيراكليد البنطى اعفاء أولاد المحظية من واجب اعالة والدهم . والحقيقة ان الذين لا يراعون واجب الزواج ويميلون الى غير زوجاتهم لا يقصدون إيجاد نسل بل يندفعون الى ذلك بعامل الشهوة فقط . فهم بذلك الحرمان يلاقون جزاءهم . وهم يحرمون كل حق فى الساطة على أولاد من العار وجودهم

ويمكن القول بوجه عام إن ما شرعه صولون عن البغاء جاء متضاربا . مثال ذلك انه أباح قتل من يؤخذ متلبسا بجريمة الزنا أما الذى يختطف امرأة حرة ويغتصبها فلا يحكم عليه الا بغرامة مائة دراخمة وإذا ابتذلها الخاطف لا يدفع سوى عشرين دراخمة . هذا اذا لم تكن من اللاتى يعرضن علانية . أى محظيات (مومسات) وتسلمن أنفسهن بلا حياء الى أول من ينقدهن . وهى صولون عن بيع الابنة والاخت اذا لم تؤخذ بجريمة قبل الزواج . فمن التعسف ان تعاقب الجريمة الواحدة تارة بشد عقاب وأخرى بتساهل كبير أو جعلته لعبة لا عقاب عليها سوى غرامة طفيفة .

ومع كل فان قلة الاموال النقدية فى اثينا وصعوبة الحصول عليها تجعل الغرامات المالية باهظة . فقد جعل صولون فى تقديره نفقات الضحايا سعر الحروف والدراخمة والمدين من القمح واحدا . ينال الفائز فى الالعب البرزخية حسب شريعته مائة دراخمة والفائز فى الالعب الاولمبية خمسمائة ويمنح من يحضر ذئبا خمس دراهمات . وإذا كانت ذئبة دراخمة واحدة . ويقول ديمتريوس الفايى أن ثمن

الخروف خمس دراهمات . وقدرت أثمان الضحايا الفضلى في اللوحة السادسة عشرة من قوانين صولون تقديرا غاليا وليكنها لا تذكر في جانب أثمانها اليوم .

والاثينيون من قديم الزمن يطاردون الذئاب لان بلاد اتيكا صالحة لتربية القطعان أكثر منها لزراعة القمح . ويتول البعض ان قبائل اثينا لم تتخذ لنفسها أسماء من ابناء « ايون » بل اتخذتها من ضروب الحياة التي قسمت الالهة الى طبقات . دعى رجال الحرب « هوربايت » ورجال الصناعة « ارجاد » ثم طبقا للفلاحين « جيويونت » والرعاة « اجيكور » وليس في اتيكا أنهار لا تنضب بل قليل من البحيرات والينابيع ولا توجد المياه الا في الآبار التي تحفر بالأيدي فشرع صولون قانونا يبيح لمن لا يبعدون عن بشر عمومية سوى مسافة شوط جواد اى أربعة استاد ان يأخذوا منها ماءهم أما اذا كانوا بعيدين عنها بمسافة اطول وجب عليهم ان يجدوا الماء في اراضيهم . واذا احتفروا الى عمق عشرة براس (١) ولم يجدوا ماء حق لهم ان يأخذوا ماءهم من البئر الاقرب اليهم يملئون منها كل يوم مرتين جرة تسع ستة كوفجات (٢) رأى صولون من العدل أن يسد الحاجة دون ان يعين على الكسل

ثم حدد تحديد خبير المسافات التي تجب مراعاتها في الزرع فجعل غرس الاشجار العادية على مسافة خمسة اقدام من الحقل المجاور . اما اشجار التين والزيتون فيجب ابعادها الى تسع اقدام لانها تنمو على مسافات بعيدة من جذوعها ولا يلائم جوارها كل غرس . فمنها ما تمتص غذاءها ومنها ما يضر بها . واذا أريد احتفار حفرة او حفيرة وجب حسب شريعته ان تكون المسافة بينها وبين الجار مساوية لعمق الحفرة . ولا يجوز وضع خلايا نحل الا على مدى ثلثمائة قدم من المكان الذي اودعت فيه سواها

ولم يبيح صولون بيع شيء من الحاصلات الالهية للاجانب سوى الزيت

وحرم بيع ما عداه وكلف الحاكم ان يعلن الخدم ضد كل من يخالف هذا القانون  
والا جوزى هو ذاته بدفع غرامة قدرها مائة دراهمة للخزانة العامة . ورد هذا  
القانون في اولى لوحات قوانينه . وعليه لا يكون بعيداً عن الصدق قولهم ان  
تصدير النين كان محرماً وانه كان يطلق على من يستبيحون ذلك لقب  
« سيكوفانتى » واش بالتين (١)

وقد عني بتحديد تعويض الخسائر والاضرار التي تحدثها الحيوانات فكل  
كلب عض آخر وجب على صاحبه ان يسلمه الى العضوض وفي عنقه عصا طولها  
اربعة أذرع وهذا احتياط حسن لمنع الاعتداء .

ولم اتبين حقيقة المعنى المراد بقانونه الخاص بحقوق المدينة . ان الذين  
يستطيعون ان يعدو وطنيين هم المنفيون نفياً مؤبداً من بلادهم او الباقون للسكنى  
فى ائتنا مع عيالاتهم يشتغلون بصناعة . واياك ما يقولونه فى تأويل هذا القانون  
ان صولون لم يرد إبعاد الاجانب بل بالعكس اراد اجتذابهم الى ائتنا باقناعهم  
اقناعاً أكيدا انهم يصيرون وطنيين . فالذين دعاهم اولى الناس بالثقة البعض لانه  
أكره على ترك وطنه بلا أمل فى العودة اليه . والبعض لانه ترك وطنه مختاراً  
وما اختص به صولون فى تشريعه إنشاء ولائم على نفقة الجمهور ونهى ان يحضرها  
الشخص مراراً ووضع غرامة على من يمتنع عن حضورها بدورته لان فى عمل  
الاول شراهة وفى عمل الثانى مخالفة للعادات العامة .

وقد حدد صولون لبقاء شرائعه نافذة مائة سنة وقد كتبت على اضابير  
(ملفات) من الخشب فى شكل محاور تدور فى براويز علقت بها ولا يزال بعضها  
محفوظاً فى « البريتانه »

١ « سيكوفانتى » واش بالتين وقد تحولت هذه الكلمة فصارت مرادفة لافولهم  
واش ونام

وقد أقسم المجلس بمينا مشتركة على المحافظة على قوانين صولون وأقسم كل حاكم بالقرب صخرة الخطابة متعهدا أنه إذا خالف أحد نصوصها يقدم الى هيكل دلف تمثالا من الذهب يزن ثقله .

وقد لاحظ صولون عدم مساواة الشهور وان حركة القمر لا تتفق مع شروق الشمس ولا مع غروبها . وأنه غالبا يبلغ وتتقدم الشمس في يوم واحد وأطلق على هذا اليوم « عشية القمر الجديد » وأضاف الى الشهر المنتهى ، جزء اليوم الذى ينتهى قبل الالتحاق ودعا والجزء الذى يلى الشهر المبتدىء . فصولون فى عرفى هو أول من أدرك قول هوويروس عند ما ينتهى الشهر ، عند ما يبتدىء الشهر

#### « الاوديسة »

دعا اليوم الثانى « نيومانى » القمر الجديد . ولكن كنه كان يحسب الايام ابتداء من عشرين لا بالاضافة بل بالطرح متتبعا تطور القمر الى اليوم الثلاثين من الشهر . وإذا تم نشر هذه الشرائع ازدحم الناس على صولون يثنون عليه وينتقدونه ويطلبون زيادة أو حذفاً على ما يشتهون وكثير عدد من يستفسرون معانيها وكيف يفهمونها وكان من الغباوة أن يرفض طلبهم كما انه رأى فى الاجابة عليها استشارة للحسد ، فاجتنابا لهذه الصعاب اراد أن ينجو بنفسه من هذه المشاق وهذه الشكوى لانه كما قال

« من الصعب فى الاعمال العمومية ارضاء جميع الناس »

فطلب من الاثينيين إجازة عشر سنوات وأبحر بحجة الرغبة فى الإبحار بجرأ ، أملاً أن يكون هذا الوقت كفاً لاعتياد الناس شرائعه

ذهب أولاً الى مصر حيث أقام كما قال زمناطويلا على ناحية من النيل بالقرب من شواطئ « كانوب » وكان يكثر من المحادثات الفلسفية مع « تسانوفيس » ( من عين شمس ) و « سونيسن » ( الصاوى ) اكبر علماء الكهنة . ومنهم على

ما قال افلاطون سمع حكاية « اتلاتيد » (١) التي أراد ان ينظمها شعراً  
ليطلع عليها اليونانيون

ومن هناك ذهب الى قبرص حيث صار صديق « فيلوسيبروس » أحد ملوك  
الجزيرة وكان يسكن مدينة أنشأها « داموفون » بن « فيزيوس » على مقربة من  
نهر كلاريوس . وكان المكان حصينا الا انه واقع فوق أرض قاحلة عقيم فأقنع  
صولون انك ان ينقل المدينة الى سهل خصب وان يكبر من شأنها بتوفير أسباب  
الراحة فيها . وقد ساعد في بنائها وتجهيزها بكل ما يلزم لزيادة خصبها وطأ نينتها  
فزاد عدد سكان المدينة حتى حسده الملوك المجاورون له . واعترفا بفضل صولون  
دعا المدينة « صولي » بعد ان كان يدعوها « ايبيا » . ذكر صولون هذا في قصائده  
فقال مخاطباً فيلوسيبروس :

بقي حكمك أنت وخلفائك في صولي سنوات عديدة مطمئنين سامين

أما أنا الذي سيبعدني من كبي السريع عن هذه الجزيرة السعيدة

ففي جي سيريس ذات التاج البنفسجي

لتجزني الآلهة على بناء هذه « المدينة » شكراً شديداً

وشهرة أعود بها الى وطني .

يرى البعض تناقضا فيما روى عند مقابلته مع كرازوس ويزعمون انه مخطأ ضد  
التاريخ أما رأي انا فان حادثته شهيرة تؤيدها شهادات الكثيرين وهي اشبه باخلاق  
صولون حقيقة بما طبع عليه من عظمة نفسية وحكمة مما لا يجوز رفضه بحجة عدم  
اتفاقها مع هذا الجدول التاريخي اذ انك . متى عرفنا ان الوفا من العلماء بدلوا ولا  
يزالون يبدلون حتى اليوم هذه الجداول التاريخية ولم يصلوا بعد الى التوفيق بين  
متناقضاتها . أما الحادثة فهي : ذهب صولون الى « سارد » بناء على دعوة  
كرازوس فكان هناك أشبه بالرجل الذي رأى البحر لأول مرة؛ يحسب كل ما صادفه

١ - اتلاتيد ، جزيرة اوقارة ابتاعها الميام ولعلها غرقت في البحر الاطلانتيقي  
دواية مشهورة في المصور القديم . هل هي أميركا او جزائر فورتيق



من الانهار بحراً ؛ كذلك صولون عند ما دخل أقسام القصر ورأى حاشية الملك  
أكل في ثياب فخمة يحيط به الخدم والحرس فظن كلا منهم كرازيوس وأخير اوصل  
الى الملك وكان هذا قد تحلى في ذلك اليوم بأغلى وأفخر جواهره وأثمن وأبهج ثيابه  
مقلدا حلاه الذهبية متقنة الصنع ليظهر أمام صالون في أحلى وأبهى هندام . ولكن  
صولون بالرغم مما كان يتوقعه الملك لم يبد عليه شيء من الدهشة ولا التعجب ،  
وقد أدرك عليه أصحاب النظر احتقاره هذه الفخفة والصغار وحينئذ أمر كرازيوس  
ان يطلعه على خزائنه وان يبسط أمامه جلال وفخامة ريشه ولكن صولون لم يكن  
في حاجة لذلك ليحكم على كرازيوس . كفى أنه رآه . أعيد صولون الى حضرة  
كرازيوس بعد ان شاهد كل شيء فسأله الملك هل يعرف أحدا أسعد منه حالا ؟  
فأجابه صولون « نعم ذلك تللوس الاثيني تللوس الذي عاش رجل خير وترك أبناء  
محترمين من الجميع وبعد ان قضى حياته لا يعوزه شيء مات مجيدا وهو يدافع عن  
وطنه » . فلم يركر ازيوس فيمن لا يقيس السعادة بالذهب والفضة ويفضل حياة  
وهوت رجل عامى على هذا الملك العظيم ، سوى رجل بليد جاف الطبع . على انه  
سأله ثانية هل تعرف رجلا بعد تللوس أوفر حظا منه فأجابه صولون « عرفت  
كليوبيس وبيتون وهما أخوان شديدا الحب لبعضهما ولا يقل حبهما والديهما عن  
حبهما لانفسهما . وحدث ذات يوم ان تأخرت الثيران فعلق الولدان النير في عنقهما  
وجرا عربة والديهما الى هيكل جينون فأنشراح صدر الوالدة واقبل الناس بهنثوما  
بان لها أولادا كهؤلاء ولكن الاخوين بعد التقدمة والوليمة ذهب ايناما فناما وولكنهما  
لم يستيقظا في الغد اذ ماتا ميتة هادئة لا ألم فيها »

فرغ صبر كرازيوس وصاح ماذا ! ألا تحسبني بين السعداء ؟ فأجابه ولم يرد  
ان يملقه ولا أن يزيده غضباً « ياملك اللذين ! لقد رزقنا الالهة نحن الاغريق  
من كل شيء مقداراً وسطاً لاسيما حكمتنا فانها ثابتة ساذجة أى عامية ليس فيها  
شيء ملكي وجليل ، وميزتها هى هذه الحالة الوسط وهذه الحكمة التى ترينا

حياة الانسان عرضة دائماً للقلق والاضطرابات لا تسمح لنا أن نرهي بما نملك من عقار ولا أن نعجب في سوانا برفاهة يزيلها الدهر ، فما من رجل لا يرميه المستقبل بألوف من الحوادث لم تخطر له على بال . فمن جعلت الالهة حياته كلها حتى النهاية متاع سعادة فهو حقيق في نظرنا بأن يعد سعيداً . اما الانسان الذي لا يزال على قيد الحياة عرضة لجميع مخاطرها فلا يمكن أن نضمن له سعادته لبعدها عن مقدور دإكليل النصر عن لا يزال في حلية السباق »

أحزنت هذه الكلمات كرازيوس ولكنها لم تصلح شيئاً من خلقه وأنسحب صولون .

كان « ايزوب » مؤلف القصص الخرافية حين ذاك في سارد حيث استقدمه كرازيوس وأكرمه . ساءه مالقى صولون من عدم الرعاية فقال له ناصحاً « يا صولون اما أن لا تقترب من الملوك أو أن لا تقول لهم غير ما يرضى » فقال « الاولى أن تقول لا تترهبهم أو لا تقل لهم غير ما يفيد »

أما كرازيوس فأنطوى على احتقار بغض لصولون ولكنه عندما قهره « سيروس » واستولى على سارد وأمر بحرقه حياً وحىء به موثق اليدين أمام النار في حضرة « سيروس » ورجال الفرس . رفع كرازيوس صوته وصاح بكل قواه هلاًئلاً « صولون ! » دهش سيروس وأرسل يستعلم عن ذلك الانسان أو الاله المدعو صولون الذي استغاث به في أشد محنة لم يخف كرازيوس الحقيقة فقال « انه احد حكماء اليونان استقدمته للاستماع اليه ولا لاتعلم منه ما كنت في حاجة الى تعلمه بل ايشهد عظمتي ويشيد بسعادتي في جميع انحاء اليونان ، تلك السعادة التي اجتلب على ضياعها من الالم مالم يستطع وجودها ان يذيقني من السرور . ولم أكن اتزوق حين ذاك سوى سعادة وهمية ولكن انقلاب القدر التي بي في مصائب محسوسة حقيقية لاشفاء منها . تنبأ بذلك لما رأي عليه ، مما اتألم منه الآن . وانذرتني بوجوب الاهتمام لنهاية عمري والا

استرسل مع هوى الكبرياء وألا أثق بهذه السعادة المزعجة ،  
ولما نقل هذا الجواب الى سيروس وكان أوفر حكمة من كرازوس  
ورأى بعينه كلمات صولون محققة لم يكتف باطلاق سراح كرازوس بل  
أحسن معاملته طول حياته فكان من فخر صولون ان اقد حياة ملك ونصح  
آخر نصيحة حكيمة بعبارة واحدة

على أن غياب صولون أعاد اثينا الى ما كانت عليه من الفتن . اجتمع  
سكان السهل تحت قيادة ليكورجوس ، وسكن الساحل تحت قيادة ماجكاسن  
بن الكيميون وسكن الجبل تحت قيادة بيزستراتس وانضم الى هؤلاء أخلاط  
المرتزقة أعداء الاغنياء . حقيقة إن المدينة كانت لاتزال سائرة على شرائع  
صولون ولكن الجميع كانوا يتوقعون ثروة ويتوقفون الى حكومة جديدة وليس  
ذاك لان حزبا من هذه الاحزاب يريد إقامة العدل بل لان كلامنها كان  
يأمل الاستفادة من التغيير والتحكم من السيادة وحده على الآخرين . هذه حالة  
اثينا عند عودة صولون اليها . استقبله الجميع باحترام واکرام . واذا كانت سنة  
لم تعد تسمح له بالعمل والخطابة بين الجمهور فكان يجتمع بالزعماء ويوفق ما بينهم  
ويصالح ذات بينهم جهد المستطاع وكان بيزاسترس أدنى الى رضا صولون لما  
كان في كلامه مما يغري ويمطف ، وكان عونا للفقراء لطيفاً ومعتدلاً نحو أعدائه  
وكان يجيد تقاليد ما حرمته الطبيعة من الخلال ، بحيث يظنها الناس اعلى بقلبه  
من فطروا اعلمها لذلك اشتهر بالحشمة والرزانة والغيرة على العدل والمساواة ،  
عدول كل من يريد تعديلاً أو تصبوا نفسه الى ثروة . وكان هذا المظهر المتكاف  
يكبر شأنه بين الشعب ولكن صولون عرف حقيقته وتبين أغراضه فلم يقطع  
صلته معه بل حاول تدمير اخلاقه ورده بنصائحه وكان يقول له وللآخرين « لو  
أمكن أن تنتزع من نفسه هذه المطامع الكبيرة وشفأؤه من شهوة الحكم  
المطلق لما كان في اثينا رجل أليق منه بالفضيلة ولا أوفى منه وطينة »

وفي ذلك الوقت « كان تيسبيس » قد غير نظام المآسي ( الروايات ) وكانت جدة المشهد تجتذب الناس ؛ ولم تكن مسابقة الشعراء لاكتساب الجوائز قد نظمت بعد . كان صولون وهو بطبيعة طاعة وقد مال في شيخوخته الى التلهي واللعب والولائم الرسمية والموسيقى فذهب لسماع « تيسبيس » الذي كان يمثل كشعراء ذلك الزمن رواياته بنفسه فدعاه بعد نهاية الرواية وسأله ألا يخجل من حكاية أكاذيب جسيمة كهذه امام الجمهور فقال تيسبيس لا بأس ولا ضرر من كلامه وعمله . انما ( الروايات ) لعب . فقال صولون وهو يضرب الأرض بعصاه « نعم ولكن اذا كنا نتألم ويحتمل اللعب أو نستصوبه فانا نجد الحقيقة في اعمالنا الجديدة .

حدث بعد ذلك ان جرح بيزستراتس نفسه وأمر فحمل الى الساحة العمومية حيث أثار الجمهور بابلاغه ان اعداءه هم الذين غدروا به عقابا له عما أداه من الخدم للجمهورية . وبينما الشعب كان يعلن استيائه بصرخات متوالية . دنا صولون من بيزستراتس وقال له « يا ابن هيبوكرات ! انت لا تحسن تمثيل عولس ( في قصائد هوميروس ) جرح نفسه ليخدع اعداءه وأنت تجرح نفسك انخدع مواطنيك »

وقد استعد الشعب للقتال تمضيذاً لبيزستراتس فعقد جلسة عمومية اقترح فيها « اريستون » ان يعطى بيزستراتس خمسون رجلا لحماية شخصية ولكن صولون عارض هذا الاقتراح بكل شدة ولا يزال شيء من خطبته هذه في قصائده « انكم لا ترون سوى لسان وكلمات رجل محتال

.....  
يمشي كل منكم في مصالحه مشية الثعالب :

والكنسكم حتى اجتمعتم صرتم قطيعا غبيا .

واذا رأى الفقراء ينضمون الى بيزستراتس في ثورة وهياج ورأى الاغنياء

يهربون وجلا انسحب هو أيضاً وهو يقول « أنى أعتل من الفقراء الذين لم يروا خديعة بيزيستراتس وأجراً من الأغنياء الذين رأوا الخديعة ولكنهم لم يجسروا على مقاومة الظلم »

ولما وافق الشعب على ذلك القرار لم يغن صولون بمضايقة بيزيستراتس في عدد رجال الحرس الذين يعطون له وتركه يأخذ منهم من شاء على ان يدافع أجراً وابتهى الأمر بيزيستراتس ان استولى على القلعة .

انتهمز ميخاكاس فرصة الاضطراب الذي أحدثه هذا المشروع فأسرع بالهرب هو والالكيمونيدون . أما صولون فبإرغام من شيخوخته وبالرغم من عزلته فتمد تقدم الى الساحة العمومية ووجع الاثنينين على سوء تصرفهم وندالتهم وحثوا على ان لا يخونوا الحرية . وفي هذا الموقف قال بكلمته المشهورة « كان من السهل قتل الاستبداد في مهده اما وقد استفحل أمره فمن العظمة والمجد ان يقضى عليه »

ولما رأى أن الخوف استولى على الجميع وأنه ليس من أحد يصغى اليه رجع الى بيته وأخذ أسلحته ووضعها في الطريق أمام بابه وهو يقول « لقد دافعت جهدى عن الوطن وشرائعه » وعاش من ذاك الحين مطمئناً . وقد نصح له أصدقاؤه ان يهرب فلم يصغ لنصائحهم . ثم أخذ ينظم القصائد يعدد بها أخطاء الاثنينين

لئن عاينتم الشقاء لندالتكم

فلا تلوموا الآلهة في مصائبكم

أنتم الذين أكبرتم شأن أولئك الرجال بما قدمتم لهم من عضد

وهذا سبب ما بالقانون من استعباد مخجل .

على ان الناس لم يكفوا عن تحذيره من أن الطاغية قد تتلبه . وسئل يوماً علام يعتمد في جرأته فاجابهم « على شيخوختي » . فكانوا مخطئين ذلك أنه

مذ صار بيزيسترانس السيد المطلق في أثينا لم يقصر في احترام ورعاية صولون وكثيراً ما كان يستدعيه اليه حتى صار مستشاره وكثيراً كان يستصوب بعض أعماله . والواقع ان بيزيسترانس كان يقيم جميع شرائع صولون يبدأ بتطبيقها على نفسه ويخضع لها وأصحابه طائعين أو غير طائعين . اتهم مرة بالقتل فمثل أمام مجلس القضاة وتقدم في تواضع مع انه الحاكم المطلق لتبرئة نفسه . ولكن المدعى استرد شكواه . وقد وضع من عندياته بعض الشرائع منها القانون الخاص بتغذية مقعدي الحرب على حساب الدولة . ولكن هيراكليد يقول ان صولون أصدر مرسوماً كهذا بشأن تيرسييد عند ما جرح ولم يكن بيزيسترانس سوى متلد له في ذلك . ويعزو تيوفراست قانون ضد العاطلين الى بيزيسترانس لا الى صولون . ذلك القانون الذي أعان على الاشتغال بالزراعة واسعاد حال أثينا

ثم شرع صول في نظم قصة الاطلانطيد التي رواها له حكماء سائس ( صان الحجر ) وكان الاغريق يهتمون بها . ولكنه عدل عن ذلك لا كما قال أفلاطون للاشتغال بغيرها بل لكبر سنه لانه كان يعيل للراحة كما قال عن نفسه « كبرت وأنا أستزيد من العلم » ثم قوله « ان ما أحبه الآن هو عطايا سيبيريس وباخوس والهة الشعر

هذه هي العطايا التي تجعل الانسان سعيداً »

وضع أفلاطون يده على موضوع الاطلانطيد كأنه أرض جيدة مهجورة آلت اليه بحق الارث (١) . ورأى من الشرف ان يتمه وان يجمه . فهدله بمقدمة فخمة ، وأحاطه بسياج فسيح لم يسبق ان عرف مثله في حكاية أوقصيدة . ولكن الموت عاجله فمات ولم ينجزها فعلى قدر ما يسر الانسان بمطالعة ما كتب منها يكون حزنه على ما لم يكتب . لم يبق غير كامل في أثينا سوى هيكل جوبتير الاولبي كذلك لم يبق دون الكمال من مؤلفات أفلاطون سوى قصة الاطلانطيد

قال هيراكليس ان صولون عاش طويلا بعد اغتصاب يزيستراتس الحكم  
ولكن فانياس الايريزي يقول انه لم تمض عليه سنتان ، لان اعتداء يزيستراتس  
على الحكم وقع في عهد الحاكم كومياس وقد توفي صولون حسب أقوال فانياس  
في عهد الحاكم هييجسترات خلف كومياس . اما القول بان رماد جثة صولون ذرى  
في مهب رياح جزيرة سالامين فمن أسخف وأكذب الاقوال ولو انه ورد في  
مؤلفات بعض من يوثق بهم حتى الفيلسوف ارسطو .

## بو بليكو لا

بلغ أوج مجده سنة ٥٥٩ ق . م .

تقد عرفت صولون وسنقابل بينه وبين بو بليكو لا (١) وقد منحه الشعب الروماني هذا اللقب الشريف وكان اسمه قبلا بو بليوس فالاريوس والمعروف انه من سلالة فالاريوس الذي أصلح فيما مضى ذات البين بين الرومانيين والسايين وجعلهما شعباً واحداً . لانه هو الذي حمل الملكين على الاجتماع وعقد الصلح . هذه أسرة فالاريوس على مارواه الراون وقد امتاز في الزمن الذي كانت فيه روما تحت حكم الملوك بفصاحته وثروته استخدم الخلة الاولى بحق وصراحة للدفاع عن العدالة واستخدم الثانية بسخاء وعطف لمساعدة المحتاجين لذلك رأى الناس من أول عهده انه اذا كانت الحكومة قد صارت شعبية فلنا لاريوس الفضل الاول في ذلك .

لم يصل تاركان ( لاسويرب ) ( المعخم ) الى الملكية بطريق شريف بل داس الشرائع السماوية والانسانية ولم يستعمل سلطته الملكية بما يليق بالملوك من الاعتدال بل استعمل العنف والاستبداد فاستفظة الشعب ولم يبق له صبر على احتماله ثم جاءت حمادة موت لوكريس فكانت سببا لثورة عامة . ذلك ان لوكريس لما رأت ان شرفها قد امتحن قتلت نفسها بيدها . رأى لوسيوس بروتوس ان يغير شكل الحكومة وأفضى بذلك الى فالاريوس فوجد فيه عضداً قويا . وقد تمكن باتحاده معه من طرد الملوك . لزم فالاريوس الحيدة عند ما كان المظنون ان الرومانيين سيعينون بدلا من الملك ، قائداً وحيداً ، اعتقاداً منه ان الحكم يرجع بمقتضى العدل الى بروتوس بصفته أول من أوجد الحرية ولكن الشعب كان قد



كره كلمة « ملك » ومال الى الرغبة في تقسيم الحكم وطلب تعيين اثنين فوهم فالاريوس انه سيكون شريك بروتوس ولكنه خدع في وهمه . لان بروتوس بالرغم من ارادته اضطر لقبول تاركان كوبلاتان زوج لوكريس بدلا من فالاريوس ؛ لان ذلك أكثر جدارة من هذا بل لان رؤساء المدينة خشوا حيل الملوك وما يدبرون من وسائل لاستئالة الشعب فارادوا رئيساً يكون من الد أعداء الملوك لا يثنيه شيء

استاء فالاريوس لان الشعب لم يعتقد انه قادر ان يعمل كل شيء لمصلحة وطنه لانه لم يصب شخصا بأذى من الملوك ، فامتنع من الذهاب الى مجلس الشيوخ وعدل عن مهنة المحاماة وانسحب كلية من أعمال الحكومة . قلق الشعب وخشى ان يحمله استياءه الى المؤامرة مع الملوك فيطلب الجمهورية التي لم تثبت دعائها بعد . ولكن عند ما اقترح بروتوس الذي كان يخشى اناسا غير فالاريوس على المجلس حلف اليمين على الضحايا وعين يوما للحلف . نزل فالاريوس الى الساحة العمومية بنفس راضية وكان أول من أقسم انه ان يصفح وان يشلم الى تاركان بل انه بالعكس من ذلك يضار به بكل مافي وسعه دفاعا عن الحرية . بذلك سر المجلس وشجع القناصل ثم جاءت أعماله بعد ذلك مؤيدة لذلك القسم . أرسل تاركان الى روما رسلا تحمل رسائل كابا تماق ومداهنة للشعب تعرض مطالب متواضعة جدا مفرغة في أسلوب يجتذب الجماهير — قائلا ان الملك قد تجرد من كبريائه ولا يطلب سوى مطالب معتدلة وقد قبل القناصل ان يخاطب أولئك الرسل الشعب . ولكن فالاريوس عارض ذلك قائلا . لا يجب ان تعطى اناس فقراء يخشون الحرب أكثر مما يخشون الظلم فرصة وأسباب للاتقاض .

حدث بعد ذلك بقليل ان صرح رسل جدد من قبل تاركان بأنه عدل عن الرغبة في الملكية وانقطع عن محاربة الرومانيين وانه لا يريد سوى ان ترد اليه أمواله وأهلا كه له ولأهله وصحبه ليمتكنوا من العيش في منقاهم . وكان أغلب

اعضاء مجلس الشيوخ ميالين الى منحة ما أراد . وقد عضد كولاتن طلبه بنوع خاص . ولا كن بروتوس وهو رجل صلب العود لا يبقى غضبه على شىء أسرع الى الساحة العمومية ودعا زميله خائنا يريد ان يقدم لآل تاركان الوسائل التى تمكنهم من موالاة الحرب واقامة الظلم والاستبداد . أولئك الذين لا يستحقون ان يعطوا ما يحتاجون اليه للعيش فى منقاهم . اجتمع الوطنيون ونهض من بينهم كايوس مينيسيوس وحث بروتوس والرومانيين على عمل مامن شأنه استخدام هذه الاموال لمحاربة المستبدين لا ان يستخدمها المستبدون لمحاربتهم هم (الرومانين) ولكن الرومانيين قرروا مع ذلك ما يأتى : بما انهم ينعمون بالحرية التى شرعوا السيوف من أجلها فلا يجب ان نجعل الاموال عقبة فى سبيل السلام بل ابعادها خارج روما هى المستبدين . على ان الاموال لم تكن غرض تاركان ولم يقصد بطلبه سوى سبرغور الشعب وتدير مؤامرة ، والحقيقة ان المؤامرة هى الغاية التى كان يعمل لها رسله وما كانت أموال الملك سوى وسيلة يتذرعون بها لاطالة مدة اقامتهم فى روما . يعملون متمهين تارة فى بيع هذا وأخرى فى صيانة ذاك وترحيل غيره وبلايجاز كان لهم من الوقت مامكنهم من اغواء اثنتين من أسرى روما الكبرى ذات المقام الاول . الاولى أسرة اكيابيوس ومنها ثلاثة شيوخ والثانية أسرة فيتاليوس ولها فى مجلس الشيوخ شيخان وكان لهؤلاء صلة قرابة مع بروتوس لانه زوج أختهم وله منها أولاد عدة .

كان ابروتوس ، ولدان فى ريعان الصبا تمكن آل فيتاليوس وهم أقاربه واصدقؤه من استهواهم فانضما الى المؤامرة منجذبين اليها بان يكون لهما عهد مع آل تاركان وهى اسرة كبيرة يحدد معها ما يرضى رغباتهم ارضاء ملكيا ويتخلصون من سيطرة والدقاس بليد . وكانوا يدعون شدته على الاشرار قسوة وكانوا يدعون ما كان يتظاهر به من الاستكانة حرصاً على الطمأنينة واتقاء شر المستبدين فى بلاده ، على أنه لم يأت أن يطلق على نفسه هذا اللقب

(لأن كلمة بروتوس معناها في الحقيقة جامد بليد) ولما انضم هذان الشابان الى المتآمرين اتفقا مع آل اكيلوس . تعاهد المتآمرون فيما بينهم بقسم خطير . فقد شربوا دماء رجل ذبحوه واضعين أيديهم على الاحشاء وكان اجتماعهم في منزل اكيلوس وكان المنزل الذي جرت فيه هذه المأساة يليق بها لابتعاده ، ولما كان يخيم عليه من ظلام ولم يلاحظوا أن عبداً يدعى فاندسيوس كان مختبئاً هناك . ولم يكن اختبائه عن رغبة في المراقبة ولا انه كان يتوقع حدوث شيء مما قصدوا له ، ولكنه كان في البيت صدقة ورأى المتآمرين يدخلون اليه دفعة واحدة فلم يجسر على الظهور فاختفى خلف خزانة كبيرة فشهد كل ما عملوا وسمع كل ما قالوا فتقرر في الجلسة قتل القنصلين وكتبوا الى تاركان رسائل تعلمه بجميع خططهم وسلموها الى الرسل لان ذلك المنزل كان مسكنهم لانهم كانوا ضيوف اكيلوس وقد حضروا الاجتماع .

لما انتهى الامر وانصرف المآمرون خرج « فاندسيوس » من المنزل خفية لا يدرى لما يعمل بما أهده الصدقة الى اكتشافه . ساورته الافكار واختلط عليه الامر . رأى في الافضاء الى بروتوس بخيانة أيبند والى كولاتان بخيانة اقاربه خطراً وأى خطر . ثم انه لم يرب في روماء رجلاً يمكن أن يعهد اليه هذا السر على أنه لم يستطع كتمان هذا الحادث . وأخيراً اشتد عليه وخز ضميره فاسرع الى فالاريوس حماله على ذلك ما يعرفه عنه من الدعة والانسانية وسهولة استقباله كل انسان حتى الوضعاء اذ كان بيته مفتوحاً على الدوام لا يترفع عن الاهتمام بشئون الآخرين والعناية بمحاجاتهم قابله فاندسيوس وروى له أمام زوجته وأخيه ماركوس فالاريوس كل ما شاهدته وسمعه . استولت الدهشة والرعب على فالاريوس فاعتقل العبد وحبسه في غرفة وترك حراسة باب البيت الى زوجته وعهد الى أخيه أن يحاصر قصر الملك بحيث يضبط الرسائل وأن تبقى الخدم تحت حراسة شديدة . اما هو فذهب في جماعة من عملائه

وأصحابه الذين لم يكونوا يفارقونه وأخذ معه خدمه العديدين وقصد الجميع منزل آل إكيلوس فلم يجدهم هناك واذ لم يكن أحد في انتظاره دخل المنزل بلا عائق ووجد الرسائل في مسكن رسل الملك ولكن آل إكيلوس أسردوا اليه وهو لا يزال في المنزل ووقع بينهم شجار عند الباب حاولوا فيه استرداد الرسائل ولكن فالاريوس ورجاله قلوبهم مقاومة عنيفة ولفوا ثيابهم حول أعناقهم واجتازوهم الطرق دافعين مدافعين إلى أن وصلوا بشقة إلى الساحة العمومية ولم يكن ماركوس فالاريوس أقل توفيقاً في قصر الملك ، فقد استولى على رسائل أخرى مرسلة مع أشياء أخرى وساق إلى الساحة العمومية أيضا جميع رجال الملك الذين استطاعوا القبض عليهم .

ولما تمكن القناصل من تهدئة الحال استدعى فالاريوس من منزله فندسيوس وأخذ في التحقيق . تلقت رسائل المتآمرين فلم يجد أحدهم على البت بكلمة وكان الجميع خافض الابصار في صمت عميق وقد ارتأى البعض بحاملة بروتوس أن يكتب بالني وكانت دموع كولانان وصمت فالاريوس قد بعث إلى نفوس المتآمرين شيئاً من الامل ولكن بروتوس نادى ابنائه كل باسمه أنت ياتيتوس وانت يافلاريوس لماذا لا تجيبا على هذا الاتهام ؟ ناداهما ثلاثاً وهما صامتين . وحينئذ التفت بروتوس إلى الجالاد . الآن عليك ان تنفذ ما بقى . اخذ الجالاد الشابين ونزع عنهما ثيابهما وشد وثاق ايديهما إلى ظفرهما ومزق جلدتهما بالسياط فلم يستطع احد أن يتجملد امام هذا المشهد الصارم . بروتوس وحده بقيت له شجاعته ويقال انه لم يحول نظره دقيقة ولم يكن للشقة اى اثر على الغضب والصرامة اللتين كانتا مرسمتين على وجهه . شاهد بروتوس التنكيل بابنائه بعين وحشية الى أنلقى على الارض وسقطت رأسها تحت ضربات المضربة وحينئذ ترك لزميله معاينة الآخرين ونهض من كرسيه وانسحب

ان عمل بروتوس على ما هو لا يكفي فيه الاطراء ولا تكفى فيه المؤاخذة فهو اما عن فضيلة سامية ترفعه عن المؤثرات الانسانية أو عن شهوة متطرفة نزلت به الى عدم الشعور فكلاهما غريب جداً ليس من طبيعة الانسان الاول من طباع الآلهة والآخر من طباع الضواري على ان الدل يقضى ان نعتدل في حكمنا على محمد بروتوس لا أن نشك في فضيلته لما فينا من ضعف . ان الرومانيون يعتقدون اعتقاداً أكيداً أن رومو نوس لم يلق في تأسيس روما من العناء ما لقيه بروتوس في نصرة الحرية وتوطيد دعائها .

ولما انسحبوا الجمل الرعب والدهشة السنة الجماعة وكان الصمت رهيباً كثيباً ولكن تراخي وتواني كولاتان شجع آل اكياموس فطالبوا أن يفسح لهم في الوقت للدفاع عن انفسهم وان يسلم اليهم فندسيوس عبدهم ولا يبقى بين ايدي المتهمين ( المدعين ) مال كولاتان الى اجابة طلبهم واراد فض الجمعية ولكن فالاريوس أعلن انه لا يسلم فندسيوس الذي اختلط بين اتباعه وانه لا يحتمل ان ينصرف الشعب فينجوا الخائفون . ثم وضع هو بنفسه يده عليهم ؛ ودعى بروتوس لمعاونته وندد بسوء تصرف كولاتان في الوقت الذي اوجب فيه بروتوس على نفسه قتل ابنائه ، مال كولاتان ارضاء للنساء لافلات الخائفين واعداء الوطن من يد العقاب — مل القنصل هذه المقاومة فأمر الجلادين للقبض على فندسيوس ففرقوا الجمهور وقبضوا عليه وضربوا الذين حاولوا انتزاعه من ايديهم ولكن أصحاب فالاريوس قاموا بالدفاع عن العبد وصاح الشعب طالباً بروتوس ، عاد بروتوس الى الساحة فاستولى على الجميع عند ظهوره سكون شامل فقال : لقد كنت بنفسى كافياً لحماكة ابنائى وتركت المتهمين الآخرين لحكم الشعب فعليه أن يبدى رأيه فليتكلم كل انسان و يقترح ما يشاء . فعادت هذه الكلمات فعلها وأخذت الاصوات وكان الحكم بالاجماع قطع رؤوس المتهمين . اصبح كولاتان موضع شبهة لقراءة لاسرة الملوك واصبح اسمه بغيظاً لما أحدثه

تاركان من الاستياء العام واذا رأى ما حدث وإن الشعب يضمر له البغضاء استقال من القنصلية وأبعد عن روما — جرى الانتخاب العام وكان فالاريوس بالاجماع قنصلا جزاء حق لغيرته ونحوته فرأى من العدل ان يشرك معه في الخير فندسيوس فاعتقه ومنحه بقرار من الشعب صفة الوطني مع حق الانتخاب في القبيلة التي يريدونها فكان أول معنوق تتمتع بهذه المنحة وحدث بعد ذلك بزمن طويل ان ايوس استجلا بالرضاء الجمهور منح جميع المعتقين حق الانتخاب ولا يزال التحرير التام يدعى حتى اليوم « فندكتا » كلمة مشتقة من فندشيوس نهبت وسلبت أموال واملاك الملوك وهدم قصرهم وكان لآل تاركان احسن جانب من جوانب حقل مارس . خصص لذلك الاله . كان المحصول محصولا والحزم ملقاة في الساحة وكان المعتقد انه لا يجوز طحن تلك الغلال ولا الاستفادة منها فاخذ الجمهور يلقي بها وبالشجار التي اقتلعها الى نهر التيدرليترك للآله الارض عارية لا زرع فيها . قذف التيار هذه المواد وكسبها على بعضها ولم يبعد بها بعيدا رسيات القذيفة الاولى واحتجرت التالية فتماسكت وتصلبت بحيث صارت قطعة صلبة ثابتة . التسمت هذه الرقعة وازدادت متانة بما كان يحمله التيار من الطمي ولم تكن الامواج لتفرق بين اجزائها بل كانت بالعكس من ذلك تزيدها تماسكا واحكاما ورسوها يوما بعد يوم — اخذت هذه البقعة في الاتساع والمتانة بما كانت تجترقة امواج نهر التيدر من الاجسام الغريبة ، وتعرف اليوم في روما بالجزيرة المقدسة . انشئت عليها المعابد والمنزهات واطلق عليها اسم بين الجسرين . وجاء في رواية اخرى ان هذه الجزيرة لم تنشأ حين تكريس حقل تاركان بل نشأت بعد ذلك بزمن بعيد عند ما كرس تاركنيا لانه مارس حقلا ملاصقا للحقل فاركان . وتاركنيا هذه كانت كاهنة ( فستال ) اكسبها كرمها امتيازات مشرفة منها قبول شهادتها في القضاء وهو حق لم تنله غيرها من النساء وابيح لها الزواج ولكنها لم تستخدم هذا الحق . هذا ما يقال في الرواية الاخيرة

يُس تاركان من استرداد الملك بالدسياسة والمؤامرة فلجأ الى الاترسكيين فتحمسوا له واهتموا بشأنه وساروا به الى روما في جيش عرمرم فزع القنصلان لملاقاته على رأس الرومانيين واصطف الجيشان للقتال في مكانين مقدسين . يعرف احدهما باسم « بوكيج » . أوى ارسيا والآخر مرج ازوفيان وما كاد يبدأ القتال حتى تلاقى ارونس بن تاركان والقنصل الروماني بروتوس ولم يكن تلاقيهما صدفة بل كانا مدفوعين بعوامل الحقد والبغض — احدهما يطلب المستبد عدو الوطن والآخر يريد الانتقام لنفسه من النفي . دفع كل منهما جواده نحو الآخر في سورة غضب لا حذر معها ولم يفكر احد منهما في وقاية نفسه ولذلك سقط كلاهما في حومة الوغى . ولم تكن المعركة التي تلت هذه الفاتحة أقل فظاعة اذ كان الفتك في الجانبين ذريعاً ولم يفرق بين الجيشين الا عاصفة هوجاء اضطرت الامر على فالاريوس ولم يدرك ان كان النصر . رأى جنده قد فقت الخسائر في عضوهم من جهة ولكنهم من جهة أخرى مطمئنين لما انزوا بالعدو من الخسائر . وذلك الكثرة عدد القتلى وتساوى الخسائر في الجانبين واذ كان كل من الفريقين على يقين من خسائره ولا يعرف خسائر عنوه الاتخمينا كان ادنى الى الاعتقاد بانه المألوب على امره من الى الاعتقاد انه الغالب — ارخى الليل سدوله لا يصعب على احدهما يتصور كيف قضوا ليلتهم بعد تلك المعركة الخفيفة مال الجيشان الى الراحة ويقال انه حدث هزة في الغابة المقدسة وخرج منها صوت هائل يبان انه قتل الاترسكيين يزيدون واحدا عن قتلى الرومانيين وكان هذا صوت آله ولا شك لأن الرومانيين استعادوا شجاعتهم فجأة . اولوا المعسكر بضيجات الفرع أما الاترسكيون فقد استولى عليهم الفرع والاضطرب فتركوا ساحة القتال وتفرقوا ههنا وهناك ولم يبق منهم سوى خمسة الاف تقريباً يقاومون هجمات الرومانيين فأسروا جميعاً وسلب معسكرهم . أحصى الرومانيون القتلى فكانت خسائر الاترسكيين ٣٠٠ ر ١١ وقتلى الرومانيين اقل من هذا العدد واحد



يقال إن هذه الموقعة حدثت عشية أول شهر مارس وكان النصر لفالاريوس  
 وأنه أول قنصل دخل روما على عربة تجرها أربعة من الجياد وكانت النظارة  
 تشهد هذه الآية وهذا الجلال بلا حسد ولا استياء بالرغم من قول بعض الكتاب  
 من أن هذا النصر لم يكن مدعاة لثنا نفس أو مثلاً يحتذى وأن السعادة لم تجر  
 بذلك عدة سنوات .

ولقد سر الناس مما قام به فالاريوس من تكريم ذميلة أثناء وبعد الجنازة  
 التي القاها والتي سر بها الشعب غاية السرور وكانت ابتكاراً جرى الناس عليه  
 فكان اذا مات عظيم قام احد رجال الخير برثائه وتقدير حسناته . ويقال إن  
 هذه المروية سابقة لكل ما جرى من نوعها عند اليونانيين ولكن الفضل في  
 هذه العادة يرجع الى صولون الذي كان يقوم بتكريم الموتى على رواية  
 الخطيب أنا كزيمين

حدث بعد ذلك ان فالاريوس اصبح موضع استياء وريبة . ان بروتوس  
 الذي يعتبره الشعب ابا الحرية اشترك معه قنصلين مرتين « اما فالاريوس  
 فإنه استأثر بالسلطة ، أنه ليس وريث قنصلية بروتوس وان ذلك ليس اشبه  
 به انما هذا اشبه بتاركان ماذا يهمنا انه يطرى بروتوس كلاماً يقتدى بتاركان  
 عملياً ؟ ؟ الا انه يمشى وحده يحيط به حملة مشاعل والمطارق اذا خرج من  
 بيته وهو بيت أكثر فخامة من قصر الملك الذي هدمه بيده ؟ » والحقيقة أنه  
 كان يسكن قصرًا فخماً جداً قائماً على جبل يدعى « فاليا » يدل على الفوروم  
 « الساحة العمومية » ولا شيء يحجب النظر في ذلك الارتفاع الشاهق . على  
 ان الصعود اليه كان صعب المرتقى وكان مالاريوس اذا نزل من قصره في حاشيته  
 مشى مشية جليلة تشمر بفخفة الملوك وكان يظهر انه من حسن حظ الرجال  
 الذين يتولون الشؤون العامة ان يفتحوا أذانهم للغة الصراحة والحقيقة أكثر من  
 خطب المملتين . علم من أصحابه استياء الشعب فبدل أن يجادل في



الامر. أو يغضب دعا جماعة من العمال قبيل الصباح وهدم قصره حتى أساسه فلما طلع النهار ورأى الرومانيون هذا المشهد اعجبوا لعظمة نفس فالاريوس ولكيهم حزنوا لضياع القصر ، حزنوا لان الحسد أباد عظمة وجلالا . حزنوا لذلك حزنهم على انسان نفذ فيه حكم الاعدام ظالما . وقد خجلوا اذ رأوا القنصل يسكن كرجل بلا مدفء ولا مسكن في منزل مستعار . ذلك أن اصحاب فالاريوس آووه الى منازلهم حتى صرح له الشعب بقطعة ارض بنى عليها منزلا أقل أهمية من الاول . وهو في المكان الذي يعرف الآن باسم « فيكابوتا » ( ١ )

لم يقصد فالاريوس ان يحبب الى الناس شخصه فقط بل قصد أنه يحبب اليهم سلطة القنصلية التي كانت موضع ريب في نظر الجميع فمنع من الشارات الفؤس وكان كلما ذهب الى الجمعية العمومية خفض الشارات ذاتها وأحنأها أمام الشعب وبذلك كان يعان اعترافه واحترامه لسيادة الشعب ولا تزال هذه العادة جارية حتى اليوم . ولم ير الجمهور ان فالاريوس يضع بهذا الاعتدال من قدر نفسه بل اعتقد أنه أصبح بمنأى عن الحسد وانه يزيد من سلطته الشخصية بما يفقد في الظاهر من امتيازات الحكم والواقع أن الشعب كان يخضع له راضياً مسروراً . ويقدم له الطاعة عن طيب خاطر فدعا الشعب « بوليكولا » أي محترم الشعب وصار هذا لقباً اشتهر به عن اسمه القديم وبهذا الاسم سندهوه فيما يلي من سيرة حياته . وأباح لكل انسان ان يتقدم لمقام القنصلية الخالي ولكن قبل انتخاب زميله الذي لا يدري من هو وقد يكون عن غيرة أو جهل حجب عثرة في سبيل مشروعاته عمد الى استخدام السلطة المطلقة التي كان يتمتع بها الى انجاز أجل وأفيد اغراضه بدءاً بتكملة مجلس الشيوخ الذي لم يبق من أعضائه الا قليل . فقد

ذهب الكثيرون ضحايا تاركين من قبل وسقط البعض في حومة القتال. ويقال إنه زاد على الموجود منهم مائة وأربعة وستين عضوا. ثم وضع جملة قوانين زادت في سلطة الشعب : منها القانون الذي يقضي بأن ترفع إلى الشعب الأحكام التي يصدرها القنصلان ثم قانون يقضى بالموث على من يتولى شأنا من الشؤون العامة دون أن يعينه الشعب وجاء القانون الثالث خير عون للفقراء وهو الذي يعنى الوطنيين من كل ضريبة فنشط ميل كل انسان الى الفنون والصنائع ولم يكن ما سنه ضد الذين لا يطيعون القناصل أقل شهرة ولا مجلبة للرضا فانه جاء في مصلحة الفقراء أكثر منه لمصلحة الاغنياء . يغرم الخالف بخمسة ثيران وخروفين وثمان الخروف عشرة افلاس ( جمع فلس ) وثمان الثور مائة فلسا . لان النقود لم تكن كثيرة لدى الرومانيين في ذلك الوقت وكانت ثروتهم قطعان الماشية كبرها وصغيرها ولهذا اطلق على الثروة اسم بكيوليوم ( الاموال بمعنى الماشية ) أى النعاج . وان نقودهم مرسوم عليها الثور والنعجة أو الخنزير وانهم يسمون أبناءهم بهذه الاسماء .

كانت هذه القوانين مقبولة بالرضا وملاى بالاعتدال ولكنه تشدد في عقاب الجريمة شدة قاسية فقد سن قانونا يبيح قتل كل انسان يأمر للظلم والاستبداد بدون اجراءات قانونية ويكفل عدم غياب المتهم بشرط أنه يقدم البراهين على الخيانة لانه كان يعتقد انه من المحار على من يدير امرا كهذا ان يخفى غرضه عن جميع الناس . وقد يحدث انه بالرغم من اكتشاف أمره قد يتمكن من اغتيال الحكم قبل محاكمته لذلك منح كل وطني يحول دون ذلك بقتل المجرم حكما لا يمكن اجراؤه اذا تمت للمجرم جريمته .

وقد لقي قانونه عن محصلي الاموال قبولا طيبا . كان الوطنيون مكافئين ان يدفعوا من أموالهم اعانات للحرب فلم يرد ان يمس هو هذه الاموال أو يعهد بها الى أصحابه ولم يرد ان يضع اموال الدولة في بيت خاص فجعل الخزانة في هيكل

ساتورن ولا يزال يستعمل بهذا الغرض وفرض الى الشعب اختيار محصين من بين الشبان فاختر يوليوس فاتوريوس وفاركوس مينوسوس فحصل اموالا طائلة وبلغ التعداد حينذاك مائة ثلاثين الف وطقى عدا اليتامى والأرامل المعفين من الضرائب وبعد ان استوفي هذه الاجراءات اتخذ زميلا له فى القنصلية ؛ لوكريتيوس والدركريس . ونزلاه عن المقام الأول رعاية لسنه وترك له الشارات احترام لا يزالون يقدمونه للشيخوخة . مات لوكريتيوس فانتخب الشعب ماركوس هوراسيوس بدلا منه واستمر زميلا لبوبيكولا بقية السنة

وبينما كان تاركان يعد فى اثروريا حربا ثانية ضد الرومانيين حدثت على مايقال معجزة غريبة كان تاركان اثناء حكمه بنى هيكلًا لجوبيتر فى الكابيتول ولما قارب الهيكل انماه رأى طاعة لوحى أو لحض ارداته ان يضع على القمة عربة من الطوب وعهد فى صنعها الى فنانيين لاتروسكيين من فايين . حدث بعد ذلك ان انقلبت الملكية ولما فرغ الاترسكيون من صب القوالب وضعوا الطوب فى الفرن ولكن بدل انه يجف ويتجمع بما يتبخر عنه من البلولة . كما يحدث عادة تحت تأثير النار انكشت وصارت كتلة هائلة وبلغ من شدتها وصلابتها ان رفعت سقف الفرن وهدمت جدرانها ولم يتمكن الصناع من اخراجها الا بمشقة فظيعة وقال العرافون انه قل حسن وانه اشارة الى بقاء السيادة للشعب الذى بقيت له مهنة الطحن وابى الفاييون ان يسموا الى الرومانيين بناءً على طلبهم قائلين ان العربة ملك لتاركان لالذين طردوا تاركان . حدث بعد ذلك بايم انه جرى سباق عربات فى فايين بما فيها من فخخة واجبة وبينما كان الفائز المتوج يسير بركبته متمهلا يخرج من الضمار زعرت الخيل بغير سبب منظور وبقوة خفية ( الهية ) أو هى صدقة محضة وجهت نخطو سريعة نحو روما تجر سائقها وعينها حاول توقيفها بيده وسوطه فلم يسهه سوى تركها لاندفاعها فاحتملته الى أسفل الكابيتول فالقت به الخيل عند الباب الذى يدعو الرومانيين اليوم ( راتومين ) زعر الفييون لهذا الحادث واستولى عليهم

الرعب فسمحوا للصناع ان يسلموا عربة الطوب

نذر تاركان القديم بن دamarat في حرب مع السايين بناء هيكل لجوبير  
الكابتن ووفى تاركان الفخم ابنه أو حفيده ذلك النذر ولكنه لم يستطع القيام  
بحفلة تكريس أو اهداء الهيكل لانه طرد قبل تمامه ولما تم البناء وهى بدواعى  
الجلال اظهر بوبليكولا غيرة شديدة للقيام بتكريسه فقام كثيرون من اعيان روما  
فينازعونه هذا الامتياز (٥) لقد احتملوا بلا حزن كبير ما اصاب بحق من الجد  
لقوانينه وانتصاراته ولم يروا له حقاً في نيل هذا الشرف الجديد فاعزوا هوراسيوس  
ان يطالب بذلك

وقعت حرب اضطرت بوبليكولا الى الخروج من روما فعهد حساده الى هو  
راسيوس في القيام باهداء الهيكل واخذوه الى الكابتن لانهم يؤسوا من حملة  
على ذلك بحضور بوبليكولا ويقال ان القنصلين اقترعا فيما بينهما فاصاب بوبليكولا  
قيادة الجيش واصاب هوراسيوس تدشين الهيكل ويمكن معرفة الحقيقة مما جرى  
اثناء الحفلة • اجتمع الشعب في الكابتن في اعياد سبتمبر التي تقع عند  
استدارة قمر ماتاجيتنيون وكان الجمع في صمت عميق وبعد ان ادى هوراسيوس  
الرسوم الاولى أمسك كالمعتاد باحد ابواب الهيكل وشرع يتلو الصلاة العلانية  
للدشين وكان ماركوس شقيق بوبليكولا واقفاً من زمن عند باب الهيكل ينتظر  
الوقت المناسب فقال : ايها القنصل ان ابنك مات مريضاً في المعسكر : فحزن  
الجميع لهذا النبأ ولكن هوراسيوس لم ينزعج له واكتفى بقوله « ارموا الجثة حيث  
شئتم أما أنا فلا لبس الحداد » واستمر في صلاة التدشين وكان الخبر كذب  
ابتدعه ماركوس ليعبد هوراسيوس ولكن هوراسيوس اظهر ثباتاً عجيباً قد يكون  
لمعرفته خدعة ماركوس فالاريوس أو انه اعتقد الخبر صحيحاً ولكنه لم يعبأ به

وقد وقع هذا الحادث ذاته عند اهداء الهيكل الثانى ، بنى الهيكل الاول  
تاركان كما تقدم القول وقام بتدشينه هوراسيوس ولكنه احرق اثناء الحرب

الاهلية — أعاد سيللا بناءه ولكن كاتولوس هو الذى قام بتدشينه لان الموت حال سيللا وهذا الشرف . هدم هذا الهيكل اثناء الفتنة التى وقعت فى عهد فيتانيوس . واعاد فيسباسيوس بناءه ولم يخنه حظه أيضاً فى هذا العمل . فقد اتهم ولم يشهد تخريبه فكان حظه اسعد من حظ سيللا الذى مات ولم يستطع ان يدشن الهيكل الذى بناه — مات فيسباسيوس ولم ير احتراق هيكله فى الحريق الذى اتهم الكابنول كاه بعد موته بقليل أما الهيكل الرابع القائم الآن فقد شيده دوميتيان ودشنه بنفسه

يقال إن تاركان انفق على تأسيس هيكله فقط أربعين ألف رطل من الفضة اما الهيكل الحالى فجميع ثروة اغنى رجل فى روما لاتفى نفقات حلته فقط قد بلغت اثني عشر ألف ثالان وقد نحتت اعمدته فى محاجر بنتال وكانت عندما رأته فى اثينا اعمدة وقطار دائرتها على تناسق تام ولما شاهدها فى روما وجدتهم قد اعدوا نحت الاعمدة وصقلها وبذلك اضاعوا من روعتها وتناسبها . واضاعوا من جمالها بما احدثوا فيها ترقيق وما على من اراد ان يعجب بعظمة الكابنول سوى أن يرى احد اروقة أو غرف قصد دوميتيان وحدها ان حماماته او مساكن محظياته تذكرنا كلمة ايشارم لذلك المسرف لست محسناً بل انت مريض والعطاء سرور لك ، ويصح ايضاً أن نقول لدوميتيان : لست صالحاً ولا عظيماً . انت مصاب بمرض وهو حب البناء — تريد مثل ميداس الشهير ان كل شيء يتحول بين يديك الى ذهب ورخام « وكفى بهذا افاضة فى هذا الموضوع

أما تاركان فانه بعد الموقعة الكبرى التى هلك فيها ابنه ارونس فى قتاله مع بروتوس فقد لجأ الى كلوزيوم لدى لارس بورسينا اعظم ملوك ايطاليا ومشهور بصلاحه وكرمه فوعده المساعدة وطلب الى الرومان قبول تاركان واذا

ورفضوا طلبه اعلن عليهم الحرب وعين اليوم الذي يهاجمهم فيه والاما كن التي  
سيماجها وسار اليهم في جيش عرمرم

عين بوبليكو لا قنصلا للمرة الثانية مع انه كان غائبا وعين معه تيتوس  
لوكرسيوس . واستخفا فاجبر اة لرومينا تركه يقدم اليه واشتغل ببناء سيليوريا  
وافق عليها كثيرا وحصنها تحصينا منيعا وانزل فيها جالية من الرومانيين تباع  
سبماية رجل . اراد بذلك أن يظهر لبورسينا أنه لا يبالي بحربه وأنه يسخر  
منها . هاجم بورسينا سوارروما وحمل على طليعة الجيش حتى الجأها الى الفرار .  
اندفع الاعداء على المدينة واختلطوا بالماريين ولكن بوبليكو لا تقدم الى  
الأبواب ودافع الاعداء الذين يفوقون قواته عدداً وتثبت المعركة بالقرب من  
نهر التير واستبسل في القتال حتى سقط من جراحه الشريفة الباسلة فحملوه  
خارجا عن ساحة القتال . وقد جرح زميله لوكرسيوس مثله فخارت شجاعة  
الرومانيين ونجوا بأنفسهم مشتتين بين انحاء المدينة ، تعقبهم الاعداء الى  
كوبرى ( جسر ) الخشب متأهبين لأكتساح المدينة ولولم يقف لهم هوراسيوس  
كوكلس واثنان من اشراف المدينة وهما هرماتيس ولارتيوس فأوقفوهم عند  
رأس الجسر . دعى هوراسيوس ، وكوكلس لانه فقد احدى عينيه في الحرب  
أولانه كان أفطس الانف بحيث لم يكن فارق بين عينيه وكان حاجباه متصلين  
مختلطين ببعضهما . اراد الشعب أن يدعوه سيكاوب ولكن صعب عليه اللفظ  
فدعاه كوكلس وعرف بهذا اللقب . وقف كوكلس هذا للاعداء على رأس الجسر  
ودافعهم دافع الابطال فعاق تقدمهم حتى تمكن رفاقه هدم الجسر من خلفهم ثم القى  
بنفسه في نهر التير واجتازه عومامع أنه اصيب بسهم من الاترسكين في فخذه .  
ووصل الى الشاطئ الآخر . أعجب بوبليكو لا بشهامته فطلب إلى الرومانيين  
ان يتبرع له كل روماني بمبلغ يوازي نفقات قوته في يوم . وأن يقدموا له من  
الأراضي ما يستطيع تغليحه في يوم في دائرة يخطها هو . ولم يكتفوا بهذا بل اقاموا

لكر كلس تمثالا من النحاس في هيكل فولكان ، ار ادوا بهذا التكريم أن  
يواسوه على بقاءه اعرج بسبب جرحه

استمر بورسينا على محاصرة المدينة وبدأ الرومانيون يشعرون بالجوع وفي  
هذا الوقت كان جيش آخر من الاتريسيكين يغير على الاراضى . عين بويليكولا  
قنصلا للمرة الثالثة فاعتزم أن يقف من بورسينا موقف المدافع الحريص على  
سلامة المدينة فلا يخاطر بالاقدام على معركة أما الاتريسيكون الذين كانوا يعيشون  
في القرى فقد انسل اليهم خفية وشتت شملهم وقتل منهم خمسة آلاف رجل

لقد اختلفت الروايات عن موسيوس ومنروى أقربها الى العقل . كان رجلا  
جم الفضائل مجربا في الحروب اعتزم قتل بورسينا واتخذ زى اتريسكى ونفذ الى  
معسكر الاعداء وكان يعرف لغتهم . طاف بمجلس الملك ولكنه لم يكن يعرفه  
بالذات وخشى أن يفتضح أمره اذا دل عنه فاستل سيفه وقتل أحده أعوانه ظاننا  
أنه قتل الملك وفي الحال قبض عليه وحقق معه وكان بالقرب من المجلس نار  
مشتعلة كان بورسينا ينوى تقديمها . مد موسيوس يده اليمنى الى النار فكان  
لحمه يحترق وهو ينظر الى بورسينا ثابت الجأش ليمده بنظراته . أعجب بورسينا  
بهذا الموقف ايما اعجاب فأطلق سراحه ومد اليه سيفه من أعلى مجلسه فقبض  
عليه موسيوس بيده اليسرى وكان هذا سبب تلقيبه بالايسر وقال مخاطباً بورسينا  
آخذاً سيفه ، لقد اجترأت على تهديداتك ولكنك قهرتني ؛ رمك لذلك اعترف  
لك على سبيل مقابلة الفضل بمثله بسر لم تكن الشدة لتنتزعه من صدرى . لقد  
اعتزم ثلاث مائة روماني ما اعتزمته وهم الآن يجوسون خلال معسكرك يتحينون  
الفرص وقد وقع الاختيار على أن أكون البادى وليس لى أن أسف لحظى أن  
أخطأت رجل خير الى حرى به أن يكون صديق الرومانيين لاعدوهم . فلم يشك  
بورسينا في صدق هذه الرواية وأظهر استعداداً للوفاق ورئى أن ذلك كان خوفاً  
منه من الثمائية المتآمرين ضده أكثر من اعجابه واحترامه لشهامته وبسالته



الرومانيين . والمعروف أن هذا البطل يدعى موسيوس شيفولا (الايسر) ولكن أتينو دور ، بن ساندون (١) قال في كتابه عن أوكتافيا أخت أغسطس أنه يدعى أيضاً أوسبيجونوس (٢)

أيقن بوبليكولا أن لا خوف على روما من عداء بورسينا بمقدار ما يستفيد من صداقته ومما هدته لذلك لم يأت بحكيمه بين تاركان والرومانيين ولقد بسم له هذا الرأي أي أنه رأى فيه خيراً فدعا تاركان غير مرة للدفاع عن قضيته أمام بورسينا فعلمنا استعداداه لاقتناعه بأنه شر الرجال وأنه حقيق بأن يجرد من الملكية وأجاب تاركان بكبرياء أنه لا يقبل تحكيم أحد وعلى الاخص بورسينا ولو تخلى هذا عنه وحنث بعهدده - أغضب هذا الرد بورسينا على تاركان و كأن ابنه أرونس مخلصاً للرومانيين قد ألح عليه في الرجاء فعرض الصلح على الرومانيين بشرط أن يعيدوا اليه الأسرى والأراضي التي أخذوها من أترييا مقابل رد الهاربين من الرومانيين - قبل هؤلاء الشرط وقدموا عشرة من أبناء العائلات الكبرى وعشرة فتيات بينهم فاليريا ابنة بوبليكولا

عقد الاتفاق وسرح بورسينا معظم جيشه ثقة بالمعاهدة وحدث أن الروميات بزأن إلى النهر للاستحمام في مكان انثنى فيه الشاطئ على شكل هلال حيث لا تيار ولا هواء يثير الأمواج واذ رأى الفتيات أنهن بلا حراس ولا أحد يمر بالشاطئ ولا مراكب في النهر اعتزم من عبوره سياحة بالرغم من عمقه وسرعة تياره ويقال أن واحدة منهن تدعى كلالي امتطت جواداً أثناء العبور وكانت تستنفض همم زميلاتهن

وصلن إلى الشاطئ الآخر سالمات وذهبن لملاقاة بوبليكولا ويدل أنه يعجب

١ أحد معلمى أغسطس ثم تدير وهو من طائفة الرواقيين وأنه أقل منه شهرة

٢ هذه ترجمة الكلمة اللاتينية ديوستيمرس إلى اليونانية وكان الواجب أن يشير فلوطارفوس إلى ذلك لا أن يوهم القارىء أن الرومانيين كانوا في تلك العصور القديمة يدعون أبناءهم بأسماء يونانية



بهن أو يبدى موافقة على عملهن أظهر استياءه وخشى أن يتهم بأنه أقل أمانة في  
الحرص على عهوده من بورسينا وأن تعتبره جرأة هذه الفتيات خيانة من الرومانيين  
فجمعهن وأعادهن إلى بورسينا .

علم تاركان بعودتهن فكمن لهن بجيش كبير العدد واذ كن تجتزن النهر هاجم  
استبسل الرومانيون في الدفاع عن أنفسهم ولكن فاليريا ابنة  
يولا دفعت جوادها بين المتقاتلين وتبعها ثلاث من الخدم ، ساروا في  
رفقتها حتى معسكر بورسينا وبقي الآخرون ثابتين للقتال حتى كادوا  
يتقهقرون ولكن أرونس علم بما هم فيه من خطر فطار إليهم وهزم الأعداء  
وأخذ الرومانيين

ولما مثلت الفتيات أمام بورسينا استعلم عن التي بدأت وحرصت  
زميلاتهن فذكر والده كلالى فنظر إليها باسما وأتضرأ أحد جياده الملكية مطهما  
بافخر ما يتطهم به الجياد وأهداه إليها . هذا ما يزعمه الذى يدعون أن كلالى  
هى وحدها التى اجتازت النهر على جواد ويقول البعض أن ملك أتريريا  
أراد بذلك تكريم شجاعة الرجله ليس غير . وهناك تمثال لكلالى فى الشارع  
المقدس المؤدى الى جبل بالاتان ولكنه فى نظر البعض تمثال فاليريا لا  
تمثال كلالى .

ولما عقد الصلح ابدى بورسينا للرومانيين ألة ساطعة على كرمه وعظمة  
نفسه . ذهب الى حد تحريمه على ضده ان لا يحملوا شيئاً سوى أسلحتهم وان  
يتروا للرومانيين جمع المؤنة والاموال التى كانت فى معسكره لذلك لا تزال  
العادة حتى اليوم عند ما تبيع الحكومة شيئاً يبدأ المنادى بقوله ( أموال  
بورسينا ) وهذا شرف مقدس واعتراف خالده بكرم هذا الملك ، ولقد أقيم له غير  
بعيد عن مجلس الشيوخ تمثالا من النحاس وهو غير متقن الصنع ومن طراز قديم  
حدث بعد ذلك ان السابين اغاروا مسلحين على أراضي روما وكان القنصلان

ماركوس فالاريوس شقيق بوبليكولا و بوتوميوس توبريتوس واذ لم يكن يحدث شيء خطير هناك بدون رقابة ومشورة بوبليكولا.

احرز ماركوس انتصارين باهرين لم يفقد في الثاني احدا من رجاله وقتل ثلاث عشر الف من الاعداء . فلم يكتبوا في جزائه بمنحه شرف الانتصار بل بنواله على حساب الخزانة العامة منزلا وفوق جبل بالاتان . ومما امتاز به هذا المنزل ان جعلت ابوابه تفتح الى الطريق لا الى الداخل كالمعتاد

اراد الشعب بهذا التميز الدلالة على رغبته في جعل المنزل اكثر سعة . ويقال ان جميع المنازل في اليونان كانت ابوابها على هذا النحو يستنتجون ذلك مما يحدث عند تمثيل الروايات حيث كان يتعين على من يريد الخروج من منزله ان يقرع الباب من الداخل وان يفتح حتى ينبه من كان خارجا فيسحب قبل ان يدفع الباب الى الطريق

عين بوبليكولا في السنة التالية قنصلا للمرة الرابعة احمدا السايون واللاتينيون وتوقعت روما حربا جديدة وكان قد استولى على المدينة فزع وهي ازعج الجميع ذلك ان النساء لم تكن تلد سوى اطفال شوهين وقليل منهما من كانت تستوفي موعدها الطبيعي . راجع بوبليكولا كتب الصوافين وقدم الضحايا تهدئة لغضب بلوتون واقام ملاعب قديمة كان قد امر بها ابولون فاعاد السرور الى روما باعادة الثقة بحماية الآلهة ثم فرغ الى درء الخطر الذي يمهده الناس لان الاتحاد الذي دبر كان مخيفا وكان الاعداء يعدون له معدات جسيمة

كان بين السايين وطيني واسع الثروة يدعى ابيوس كلوديس له قوة خارجة للعادة . وهو اول رجال امته فصاحة وفضيلة لم ينج مما يصاب به العظماء فصار موضعاً للحسد . اراد منع الحرب فاتخذ حساده ذلك ذريعة لاتهامه . وادعوا انه يرسم زيادة قوة الرومان ليكون الحاكم المستبد في وطنه ويجعله ذليلا وكان الشعب يصغى الى هذه المفتريات فرأى ابيوس انه صار موضع بغض اعداء السلام

ومحبي الحرب فخشي أنه يقدمه للمعركة فجمع عددا كبيرا من أهله  
 وأصحابه وأثار فتنة فعطل بذلك الحرب وهدد السابينين . وكان بوبيكولا مطالبا  
 على كل مايجرى بين الأعداء فكان يزيد لطلب الخلاف ويوقع التفرقة بينهم وأرسل  
 إلى كلوزيوس من يقول له « ان بوبيكولا يعرفك رجل خير وأعدل من ان تضمر  
 الانتقام من مواطنيك مهما تكن أخطاؤهم ثموك وإذا اردت ان تنجو بحياتك وان  
 تخلص من موقف الأعداء فاجعل مقامك بالقرب منه . ان روما والحكومة وكل  
 وطني يستقبلك بما يليق بفضلك وبالعظمة الرومانية » عمل كلوزيوس الفكر في  
 هذا الاقتراح ولم يروهو في موقفه الحرج خيرا له منه . كشف أصحابه بالامر فعملواهم  
 أيضا على اكتساب الكثيرين غيرهم وهاجرت تحت قيادة كلوزيوس خمسة آلاف  
 من رؤساء العائلات بنسائهم وأولادهم وخدمهم . كل من كان بين السابينين من  
 الودعاء الراغبين في حياة السلم والعيش الهنيء ولما علم بوبيكولا بمجيئهم أسرع  
 لاستقبالهم بكل حفاوة وصورة ومنحهم جميعا حقوق الوطنين وخص كل منهم  
 بفرسخين على طول شاطئ نهر الينيو ومنح البيوس خمس وعشرين وجعله في عداد  
 رجال مجلس الشيوخ وكان هذه أول منزلة سياسية احتلها وظهر بعد ذلك حكمة في إدارة  
 الأعمال حتى قادهم الأعمال واكتسب سلطة واسعة واليه ترجع أسيرة كلوزيوس  
 التي لا تقل شيئا عن أية أسيرة في روما اسكنت هذه المهجرة ما كان بين  
 السابينين من الاضطراب ولكن دعاة التحريض لم يدعواهم هادئين فصاحوا بهم  
 « من العار أن كلود بوس عدوكم الهارب ميال ما يئناه عليه حين كان بيننا  
 ومنعكم ان تثاروا لانفسكم من أهانات روما . فسار السابيون من جيش كبير  
 وعسكروا بالقرب من ( فيدين ) وكن منهم الفان في اما كن غائرة مكشوفة على  
 مدى أدنى من روما وانتوا ان يرسلوا هباح الغد ، الفوارس إلى ابواب روما  
 ومتى خرج اليهم الرومانيون تظاهروا بالتقهقر حتى يقع الأعداء في السكين ،  
 علم بوبيكولا من الهاربين ما اضروه فاستعد لكل طارئ وقسم جيشه .

أرسل بوسثوميوس صهره في ثلاثة آلاف جندي واستولى مساء على المرتفعات التي تطل الكمين وينظر هناك الفرصة المناسبة وانتضي لوكريسيوس زميله إيسل واشجع من في المدينة من الشبان يحمل بهم على الفرسان أما هو فيسير بباقي الجيش ليحيط بجيش السابيين

وفي مطلع فجر الغد كان الضباب مخميا فحمى حر كان الرومانيون عن الانظار انصب بوسثوميوس في ضجة من أعلى المرتفعات على الجيش السكمان بينما كان لوكريسيوس يطارد الفرسان الرابين في الخلال وبوبليكو لا يهاجم معسكر الأعداء . اخذ السابيون من كل جانب فتشتوا منهزمين . لم يفكر جيش المعسكر في الدفاع عن نفسه بل ركن الى الضرار فعمل الرماحة في اقضيتهم وما كان أشد خيبة آمال السابيين فيما كانوا يؤملونه من ان الدائرة لم تدرك على غير ناحية من نواحيهم اذ لم يفكر جانب منهم في الثبات او القتال فكان يجري رجال المعسكر الى رجال الكمين وكان هؤلاء يجررون الى رجال المعسكر فبدل أن يجد كل مانجا لم يجد الا الافارين في حاجة مشاهم الى من يأخذ بيدهم ؛ كان من المحتم أن يهلك جميع السابيين لولا أن ( فيدن ) المدينة المجاورة . آوت البعض منهم لاسيما رجال المعسكر اللذين فروا منهم بعد أن استولى عليه الرومانيون اما اللذين لم يبالغوا فيدن قتلوا او اسروا .

والرومانيون اللذين كان من عادتهم ان ينسبوا مجدا النصر الى الآلهة نسبوا هذا النصر الى حكمة الصائد وكانت أول عبارة فاه بها المقاتلون ان بوبليكو لا سلم اليهم الاعداء عرجا عميا مغلولي الايدي والاقدام ولم يكن عليهم سوى ذبحهم استعاض الشعب خسائره من اسلاب الاعداء وبيع الاسرى . قال بوبليكو لا اجماد النصر وما كاد يسلم القنصلين المعينيين لاستلام الاعمال بعده حتى توفي بعد ان قضي حياة ملاء بما تمتع به حالتنا البشرية من جميع خيرات العالم واجماده وكان الشعب لم يقيم لبوبليكو لا في حياته بما يجب لفضله فقرر أن تدفن جثته

الخزائن العامة واكتب كل وطنى بربع اس

وقررت النساء فيما بينهن قراراً شريفاً مجيداً هو أن يابسن الحداد على  
بو بليكولا سنة كاملة . وقررنا ايضاً ان يدفن في المدينة بالقرب من تل قليا  
وحفظ حق الدفن في هذا المكان لاعتقابه ابد الدهر ولكنهم اليوم لا يدفنون  
في هذا المكان احداً من أسرته انما يكتبون بان يحمل اليه الجثة ويقوم احدهم  
بمشعل مضاد داخل القبر لحظة ثم يخرج في حفلة تشهد . بحق الميت ليبدل على  
هذا الشرف وتحمل الجثة الى جهة اخرى .

## الموازنة

### بين صولونه وبوبليكولا

انه في الموازنة بين صولون وبوبليكولا اعتبار خاص لم يسبق له  
تظير فيما كتبت من الموازنات . ذلك ان احدهما كان مقادراً والاخر مشاهداً  
لمن أريد موازنته به . وانى ملفتك الى أن معنى السعادة الذى ادلى به صولون امام  
كراسيوس . اليق بوبليكولا منها بتلاوس . ان تلاوس الذى وصفه صولون  
بانه اسعد رجل لانه مات ميتة مجيدة ولا أنه كان جم الفضائل ولانه ترك بعده ابناء محترمين لم  
يوصف بانه رجل خير حتى ولا في قصائد صولون . عاش ابناءه غير معروفين ولم يتول وهو  
في حياته منصبا من مناصب الحكم . اما بوبليكولا فانه بما احتاز من فضل وثقة  
صار أول الرومانيين شهرة ولا تزال في ايامنا ؟ ستمائة سنة بعد وفاته أكبر اسر  
روما كآل بوبليكولا وآل مسيلا وآل فاريوس يرجعون اليه بشرف محترم . مات  
تلاوس بيد الاعداء شجاعا ثابت القدم بين جماعة . اما بوبليكولا فقد مات بعد أن  
قضى على الاعداء شر قضاء ولا شك ان هذه اسعد حالا من السقوط تحت ضرباتهم  
مات بعد ان رأى نفسه قنصلا ورأى وطنه منتصرا . مات بعد النصر موفورا الكرامة  
والشرف . مات تلك الميتة التى كان يشتهيها صولون وكان يحسبها اسنى درجات  
السعادة واليك ما ابداه صولون في جوابه الى ميمنوم (١) عن مدى الحياة « وأتمنى  
الا يكون موتى غير مجر للدموع . أتمنى ان يشيع اصحابى جنازتى بين  
الأم والنحيب . »

ان هذا التمني هو سعادة بوبليكولا . لم يبكه اهله واصحابه بل بكته المدينة كلها كان البكاء والاسى والحزن العميق شاملا للجميع وكأن كل امرأة من النساء الرومانيات قد فقدت ابنا أو اخا أو والدا  
كان صولون يقول

« أريد الثراء ولكن لا أريده من الظلم »

لان العقاب لا بد آت . لم يغن بوبليكولا عن طريق الظلم بل كان من فضله أن أحسن استخدام امواله في مساعدة الفقراء . كان صولون أحكم الرجال وكان بوبليكولا اسعدهم . ان كل ما اشتهاه الاول كاجل وأعظم الخيرات احتازه بوبليكولا ونعم به حتى موته

مجد صولون بوبليكولا كما مجد بوبليكولا صولون بتقدمه كأكمل مثل يقتدى به مؤسس دولة شعبية

جرد السلطة الملكية من فخفتها القديمة وجعلها محسنة لطيفة للجميع . استعار كثيراً من شرائع صولون منها منح الشعب حق انتخاب الحكام ومنها حق المتهمين في رفع قضاياهم الى مجلس الشعب ، كما من صولون شرعة الاستئناف الى بوبليكولا ولئن كان بوبليكولا لم ينشئ مجلس شيوخ جديد كصولون فانه زاد القديم ما يقرب من نصف عدده وكان من شأن ما سنه لمراقبي الخزانة العمومية أن يفرغ الصالح من القناصل لئلا مال الهامة وان لا يجد الشرير في حوزته من التحكم في الاعمال العامة والاموال العامة ما يعينه على غمل الشر

ان بغض الظالمين كان أملاكاً لنفس بوبليكولا . حقيقة أن صولون سن قانونا يقضى بمحاكمة من يطمح الى الاستئثار بالحكم ، ولكن بوبليكولا اباح قتله قبل المحاكمة . يفخر صولون بحق في رفضه حكومة ملكية قدمتها اليه الظروف وحمله اليها مواطنو دراضين . وليس قليلا ان يتمكن بوبليكولا من أن يجيب الى الشعب سلطة تكاد تكون مستبدة ، والا يستخدم لذلك كل ماله من قوة؟ اعتدال عبر عنه صولون

يقوله عن الشعب «يطيع رؤساءه بلا تذمر» - «إذا كبح جماحه دون أن يسحق تحت حمله» ومن مفاخر صولون الخاصة الغاؤه الديون لانه وطد حرية الوطنيين . من العبث ان تسن شريعة المساواة اذا كانت الديون تحرم الفقراء الاستمتاع بها . ومن العبث ان يكونوا في الظاهر ممتعين بالحرية ماداموا في القضاء والوظائف العمومية وحرية الكلام عبيدا للاغناء خاضعين لاوامر دائنيهم ولقد فعل صولون اكثر من ذلك . من العلوم ان الغاء الديون يعقبه اضطراب وشقاق ولكن صولون استخدم في تطبيق هذا القانون الحكمة التي تتضمنها تناول دواء خطر شديد وتمكن من تهدئة الفتنة التي ثارت في اثينا بما لفضاه من الهيبة كما تمكن من تهدئة ما أحدثه القانون من الاعتراضات والتذمرات .

وإذا نظرنا الى إرادتيهما في جملتهما وجدنا صولون أبهى مطاعا ، وأنه شق طريقة بنفسه ولم يتقدمه احد وأنجز بمفرده لا يعاونه احد . جميع مشروعاته حتى اكبرها . أما بوليكلولا فكانت خاتمة اعماله اسعد شأننا ، يمسد عنينا . شهد صولون انقلاب الحكومة التي اسسها أما ما شاهده بوليكلولا فقد أقام النظام في روما الى عهد الحرب الاهاية ذلك ان صولون غادر اثينا بعد نشر قوانينه فتركها بلا مدافع عنها محفوظة في اللوحات والقوائم أما بوليكلولا فبإقامته في روما قابضا على ازمة الحكم ثبت قوانينه واكد بقاءها . صولون بعد جهد عظيم لزمه لتعطيل دسائس بير يستر اس التي فضح امرها ، انتهى الى الرضوخ لحكومة مطلقة اما بوليكلولا فقد تمكن من القضاء على ملكية قوية استمرت عدة قرون لم يكن شجاعته اقل من رغبته ولا اعزازه الفضيلة ولم يخنه الحظ الذي يدعم الجمهور ولا الهمة التي تنجز الاعمال

اما المعارك الحربية . فاذا صدقنا قول دايما كوس من بلاتيه (١) فان صولون

١ مؤلف تاريخ الهند اشار اليه سترابون كمجموعة قصص خرافية كاذبة عن تلك البلاد وهو كاتب غير معروف ولم يبق من كتاباته شيء



لم يكن قائد تلك الحملة ضد المجاريين التي روينها ولكن بوبليكولا أحرز على رأس الجيوش انتصارات باهرة وقد أودى في شخصيته . صولون بصفته رجل حكومة أشار على الاثنيين ان يستردوا سلامين . لجأ في ذلك الى الحملة فادعى الجنون . اما بوبليكولا فقد جعل فاتحة أعماله مخاطرة عظيمة ، أعلن عداؤه لتاركان وفضح المؤامرة وحال دون نجاة الخائنين من العقاب ولم يكتف بطرد الظالمين من روما بل قضى على أمانيهم ، ولئن كان قد واجه بهذا الحزم تلك الاعمال التي تتطلب الشجاعة والهمة ولم تكن لتستقر بدون قوة السلاح ، أظهر حكمة فائقة في الشؤون التي تقتضي اللوم السلمي والاقناع . فقد اكتسب بورسينا وهو قائد لم يقهر وعدو شديد الخطار وجعل منه صديقا للرومانيين وقد يعترض على هذا بان صولون افتتح سلامين التي أضاعها الاثينيون بينما بوبليكولا قد سلم أراضي كل الرومانيون يحتلونها ولكن يجب الحكم على حسب الظروف ، إن السياسي المحنك يعمل اعمالا متباينة في ظروف متباينة ، ويتناول الامور من حيث تكون ايسر قبولا . وكثيرا مايضحي بالجزء لسلامة الكل ويعطى قليلا لياخذ كثيرا . وعلى ذلك يكون بوبليكولا بتنازله عن اراضي اجنبية ضمن في ذلك اليوم صيانة جميع بلاده حين كانت اكبر سعادة في نظر الرومانيين ان يروا مدينتهم بعيدة عن الخطر ، وقد اجتلب اليهم ، اعدا هذه السعادة بجميع الاموال التي كانت في معسكر الحاضرين وباتخاذ عدوه حكما انتصر على خصمه وحصل مع النصر على كل ما كانت تطيب نفسه لبذله لتم له الغلبة . لان بورسينا عقد الصلح وترك للرومانيين جميع زخائر الحرب بفضل ما أدخله القنصل على نفس بورسينا من الثقة بفضائله وعظمة نفوس الرومانيين جميعاً ما

## تيميستوكل

وقعت أهم حوادث حياة تيميستوكل بين ٤٧٣ ٤٦٣ ق م . كانت عائلة تيميستوكل أقل من أن يكون مدينا لها بمجده . كان والد تيموكلس رجلا متوسط الحال اثينيا من مريار قرية قبيلة لنيوتيد . وكان من جهة والدته ابن زنا كما تشهد بذلك الأشعار الآتية :

أنا ابروتونوم امرأة من أمة التراقين . ولكني أنا التي ولدت ولي الفخر تيميستوكل العظيم للبلاد اليونانية (١) ولكن فانياس يقول أن والدة تيميستوكل لم تكن تراقية بل كانت كارية ويدعوها ابيتروب لا ابرورنوم . ويزيد نياتيس على ذلك قوله أنها من هادليكارنس من كارية .

كان أولاد الزنا يجتمعون للرياضة البدنية في ملعب سينوزارج الواقع خارج المدينة مكرسا باسم هرقل والحقيقة أن هرقل لم يكن الها بالمعنى الصحيح إذ كانت تعلق به ربيبة أبناء الزنا لأنه ابن امرأة . تمكن تيميستوكل من اقناع بعض أبناء الاشراف أن يشتركوا معه في الألعاب وتمكن بهذه الحيلة الماهرة من الغاء الفارق بين أبناء الزنا والوطنيين الحقيقيين . ومن المحقق أنه ينتسب إلى أسرة ليكوميد لأنه لما هدم هيكل ليكوميد في « فيلي » بعد أن اضرم البرابرة فيه النار أعاد تيميستوكل بناءه وحلاه بالصور ، هذه رواية سيمونيد . يقول الكتاب أنه أظهر منذ طفوله طبيعة حادة وعقلا عادلا وميلا طبيعيا للأعمال العظيمة . واستعداد رجل حكومي (سياسي) لم ير في أوقات الراحة والفراغ التي تسمح له بها دروسه الأولى لاعبا ولا عاطلا شأن أمثاله من الاطفال كان يقضيها مفكرا أو منشئا خطبا للاتهام أو الدفاع عن رفاقه . قال له استاذ

غير مرة : لن تكون يا بني رجلاً وسطاً ستكون متطرفاً إما في الخير أو في الشر !!

لم يكن يعنى بالعلوم التي تعرفنا آداب المعاشرة أو الفنون الجميلة أو رياضة الاجسام عناية كبيرة ولكنه كان يبذل جهداً فوق طاقته لتقوية ذوقه الطبيعي واستعداده للأعمال العامة لأنه كان يحسن ما انطوت عليه نفسه . وكان يجيب على سخرية الساخرين به من أولئك المتقدمين عنه في تلك الشؤون التي يدعوها حرة مستوحشين اخلاقه بكلمات ملؤها الالفة والاباء « حقيقة اني لأحسن الايقاع على المزهر (العود) ولا الالعب الجناسيكية ولكن أعطوني قرية صغيرة نكره وأنا أجعل منها مدينة شهيرة عظيمة »

ويؤكد سترنبروث (١) أن تيميستوكل تأدب على أناجزا كور وكان تلميذاً للعالم الطبيعي مالميسيوس . ولكن هذا خطأ تاريخي لأن مالميسيوس دافع عن ساموس ضد بريكليس وقد جاء هذا بعد ذاك بزمان طويل . وكان أناجزا كور صديقاً لبريكليس وعليه تكون الأولى هو الاخذ بقول القائمين كان أشد المنحسين لمنزيفيل ومنزيفيل هذا لم يكن خطيباً ولا فيلسوفاً من يدعوهم علماء طبيعة (٢) ولكنه كان ممن يعلمون الحكمة وهي في عرفهم صناعة الحكم وتدبير الاعمال العامة وكان منزيفيل ورث شيعة فلسفية ترجع الى عهد صولون وتنتشر تعاليمه . اضيف الى هذه التعاليم فن الجدل ثم عدل الاساتذة عن الاعمال الى الخطب الكلامية وأطلق عليهم اسم السوقطائن أما تيميستوكل فكان عند التحاقه بمنزيفيل قد اشترك في ادارة أعمال الحكومة .

كان لاول عهد شبيهه قلماً غير ثابت مستسلماً لجناحه الطبيعي لا يرده .

١ ولد في تاسوس ومعاصر بريكليس

٢ كانوا يطلقون هذا الملقب في العصور القديمة على فلاسفة المدرسة اليونانية مثل تالس واناجزيماندر ومالميسيوس

العقل ولا التربية يلقي بنفسه في تطرفات متباينة وغالبا يختار شرها اعترف  
بذلك فيما بعد بقوله « أن أشد مهر جماحا يصير خير جواد متى كبح جماحه  
وروض » وقد بالغوا في ذلك اذ قالوا أن والده حرمه ميراثه وإن والدته لما أعيهاها  
الاله من حياة ابنها الخجلة انتحرت . ولكن هذا على ما أرى محض انتراء  
ويؤكد البعض على العكس من ذلك أن والده أراد أن يحوله عن الاعمال  
العامة فراه يوما على الشاطئ قوارب هشيمة مهمة ، وقال : « هذا ما يعمله  
الشعب بالخطباء حتى صاروا عديمي النفع »

ومهما يكن من الامر فإن تيمستوكل كان قد وضع يده على الاعمال العمومية  
وعمل فيها بحموية تحدوه رغبة شديدة للمجد متطلعا الى المقام الأول متصديا كبار  
رجال المدينة وثقاتها وكان اشد عنادا ومقاومة لار يستيد بن ليزيما كوس معارضة  
الدائم المستمر ويزعمون ان البغضاء نشأت بينهما لاسباب حقيرة ولو صدق  
الفيلسوف اريهتون (١) كان سبب العداء ان كلاهما احب ستاذيلاوس الجميل  
(من تاوس) ومن هذه المنافسه بدأ خلافهما السياسي . ولكني اعتقد أن  
سبب هذا الجفاء يرجع الى ما كان بينهما من تفاوت في الاخلاق والسلوك .  
كان اريستيد دمث الاخلاق حميد السيرة لم يقصد من اعماله السياسية لارضى  
الشعب ولا بمجد نفسه بل ما اعتقده لأفضل والاكثر ملاءمة للطائفة العادلة  
لذلك كان يرى نفسه مضطرا لمقاومة تيمستوكل وللمعارضة في اعلاء شأن رجل  
لا يفتأ يحرض الشعب مشروعات جديدة وبدأ على تغير كل شيء في  
الحكومة . والحقيقة أنه بلغ من شغف تيمستوكل بالمجد وشهته الشديدة  
لكل ما يكسبه الحمد انه بعد موقعة ماراتون التي انتصر فيها الانيون على البربر  
وسماعة الناس يطرون حملات امتياد لزم الصحة والتفكير والعزلة ولم يغمض له

١ - اريستون خبوس تلميذ زينون الزاهد الرواقى وامكنه تلميذ قليل الامانه قضى حياته مستمتعا  
بالملاذ على تقيض خافه

واجتذب الولائم العمومية العادية . ولما دهش الناس وسألوه في ذلك . قال ان اكايل ملتياذ لا تسمح لى ان أنام . كان الاثينيون يحسبون هزيمة البربر في ماراتون خاتمة الحرب ولكنهم لم تكن في نظر تيمستوكل سوى فائحة لمعارك كبرى وأخذ يستعد لهذه المعارك التي رآها عن بعد ، لحماية اليونانيين جميعاً وجهاز اثنينا بكل الوسائل . وكان أول ماسعى له انه اجترأ ان يقترح وحده على الاثينيين أن يخصصوا موارد مناجم الفضة في لورلوم التي اعتادوا تقسيمها بينهم لبناء سفن الحرب ايمن . وكانت هذه حينذاك مشكلة يونان الكبرى . وكان الايجيون يملأون البحر بسفنهم .

هذه هي الحجة التي تذرع بها تيمستوكل لتحقيق غرضه لا الخوف من داريوس والفرس الذي كان بعيدا جدا وغير متوقع . ولقد عرف لاسمالة الاثينيين إلى هذا الاستعداد ان يشير فيهم عوامل الغيرة والبغض ضد الايجيتيين . فبنوا بأموال المناجم مئة مئينة قتلت كزرسيس ايضا وأخذ من ذلك الوقت يستهوى اثنينا للشؤون البحرية ويطبعهم على الميل اليها ومن اقواله « اتنا على البر لا نستطيع أن نقاوم حتى جيراننا ولكننا على البحر نستطيع أن نقهر البربر ونسيطر على جميع اليونان » فحول بذلك كما قال أفلاطون جيشا بريا عظيما إلى بحارة ونوتية وكان عرضه للوم القائلين لقد انتزع من الاثينيين الرمح والدرع ليقعد بهم إلى المقاعد والمجازيف وقال ستازيمروت أن تيمستوكل وصل الى هذه الغاية بالرغم من ملتياذ الذي لم يتمكن من تغلب المعارضه

هل أفسد التغيير او لم يفسد كمال حكومة اثنينا وحلفائها . ! هذه فلسفة اكبر من تعالج هنا ولكن المؤكد هو أن اليونان مدينة بسلامتها للبحر وأن هذه السفن اعادت بناء اثنينا التي كانت قد تهدمت . والبراهين على ذلك كثيرة منها سلوك كزرسيس . بعد هزيمة عمارته وقبل أن يهزم جيشه اذولى الأدبار . معلنا انه لا يقوى على القتال ولئن كان قد ترك ماردنيوس في اليونان فذلك على

مأعتقد ليمنع اليونانيين اقتفاء أثره لايخضعهم

من الياس من يمثل تيمستوكل كرجل يطلب المال بجميع الوسائل ليسد نفقاته لانه كان مولما بتقديم الضحايا وحسن ضيافة الغرباء وعاليه تكون نفقاته جسيمة

من الناس من يعكس هذا القول فيتهمونه بالبخل والشح حتى أنه يبيع ما يقدم اليه من الهدايا وانه طلب من فيليدس مروض الخيل مهراً ابان عليه فهدده بان يجعل من بيته . حصان خشب جديد (١) اراد لذلك أن يشير في منزل فيليدس الشجار العائلي والقضايا الاهلية .

لم يبعد احد في مطعمه مثل تيمستوكل . تمكره وهو في أوائل حياته مجهولاً بفضل الحاجة على ابيكلس الهرميوني العواد ( الضارب على المزهر ) الذي اغرم به الاثينيون أن يعطي دروسه في منزله ليكون مقصوداً مزدحماً . وحدث مرة انه اراد أن يتفوق في الالعب الاولمبية على سيمون بفخامة مائدتته وخيامه وفخامة ثيابه وهندام حاشيته وكان المنظر أن يسمح بهذا لسيهون وهو شاب من أكبر أسرائيننا ، أما أن يجراً تيميستوكل وهو رجل حديث العهد أن يتجاوز قدر نفسه فلا ، وقع ذلك في نظر اليونانيين موقع التبجح والسخرية . وحدث مرة أنه تعهد عند تمثيل أحد الروايات أن يقوم بنفقات فرقة الملحنين للشاعر المتفوق . وكان ذلك مشار التنافس والاهواء واثبت تيميستوكل هذا النصر بلوحة أودعها إحدى الهياكل مكتوب عليها : « قام تيميستوكل الفرياري بنفقات فرقة الملحنين وكان فرينيكوس مدير التمثيل واديمانت الحاكم » .

ولنقل أن تيميستوكل كان محبوباً من الجميع سواء كان ذلك لعنايته بتحية كل وطني باسمه مذ يراه أو كان ذلك لعدله في الحكم فيما يقدم اليه من القضايا عند توليه القضاء : طلب اليه يوما سيمو نيدس السيوسي طلباً غير عادل فقال له .

١ اشارة الى الحصان الخشب الذي كان سنباً في خراب الطرواديين ( الاياذم )

لا تكون شاعراً مجيداً إذا افسدت اغانيك القياس ، ولا اكون حكماً عدلاً إذا أبحث امراً ضد التوانين » وقال له يوماً مازحاً ، أنك مجنون لذكك الكورنيثيين الذين يسكنون مدينة عظيمة وأن تصور نفسك وانت شنيع الوجه « واخيراً عندما عظمت شو كته ورسخت ثقته من نفوس الشعب انشأ حزبا ضد اريستيد ونفاه بالاقتراع السرى وعندما عرف خبر سير الفرس ضد اليونان اجتمع الاثينيون لانتخاب قائد امتنع جميع القواد الذين يستحقون القيادة فزعين من هول الخطر ولكن ابيسيد بن افيميدس وحده وهو خطيب بالبيع الا أنه ضعيف القلب غير طاهر اليد تقدم مزاحماً لتيميستوكل . وكان في وسعه أن يجمع الاصوات على انتخابه غير ان تيميستوكل الذي تبين طباع يونان إذا تولى قيادها رجل كهذا اشترى بالمال تنازل ابيسيد وقد امتدحوا ايضاً مسلكه مع مترجم السفراء الذي ارسله الملك ليطلب من اليونانيين الارض والماء . أمر فقبض عليه واستصدر من الشعب حكماً بقتله لجرأته على استخدام اللغة اليونانية في التعبير عن أوامر بربرى ولم يكن استعداءهم لعمله هذا أكثر من استحسانهم لقسوته على ارثيموس لزبلى . وقد حكم على ارثيموس هذا بالخيانة هو وعائلته وجميع ذريته لانه حمل الى يونان ذهب الفرس ولكن خير اعمال تيميستوكل هو اطفاء نار الحرب الداخلية في يونان وتوفيقه بين المدن واقناعها بالعدول عن العدوات الخصوصية أمام العدو المشترك وهذا مشروع عاونه عليه خيلاوس الاركاى بجميع قواه

ما تولى تيميستوكل القيادة حتى جهد لحل الاثينيين على ركوب السفن ومغادرة المدينة الى البحر والسير الى ابعد ما يكون عن البلاد اليونانية لملاقاة البربر . لقي هذا الرأي معارضة من الكثيرين فقاد تيميستوكل مع السبارطين جيشاً عرمرماً الى وديان طنبية للدفاع عن تساليا التي لم يكونوا يعرفون بعداتها انحازت الى الفرس بادروا المكان دون أن يقوموا بعمل ؛ ولما انضم التساليون الى الملك سلمت البلاد لهم للبربر وعندئذ أخذ الاثينيون بنصيحة تيميستوكل وفروا لحمله البحرية .



وارسلوا القائد باسطول الى اوعيز يوم للدفاع عن البوغاز

أراد اليونانيون الاخر ان يقلدوا القيادة اريبياد والسيارطين وأبي الاثينيون ذلك بحجة أن لهم وخدم من السفن أكثر مما لجميع اليونانيين كلهم . ولكن تيميستوكل أحسن خطورة هذه الدعوى فتنازل من تلقاء نفسه عن القيادة لاريبياد واطف من حدة الاثينين بوعدهم اذا هم استبسلوا في هذه الحرب جعل اليونانيين كلهم تحت أمرتهم بهذا أصبحت اليونان كلها مدينة بسلامتها لتيمستوكل وأصبح الاثينيون أنفسهم مدينين له بمجدهم في الانتصار لبسالتهم والحلفاء بحسن سيرهم وأعمالهم وعندما القت أساطيل البربر مراسيها أمام « أفث » فزع اريبياد لكثرة عددها وعلمه أنها مائت سفينة أخرى تطوف حول جزيرة سياتوس اذاد الاسراع بالعودة الى داخل البلاد اليونانية وان يلزم شواطئ بيلوبونيز حتى يكون جيش البر قادرا أن يعاون جيش البحر موقنا أنه من المستحيل أن يقاوم قوات الملك البحرية خشى الاويبيون أن تتركهم اليونانيون فارسلوا الى تيميستوكل خفية أحدهم ، بالاجون بحمل اليه مبلغا جسيما من المال . قبله تيميستوكل وأعطاه لاريبياد ، لوصدق قول هيرودوت . ولكن الاثينيين قاوموا تيميستوكل لان ارخيتالس ربان السفينة المقدس هو الذي لم يكن لديه من المال ما يدفعه للبحارة . أهاج تيميستوكل النوتية ضد ارخيتالس وكانوا مستائين منه فهجموا عليه واختطفوا عشاءه . أحفظت الالهة ارخيتالس وطفق يشكو ، أرسل اليه تيميستوكل خبزا ولحما في سلة أودعها تالان من الفضة مع أمره بان يتعشى هادئا وأن يسترضى في الغد البحارة وإلا اتهم أمام الاثينين بأنه أخذ من العدو مالا هذه حكاية فانياس الاسبي

لم تكن المعارك التي نشبت عند البوغاز حاسمة ولم تعد على اليونانيين بفائدة كبيرة بل كانت مواقع امتحنوا فيها قواهم وتعلموا من القتال ذاته أن عدد السفن وأهبتها ونخامة زينتها وصيحات الازدراء والانشيد البربرية لم تكن لتخيف رجالا أشداء مستبسلين وما عليهم سوى أن يحتقروا هذه المظاهر وأن يواجهوا العدو



وأن يحيطوا به وأن يشدوا عليه ليوثقوا به . هذا ما فهمه بندگان عند قوله عن  
موقعة ارتيميزيوم .

« إن أبناء أثينا وضعوا أساس الحرية أنفختم » والحقيقة أن الجرأة  
طليعة النصر .

ارتيميزيوم لسان من جزيرة أوبه يمتد الى الشمال فوق استيلو أمامها البيرون  
في البلاد التي كان يحكمها فيلوكتيت . ويوجد على هذا اللسان هيكل باسم ديانة  
المشهوره « بالشرقية » محاط بالخشب تزين مدخله بوابة من حجر أبيض اذا ذلك  
باليد تصاعدت منه وتكون بلونها . مكتوب على أحد أعمدته الاشعار الآتية .  
ألف أمة أتت من ممالك آسيا : وأبناء أثينا ، على هذه البحار .  
أفنوا عماراتها ولما هلك جيش الفرس . أقاموا هذه الاكاليل للعدراء ديانة .  
ولا يزال هناك مكان ممتزج فيه الزمال برماد أسود كأنه مر بالنار في دائرة  
فسيحة ، يعتقدون أن من بقايا السفن والجثث التي أحرقت هناك

ولما نمت من ارتيميزيوم أنباء التروموويل وعلم موت ليونيداس وأن كسيرسيس  
امتلك ناصية المداخل البرية ، عادوا الى داخلية يونان ، سد الاثينيون السبيل  
تماماً نفوسهم كبرياء النصر الذي أحرزوه وأخذتيميستوكل يحاذى الشواطىء حيث  
كان يعتقد أن العدو لا بد آت بسفنه يستعيدقواه كان يكتب بحروف كبيرة سواء  
على ما يجده من الاحجار أو ما يقيمه عمداً في الاماكن المطروقة التي تصلح للايواء  
والرقابة حوجها كلماته الى اليونانيين « تعالوا لواءتكم انضموا الى أبنائكم  
الذين يعرضون صدورهم للدفاع عن حريتكم وأن لم تستطيعوا فشدوا على الاقل  
أثناء القتال على جيوش البربر والقوا بينهم الاضطراب » أراد بذلك أن يجتذب  
اليونانيين الى مناخرة اليونانيين أو يرهبهم ليجمعهم موضع ريبقى نظر البربر .

على أن كيرسيس نفذ من الدور يد العليا الى فوسيد وأخذ يحرق ويخرب  
مدن القوسيديين دون أن يتقدم اليونان لمساعدتهم . بالرغم من الحاح الاثينيين

في الرجاء اليهم أن يقاوموا العدو في بيوتيا ويجمعوا الاتيك كما فعلوا بحرا في الارتيروز يوم بالدفاع المشترك . ولكن لم يسمع اليهم أحد : لم يفكر اليونانيون الاخر الا في البلوتونيز أرادوا أن يجمعوا في البرزخ جميع قوى يونان وأن يسدوا الرزح من بحر لاخر أغضبت هذه الخيانة الاثينيين وادخلت الى نفوسهم الحزن والخور ولم يكن في وسعهم أن يفكروا في أن يقوموا وحدهم بتجارة آلاف من الاعداء ولم يبق لهم سوى أن يغادروا أثينا ويركبوا السفن ولكن الشعب لم يقبل ذلك معتقدين ان لا امل في النصر ولا سبيل للسلامة اذا تركوا هياكل الآلهة وقيود الالباء . ولكن تيمستوكل وقد يئس من اقناع الشعب بالمعقولات عمد الى احداث المعجزات وانطق بالوحي كما يعمدون في التمثيل ( الردائي ) الى الآلات . والمعجزات التي افترضها هي اختفاء تنين مترفا ، الذي لم يرتك الايام في بيت المقدس . ووجد السكينة التقدّمات اليوم سليمة فاذا عوا ، بناء على اشارة من تيمستوكل ، ان الآلهة غادرت المدينة وارتمى طريق البحر . واستشهد بالوحي قائلا ان الجدران الخشب التي تكلم عنها ليست سوى السفن ، لقد منح الآلهة مدينة سلامين لقب . الآلهة ، لا التعسة ولا المشؤمة لانه سيجعلها احدى مواقع اليونان الجليلة ،

واخيرا تغلب رأيه فاصدر أمرا ان يدع الاثينيون المدينة تحت حماية ميهنرفا حاميتهم وان ينزل كل رجل قادر على حمل السلاح الى السفن ، وان يعد كل انسان ما في طاقته لحماية امراته وأولاده وعبيده ، صودق على هذا الامر ، وارسل اكثر الاثينيين أهدهم ونساءهم الى ترازين حيث استقبلوا بالحفاوة والاكرام وقرر الترازيون اطعامهم على حساب الخزانة العامة وعينوا لكل فرد فلسين يوميا واباحوا للاطفال اقتطاف ماشاؤا من الأثمار ، وقاموا بنفقات وكان هذا القرار من حسنات نيكاجوراس . كانت خزانة اثينا فارغة ، ويقول لدرسطوان المجلس الاعلى قرر لكل جندي ثمانى دراهمات وإنه صاحب

الفضل في تمام اعداد السفن وتجهيزها بالسلاح ، ولكن كلিদاموس يقول أن حيلة تيميستوكل هي التي أوجدت المال ، ذلك أنه عند ما نزل الاثينيون الى بيره وجد ستار تمثال مينرفا ضائعاً فاخذ تيميستوكل يفتش كل مكان بحجة البحث عنه فمثر بمقادير وافرة من المال خبأه الاهالى بين أسراب القطعان . وضعت هذه الاموال تحت تصرف الحكومة فتمكن الجنود من الحصول على المؤونة اللازمة وأخيراً طفت المدينة فوق الامواج . ملك هذا المشهد على الاهالى مشاعرهم وأعجبوا بجرأة أولئك الرجال الذين بعثوا بأهلهم الى مدينة غريبة وساروا الى سلامين لم تأخذهم هزة حزن ولا ندت عيونهم لبكاء نسائهم ووداعهن . ولكن الذى تنير عواطف الحنان أكثر من هذا هو منظر أولئك الشيوخ الذين لم تسمح لهم شيخوختهم بالسفر ، يضاف الى هذا الشعور المؤلم ، حنين الحيوانات اساجنة التى كانت تجرى على الشاطئ . هنا وهناك وهى تعوى عواء محزنا تستصرخ باصحابها . ومما يروى أن كلب كسانتيب والد بريكليس أبى مفارقة سيدده ، رمى بنفسه فى البحر ، وسبح بالتقرب من مركبه حتى سلامين حيث نفق من التعب ولا يزال حتى الآن هناك « قبر الكلب » الذى يقال أنه دفن فيه .

هذه أعمال تيميستوكل المجيد لم يقف بها عند هذا الحد ، لحظ ان الوطنيين آسفون لابعاد اريستيد وانهم يخشون ان يدفعه الحقد للانضمام الى البربر ويفسد على اليونانيين أعمالهم . وكان حزب تيميستوكل قد نفاه بالاقتراع السرى قبل الحرب ، فقد مشرعاً يبيع للمنفين العودة والاشراك قولاً وعملاً مع الوطنيين فيما يعود على البلاد بالفائدة والسلام .

كانت سبارطة لتفوقها على جميع مدن يونان ، قد عينت أريبياد رئيساً أعظم للأسطول ولكنه كان رجلاً جبان القلب أمام الخطر . أراد ان يقلع ويسير بأسطوله الى البرزخ حيث اجتمع جيش بوبوكتز البرى . عارضه تيميستوكل ، ولهذه المناسبة بقيت أجوبته محفوظة . قال اريبياد ، باتيميستوكل ، لانهم يصنعون

في الالهاب الالوانية ، من يرحلون قبل اعطاء الاشارة . ( فاجاب تيميستوكل ؛  
 ( حقيقة ، واكنهم يتوجون ) . رفع أريبياد عصاه كمن يريد ان يضرب . فقال  
 تيميستوكل « اضرب ولكن اسمع » أؤخذ أريبياد بهذا التواضع فدعاه للكلام .  
 أخذ تيميستوكل يجتذبه الى رايه . ولكن أحدهم اعترضه بقوله . ( لا يحق لرجل  
 لامدينة له ان ينصح لاصحاب المدن ان يتركوها وان ينجونوا وطنهم . فعاجله  
 تيميستوكل بقوله « أيها الشقي ، لئن كنا قد تركنا منازلنا وجدرائنا فلانا لم نرد  
 ان نكون ارقاء حبا في أشياء لاحياة لها ، على اننا لا نزال لنا أكبر مدن يونان  
 وهي هذه المئتا سفينة ، المعدة اذا شئتم ، لمساعدتكم على النجاة . اما اذا سافرت  
 وختمتم عهدنا للمرة الثانية فدوف تسمعون يونان قائلة : ان الاثنين يملكون  
 مدينة حرة . يملكون بلدا لا تقل جمالا عن التي فقدوها . » فزع أريبياد من  
 العزلة التي يتركه فيها انسحاب الاثنين . أراد أحد الاثريين الكلام ضد  
 تيميستوكل فعاجله هذا بقوله ! « ماذا أتسكلمون أنتم الآخرون عن الحرب وأنتم  
 مثل « التيتيد » (١) . سيف ولا قلب

بينما كان تيميستوكل يلقي عباراته هذه وهو واقف فوق مقدمة سفينة ظهرت  
 « بومة » وطارت الى عين العمارة ووقفت على اعلى الصاري . اجمع هذا الضال  
 اليونانيين على رأى تيميستوكل وقرروا الحرب بحرا . ولكن عند ما ظهرت اساطيل  
 العدو على سواحل اتيكا بالقرب من ميناء فالبر . وملأت الشواطىء المجاورة ، ونزل  
 الملك شخصيا الى البحر ، ونشر جيشه على مرأى من الجماعة ، حينئذ انحبت  
 اقوال تيميستوكل من عقول اليونانيين ووصول السبارطيون انظارهم ثانية نحو البرزخ .  
 ولم يقبلوا سماع حديث في غير هذا المعنى . وتقرر الرحيل تلك الليلة واعطيت  
 أوامر السفر للنوتية .

(١) التيتيد . نوع من السمك من فصيلة المواليسك . ولكن ما يقال عن تركيبه خطأ  
 اذله جميع أعضاء السمك . مع فوارق تجعل له طبائعه خاصة ؛

رأى تيميستوكل مع الألم الشديد ان اليونانيين بتفرقهم كل الى مدينته  
يضيعون الفائدة العظمى التى تمنحهم اياها طبيعة المكان وهذا الممر الضيق .  
لجاء الى الحيلة وكان سيسينوس عدته فى ذلك كان سيسينوس هذا اسير حرب  
قرسى الاصل ، وصدىق تيميستوكل ومربى اطفاله . اوفده سراً الى ملك القرس  
وامره ان يخبر الملك ان تيميستوكل قائد الإثنين مخلص لمصالح الملك ، وهو يخبره  
ان اليونانيين اعزموا الفرار . وانه ينصح لك الا تدعهم يفلتوا ، فينتهز فرصة  
الاضطراب الذى اوقعهم فيه غياب جيوشهم البرية لمهاجتهم والقضاء على قواتهم  
البحرية . طار كزرسيس فرحاً بهذا الخبر ولم يرفيه سوى دليل على اخلاص  
تيميستوكل اسرع باصدار امره الى ضباط السفن الكبرى بالاقلاع والمهاجمة .  
بينما تعبأ السفن الباقية على مهل . وان تقوم مائتى سفينة فى الحال للاستيلاء  
على الممرات ، ومحاصرة الجزر حتى لا يفلت احدهم الاعداء .

كان اريستيد بن ليزيما كوس اول من لمح هذه الحركة فأسرع الى خيمة  
تيميستوكل ، لم يكن صديقه بل هو الذى نفاه كما تقدم القول . خرج تيميستوكل للقائه فقال  
له : لقد حوصرنا . كان تيميستوكل يعرف امانته وقد سر بعودته ، فافضى اليه بما  
فعله بواسطة سيسينوس ، ورجا اليه ان يستبقى اليونانيين وان يعمل من بآله  
من المنزلة لديهم لملهم على القتال فى المضيق . اثنى اريستيد على تيميستوكل  
ثم قابل القواد ورجال السفن وحثهم على القتال واذا كانوا فى ديب من وجود  
منفذ ، انضمت مركب من تانادوس بقيادة باناتيوس الى اليونانيين واكد لهم  
الخبر اضطرتهم سورة الغضب والضرورة الى خوض غمار القتال .

كان كزرسيس فى صباح الغد عند فجر النهار جالساً على مرتفع يرقب حركات  
المركة يقول فانوديم (١) ان ذلك المرتفع هو قمة هيكل هرقل ، بانقرب من اضيق مكان

(١) كان معاصراً لتيميستوكل ، مؤلف كتاب تاريخ اتيكا وهو غير معروف كثيراً

في القناة يفصل جزيرة سلامين من أتيكا . ولكن اسيستوتور (١) يزعم ان كان على حدود مينجاريد . على المرتفعات التي تعرف بالقرون . كان كزرسيس جالسا على عرش ذهبي والى جانبه جماعة من السكتاب يشبتون حوادث القتال .

بينما كان تيميستوكل يقدم الضحية على سفينة القيادة جيء اليه بثلاثة فتيان كاجل ما يكون في بزة فخمة تزينهم حلى ذهبية ، قيل انهم أبناء أوتاركتوس وساندوسه اخت الملك ، فما رآهم العراف أوفرنتيد حتى سطع من الضحايا لهب متلالي ورن صوت عطسة من جهة اليمين . أخذ العراف بيد تيميستوكل وطلب اليه أن يقدم الفتيان ضحية لباخوس أومستيس ، يقدمهم ذبايح زاعما أن هذه هي الوسيلة الوحيدة لسلامة اليونانيين وانتصارهم . جمد الدم في عروق تيميستوكل لطلب العراف لما فيه من قسوة وحشية . ولكن الجمهور جرى على عادته عند المخاطر يعتمد في سلامته على غرائب الاوهام أكثر من حقائق العقل . أخذ الجمهور يضرب للاله وقاد الاسرى الى المذبح ملحا في وحبوب اجراء الضحية على ما أمر العراف . هذا ما رواه ثانياس اللسبونى ، فيلسوف وعالم من علماء التاريخ القديم . أما عدد سفن البربر فقد قال عنها الشارع أشيل (٢) في رواية الفرس « بصفته شاهد عيان » معتمداً على معلومات وثيقة .

أنا الضمين بان جملة ما كان لا كزرسيس الف سفينة . عدا مرا كبه الصغيرة التي تبلغ مائتى وسع مر كا . هذه هي الحقيقة . وكان الاثينيين مائة وثمانون سفينة على كل منها ثمانية عشر جنديا يقاتلون من أعلى جسرهما . منهم أربعة رماة نشاب والآخرون من المشاة المدججين بالسلاح . ولم يكن تيميستوكل اقل مهارة في اختيار ساعة القتال منه في اختيار المكان . أبى أن يبدأ القتال الا عند هبوب ريح قوية في البحر تثير الامواج في البوغاز ، ولم يكن هذا يعطل

١ لم يعرف عنه سوى انه مؤلف مبرت في الشؤون الجرافية للمدن

٢ حضر أشيل موقعه سلامين

شيئا من نشاط السفن اليونانية التي كانت مسطحة وقليلة الارتفاع . أما سفن البربر التي كانت عالية المقدم مرتفعة الجسر ، ثقيلة الحركة تدور بجهد عظيم فكانت هدفا لسهام اليونانيين ؛

حمل هؤلاء على الاعداء حملة صادقة منفذين بدقة أوامر تيميستوكل والقواد يعلمون حق العلم ما يجب عمله .

ركب اريامين اميرال كزرسيس وهو جندي باسل وشجاع وهو اعدل اخوه الملك ، سفينة ارسل منها السهام وابلا . يرمى بها من فوق جدار مصوبة الى الجهة التي بقاتل فيها تيميستوكل . اندفع امينياس الدبيلي وسوزيكاس البيدي عليه بعنف حتى اصطدم مقدمة السفينة النحاسيين وتلاصقا . قفز ارياحين الى السفينة الاثينية فتلقاء الجنديان وقتلاه بالاسفة ، وقدفا به البحر . بصر ارياميس بجثته طافية بين الاشياء فنقلها الى كزرسيس

قيل أنه بينما كان القتال على هذه الحال سطح نور باهر من جهة اليزيس وامتلأ السهل من اتريازي الى البحر باصوات مضطربة كثيها أصوات جماعات عديدة من الرجال تقود فرقة باكوس الخافية وخيل الى الاوهام رؤية سحب من الغبار تثيرها سير هذه الجماعات المائجة ، ترفع رويدا رويدا الى الهواء ثم تنحدر ساقطة على السفن . ويقول البعض أنهم رأوا صور رجال مساحة تتراى تمدايديهم من جهة جزيرة « أجين » الى سفن اليونانيين . والمظنون أن هؤلاء هم « الياسد » الذين استغاثوا بهم قبل القتال

كان ايكوميد الاثيني وهو رئيس سفينة أول من استولى على سفينة من سفن الاعداء فجردها من اعلامها وجعلها مقدمة لابلون وافنفور . كانت سفن اليونانيين مساوية لسفن البربر في ساحة القتال نظرا لضيق البوغاز حيث كان هؤلاء مضطرين أن يقدموا سفنهم بالتوالي فيعطل بعضها بعضا . استمر القتال حاميا طول النهار حتى ارخى الليل سدوله فاضطر الفرس الهرب وتم النصر كما قال سيمومند



في اجل وامجد معركة خاصتها اليونانيون والبربر بفضل شجاعة الجنود وحكمة ومهارة تيميستوكل .

اراد كزرسيس بعد هذه الموقعة أن يعاود الكرة بالرغم من هزيمته وقصد الى سد البوغاز لنقل جيشه البرى الى سلامين ويهاجم اليونانيين فاقترح تيميستوكل قاصدا اختبار اريستيد ان يذهبوا الى هلسبون ويقطعوا جسر السفن قائلا « ان هذه هي الطريقة الوحيدة لجعل اسياني اوروبا » لم يرق هذا الاقتراح لاريستيد وقال ! انا الى اليوم لم تقاوم سوى بربر انهكم الترف . ولكننا اذا احتبسناهم في يونان وقضى الخوف والضرورة الى محاربة رجل يقود جيوشا عديدة فانه لا يقعد حينذاك على محض ذهبية يشاهد القتال مطمئنا بل يجرأ على كل شيء ويحمل الخطر الى كل مكان فيسترد ما خسره عملا بنصائح أوفر حكمة . فقال تيميستوكل اذا علينا بدل أن نقطع جسر السفن أن نقيم في وجههم جسرا آخر لنطرد العدو بأسرع ما يمكن من أوروبا . إذا كنت ترى هذا صوابا فلنسرع بتبادل الآراء معا ولندير خطة ننفذ بها يونان من وجوده بأسرع ما يمكن » أخذا بهذا الرأي ثم أوفد تيميستوكل خصي كزرسيس ، أرناس كان أسيرا ، الى الملك ، يحمل اليه الرسالة الآتية .

ان اليونانيين بعد انتصارهم في البحر يستعدون للرحيل الى هلسبون ليقطعوا جسر السفن الذي أقاموه وأن تيميستوكل قلق على سلامة الملك لينصح له بسرعة العودة الى البحار الخاضعة لسلطانه ويعود الى أسيا وأن تيميستوكل من جهته سيجد المعاذير ليلبس الحلفاء ويؤخر مطاردتهم له . استولى الرعب على ملك البربر عند سماعه هذا الخبر وانسحب بسرعة اثني ماردنيوس على حكمه تيميستوكل وأرست كان اليونانيون في خطر محقق في بلاتا على أنهم لم يحاربوا سوى جانب صغير من جيش كزرسيس

قال هيرودرت أن أجين تفوقت على جميع المدن في هذا اليوم العصيب .



واسكن اليونانيين بالاجماع خصوا تيميستوكل بالمقام الاول بين الشجعان ولكن مع شيء من الاسف لانهم كانوا يمسدونه على مجده . والواقع أنه عند ما عاد الزعماء الى البرزخ وقدموا اليهم أمام المذبح واعلنوا اختيارهم ، نسب كل منهم المقام الاول لنفسه والثاني لتيميستوكل أما السبارطيون فانهم قاروه الى سبارطة وقدموا الى اربيناد جائرة المجد والى تيميستوكل غصن زيتون جائرة الحكمة واهدوا اليه اجمل مركبة في المدينة وعند سفره سار معه ثلاثمائة شاب اجلالاً لمقامه حتى الحدود . ويقال ايضا إنه في الايام الاولى للمليادة التالية ظهر تيميستوكل في الساحة فذسيت النظارة المتصارعين وحولوا انظارهم طول النهار محدقين به مشيرين للاجانب عليه هاتفين له هتاف 'لاعجاب مصفقين ملء ايديهم وقد اعترف تيميستوكل في هذه الحفاوة المنعشة لاحد أصحابه ، ان هذا جزاء وفاق لكل ما احتملته من الآلام في سبيل يونان

أن شفقه بالمجد كان بالغاً أقصى حد كما يتبين لنا من الاحاديث المروية عنه عند ما انتخبه الاثينيون قائداً للبحرية امتنع عن انجاز ما كان يرسل اليه من قضايا الناس والحكومة لوقتها يؤجلها الى يوم سفره حتى يرى الناس ما ينتحر من قضايا عديدة مخاطباً صنوفاً من الناس عديدة فيكبر شأنه في نظرهم ويعظم خطره بينهم وحدث مرة أنه كان يسير فوق الشاطئ فرأى جيشاً طافية فوق البحر مما تحمله الامواج وفي معاصم وعنق أكثرها أساور وبخناق من الذهب فاستمر في سيره ولكنه قال لاحد أصحابه مشيراً الى هذه المصوغات « اذهب وخذها لك لانك لست تيميستوكل » كان انتيفاتس شاب جميل شمع بأنفه على تيميستوكل ولكنه مذراه قد بلغ من الشهرة ما بلغ أخذ يتقرب اليه بلا انقطاع ، فقال له تيميستوكل لقد صرنا يا صديق عقلاء في آن واحد ولكن بعد فوات الفرصة « (متأخرين) وقال عن نفسه « إن الاثينيين لا يضمنون له احتراماً ولا اعجاباً ولكنهم يستخدمونه كما

يستخدمون شجرة وارثة الظلال يأوون اليها عند هبوب العاصفة ومتى انقضت  
 احدوا يقطعون أوراقها ويهصرون أغصانها . قال له « سيرفي » « لست صانع  
 شهر تلك بل اصطنعها لك وطناك » فقال تيميستوكل « اصبحت ولكنى ما كنت  
 لاعرف المجد لو أئى ولدت في سيريف ولا أنت لو أنك ولدت في ائينا » كان  
 احد الزعماء بحسب نفسه ادى الى الجمهورية خدما جليلة ويقارن اعماله باعمال  
 تيميستوكل فاجابه « نخاصم يوم العيد مع أمه ، شكنا هذا انه لايجد راحة وأنه  
 ينقضى بين الشاغل على انهم لا يعملون يوم العيد شيئا تمتعا بما جمعوا في الايام  
 الاخر . فاجابه يوم العيد لك الحق ولكن لولم أكن أنا لما كنت انت . » ثم  
 قال تيميستوكل وأنا إذا لم أكن فأين كنتم تكونون الآن كان ابن تيميستوكل  
 يسىء استخدام عطف والدته ويستعملها للتحكم في والده فقال تيميستوكل مازحا  
 أن ابنه ، اقدر جميع اليونانيين « والحقيقة أن الاثينيين يتحكمون في جميع  
 اليونانيين وأنا اتحكم في اليونانيين ووالدته تتحكم في وهو يتحكم فيها » كان  
 يصطنع الاغراب في جميع شونه عرض ارضا للبيع وقال في المناداة عليها « سيكون  
 للمشتري فوق هذه الصفقة جار طيب . » تقدم طالبان لخطوبة ابنه ففضل  
 الرجل الصالح على الغنى قائلا « أريد صهرا يكون رجلا في حاجة الى ثروة لا ثروة  
 في حاجة الى رجل » هذه كلمات تيميستوكل والمأثورة

بعد أن فرغ تيميستوكل من الاعمال الجليلة التي اتينا على شرحها اسرع الى  
 العناية باعادة بناء ائينا وتحصينها وقد تغلب على معارضة النواب بالمال . هذه  
 رواية تيويونب ولكن الخبر المأثور هو انه استعمل الحيلة . سافر الى سبارطة  
 بصفة سفير ولما كان السبارطون يشكون من تحصين ائينا اعتمادا على شهادة بوليارك  
 الذى أوفده الاجينيون خصيصا لاتهام الاثينيين . أنكر تيميستوكل الواقع وطلب  
 ارسال أناس الى ائينا ليتجشثوا الامر . لم يرد بذلك سوى كسب الوقت لنهاية  
 بقاء الجدران واعطاء الاثينيين رهائن عن نفسه في شخص الموفدين . ثم افترض

بذلك وادرك السبارطيون الحقيقة فكظموا غيظهم وتركوه يسافر دون أن  
يمس بأذى »

ثم أخذ في تحصين بيرة ، لأنه أدرك ميزة هذا البناء ، وبذلك استمال الشعب  
الاثيني إلى البحر . سار في ذلك على سياسة مناقضة لسياسة ملوك اثينا  
الاقدمين . يقال ان هؤلاء أذاعوا لإبعاد الوطنيين عن التجارة البحرية والعدول  
بهم عن الملاحة إلى الزراعة ، الخرافة القديمة المنطوية على نزاع قام بين نبتون  
ومنيرفا عن السيادة اتيكافتمت منيرفا للقضاة الزيتون المقدس فكسبت القضية  
لم يلحق تيممستوكل بيرة بالمدينة كما زعم اريستوفان الهرجن بل الحق المدينة  
بيرة والأرض بالبحر . وبهذا العمل قوى الشعب ضد الاشراف وملاؤه ثقة  
بنفسه بأن جعل السلطة بين ايدي البحارة والنوتية والمقذفين . ومن ذلك حول  
الطفاه الثلاثون فيما بعد منبر بنكس الذي كان يطل على البحر إلى جهة البر .  
نظنهم أن القوة البحرية تولد الديموقراطية في حين أن حكومة « الجماعة » تجد  
مقاومة قليلة من الفلاحين .

فكر تيممستوكل لمصلحة البحرية في مشروع غريب . كان الاسطول اليوناني  
بعد هزيمة كرسينس راسيا في باجاز حيث يقضى الشتاء . قال للاثينيين في  
جلسة عمومية أن لديه مشروع يعود عليهم بتنفيذه بالفائدة والسلامة ولكنه  
لا يستطيع أن يقضى به إلى الجمهور فامرهم الاثينيون أن يباغوه إلى اريستيد فاذا  
وافق عليه قام بتنفيذه . قال تيممستوكل لاريستيد أنه يفكر في احراق عمارة  
اليونانيين . فعاد اريستيد إلى الجمعية قائلاً إن المشروع الذي يفكر تيممستوكل في  
تنفيذه من أجل المشاريع فائدة ولكنه في الوقت ذاته من اشدّها ظالماً . فامرره  
بالعدول عنه . اقترح السبارطيون على مجلس الانفكتهيون ( المجلس الدولي اليوناني )  
اخراج المدن التي لم تشارك في التحالف ضد الفرس من الانفكتهيون ولكن

تيممستوكل خشى أنه إذا ابعث التساليون الاديون والطيبون من المجلس علا  
نفوذ السبارطين وصاروا اصحاب الكلمة في الانتخابات واستأثروا بالامر فدافع  
عن هذه المدن واستحال الى رأيه قائلاً « لم يشترك في الحرب سوى واحدة وثلاثين  
مدينة واكثرها بلا خطر . فمن البلاء إذا ابعثنا بقية المدن اليونانية وأن تستأثر  
مدينتان أو ثلاثة من المدن الكبرى بالسيادة في المجلس الدولي صار تيممستوكل  
من هذا الحين غرضاً لاساءات السبارطين . رفعوا سيموره الى اعلى منصب  
ليعادل سلطة تيممستوكل في الحكومة .

وقد اجتلب تيممستوكل على نفسه بغض الحلفاء بسعيه في الجزر بجمع الضرائب  
وحدث لو صدق هيرودوت . عند ما طالب اهالى اندروس بالأموال مايتأتى :  
قال تيممستوكل « حضرت و بين يدي الاهتان . الاقذاع والقوه . فاجابوه  
ونحن ايضا لدينا الاهتان عظيمتان . وهما الفقر والحاجة يمنعانهم اعطائه شيئا  
وقد وجه الشاعر تيموكرىون الروضى في إحدى قصائده الى تيممستوكل قذعا  
مؤثرا . يتهمه بأنه استدعى المنفيين رغبة في المال . ومن اجل المال تركه هو وهو  
صديقه وضيغه » اطرى إذ شئت يوزانياس ؛ اطرى كزانيت . اطرى ليوتيشيد  
أما أنا فاني اطرى اريستيد افضل واكرم رجل انجبته ائتنا المقدسة .

اما تيممستوكل ، ذلك الكذاب ، ذلك الظالم ، ذلك الخائن .  
أن لا نوره يبعثه : وهو مضيع تيموكرىون افسده المال الحقيق ، واني أن يرد  
تيموكرىون الى لاليسوس وطنه .

نعم من أجل ثلاثة طالانات من الفضة نشر ذلك النذل القلوع !  
لقد هولا ظالما ونفى اولئك وقضى بالموت على آخرين ، واخيرا شبع من المال  
وفي البرزخ قدم الموائد ولكن باس شيخ حقير . قدم لحوما بارده ؛  
فكان الناس يأكلون وهم يتمنون الا يرى تيممستوكل ربيعا آخر .  
استرسل تيموكرىون في عداائه لتيممستوكل ورماه بقوارص الهجاء ولم يبق عليه

في نشيد نظمه بعد نفيه جعل مطالعه ما يأتي : —

يا عذاري امنحى هذا الغناء الشهيرة التي يستحقها من اليونانيين والتي تجب عليك له .

يقال ان تيموكر يون نفى لانضمامه الى الفرس وان تيممستوكل ايد الحكم ولذلك عند ما وقعت على تيممستوكل التهمة ذاتها قال فيه تيموكر يون الاشعار الآتية .  
لم يكن تيموكر يون وحده هو الذي قاوض الفرس :

يوجد خونة اخرون ! واست الاعرج وحدي هناك ثعالب أخرى التي الوطنيون السمع لهذه الوشائات حسداً منهم لجره بحيث ان تيممستوكل التي نفسه مضطرا لاغضابهم اكثر فاكثر بتكراره في المجتمعات العمومية ذكرى خدماته واعماله فاذا شعر بتدمرهم قال . فاذا ! اتملون قبول الحسنات ذاتها من الاشخاص ذاتهم ؟ » ولم يكن بناء هيكل لا الهة ديانته اريستوييل اقل ايفارا للصذور . اراد بهذه التسمية الاشارة بانه قدم الى اثينا خير النصايح . بنى هذا الهيكل بالقرب من منزله في حي « ماليت » حيث ترى اليوم الجلادين يرمون حبال التعذيب ووثاب المخنوقين والقتلى والحبال التي استخدمت في تنفيذ القتل . وكان يوجد في زماني في هيكل ديانته اريستوييل تمثال صغير لتيممستوكل . ويرى من هذه الصورة انه لم يكن لتيممستوكل نفس بطل فقط بل وكانت له ملاحه . واخيرا لما الاتينيون ليتماصوا من هذه السيطرة التي راوها فوق الحد الى الحكم بنفيه بالاقتراع السري وهو نوع من النفي الغره للقضاء على من يخشون سطوتهم ولا تدخل في حدود المساواة الديمقراطية . لان الاقتراع السري لم يكن عقابا بل ارضاء للحسد وتخفيفا من حدته ومن هذا الحسد ان يحط من قوله الذين تنقل عليهم رفعتهم ويرى في اذلالهم سبيلا للترويح عن بغضهم

كان تيممستوكل يقيم في ارجوس بعد نفيه من اثينا اذ ظهرت خيانة بوزنياس فاتخذته اعداؤه ذريعة لآتهامه . اتهمه ليوبوت بن الكيمون من قرية اجرول بالخيانة .

وعضد السبارطيون التهمة . واثن كان بوزنياس صديق تيميستوكل الا انه اخفى عنه في اول الامر سر الخيانة التي كان يدبرها . ولكنه لما رآه قد جرد من ساطته وانه يتقدم من نفيه اجترأ على افشاء سره اليه فلجأ عليه في الانضمام الى المشروع اطلعه على رسائل الملك واثار حتمده ضد اليونانيين بتهمتهم بالخبث والاثوم ونكران الجميل . رفض تيميستوكل اقتراح يورنياس واثى الاشتراك فيه بآية حال . ولكنه كتم سر المؤامرة ولم يفض به الى احد املا ان يعدل بوزنياس من نفسه عن هذا المشروع الجنوني الخطر الذي لا أمل في نجاحه . أو انه يفشى الامر بطريقة أخرى . وبعد أن نفذ حكم الموت في بوزنياس كما هو معروف وجدت في منزله رسائل ومكاتبات توقع تهمة الاشتراك على تيميستوكل ، ثار السبارطيون ضده وأقام أعداؤه الاثينيون عليه دعوى الاتهام وهو غائب . وكان يدافع نفسه برسائل يبرئ نفسه من وشايات أعدائه ومما كتبه « لقد كنت أسعى للسيادة دائما لأنى لم أولد لا كون عبداً . ولم أود قط أن أكون عبداً فكيف يظن بى انى أسعى لالقي بنفسى وبجميع يونان بين أيدي أعداء ، بين أيدي بربر ؟ ولكن الشعب الذى امتلكه المدعون أرفد أناسا الى أرجوين للقبض عليه ، ويحضروا به الى أثينا لحما كتمته أمام مجلس من اليونانيين . أحس تيميستوكل هذه النتيجة فسار الى كورير وهى مدينة سبق له الاحسان اليها ، عين حكما فى خلاف بين أهلها وبين الكورنتيين ففض الخلاف بالحكم على الكورنتيين بغرامة قدرها عشرون طالانا وجعل لو كادما كاشتركا بين كورير وكورنت لانها مستعمرة المدينتين . هرب من هناك الى بيره ولما كان السبارطيون والاثينيون يتعقبونه احتزم عزما خطرا وهو الالتجاء الى « أدमित » ملك المولوس . وكان أدमित هذا فيما مضى طلب أمرا ما من الاثينيين وكان تيميستوكل صاحب الكرامة العليا فخذله شر خذلان . ولم يكن من ريب فى انه يفتقم لنفسه منه متى سنحت الفرصة . غير أن تيميستوكل فى منفاه كان أكثر خوفا من حقد مواطنيه الجديد ، منه خوفا

من عداء الملك القديم لذلك أثر أن يلقي بنفسه بين يدي أدمت تقدم الى الملك ضارعا متوسلا وأكن بأسلوب غريب خاص بالبلاد . أخذ بين يديه ابن الملك وهو طفل وتراعى على أقدامه أمام الموقد وهذه هي الضراعة المقدسة في نظر المولوسين التي لا يجوز رفضها . ويقول البعض أن التي أوحى اليه هذه الطريقة هي « فتيا » زوجة الملك وانها هي التي أوقفتها بذاتها أمام الموقد وابنها بين يديه . ويقول البعض ان أدمت نفسه هو الذي فكر في هذه الضراعة ليجد لنفسه عذرا أمام واجب مقدس يمنعه ان يسلم تيميستوكل الى مضطهديه لاجئا الى هذه اللعبة المسرحية .

وقد بعث ابيكرات الاشرافى اليه بامرأته وأولاده عند أدمت بعد أن أخرجهم خفية من أثينا . قدم سيمون من أجل ذلك ابيكرات الى المحاكمة وقضى عليه بالموت . هذا مارواه ستاذمبروت ولا ندرى كيف أنه نسي ما قاله . أو انساه تيميستوكل وهو القائل أن ابيكرات أبحر الى ( صقلية ) وهناك طلب من الطاغية هيارون ابنته زوجة ولأبى عليه هيارون ذلك أبحر الى آسيا . على أن هذه الرواية بعيدة عن الحقيقة ، ان هيارون بشهادة تيوفرات في كتابه عن الملكية أرسل خيلا الى أولمبيا لتزاحم في كسب جائزة الجرى . وأقام لها مظلة كأخفم ما يكون فاقترح تيميستوكل على جمعية اليونانيين أن ينزعوا مظلة الطاغية وان يمنعوا خيله دخول ميدان السباق .

ويقول توسيديد ان تيميستوكل أبحر الى بيدنا ليصل الى البحر الآخر . ولم يكن في السفينة أحد يعرف انه تيميستوكل الى ان هبت عاصفة قذفت السفينة الى نا كسوس وكان الاثينيون يحاصرونها . فاضطره الخطر المحدث به الى اعلان نفسه للربان والنوتي وأخذها بالرجاء والتهديد ثم قال لهما انه يتهمهما أمام الاثينيين انهما قبلاه في سفينتهما لاعلى جهل منهما بل طمعا في المال . وانتهى الى اغفال أمره والاتجاه الى آسيا . أما أمواله فقد أرسل اليه أصحابه بجانب كبير منها مما



تمكنوا من اخفائه . وكل ما اكتشف منها نقل الى الخزانة العمومية ويقدره  
ثيوبونب باثة تالان أما ثيوفراست فانه يقدره بثمانين تالانا . على أن ما كان  
تملكه تيممستوكل عند تولية الاعمال العمومية لم يكن يزيد عن ثلاثة تالانات .

وعند ما وصل الى « سيبا » لمح على الشاطئ اناسا قد رصدوا للقبض عليه  
لاسيما ارجوتاميس وبيتودور : والحقيقة انه كان غنيمة عظيمة لمن يعتقدون أن كل  
الطرق صالحة للفناء وكان ملك الفرس أعلن أن يعطى من يسلمه اليه مائتي تالان  
فهرب الى أجيس وهي مدينة صغيرة من أيولى لا يعرفها فيها أحد سوى مضيعة  
نيكوجين أكبر الاهالى ثروة وأعلام قدرأ لدى عطاء الفرس . بقي مختفيا هناك  
أياما الا انه في ليلة هذا العشاء الذي تلتته تقدمة . نهض البيوس مربى أولاد  
نيكوجين والتقى فجأة بالهام وبلهجة وحى ، البيت التالى بصوت عال .

« أمتح الليل صوتا ؛ أمتحه النصيح والنصر »

ذهب تيممستوكل لينام فظهر له فى الحلم تين التف حول بطنه وطوق  
عنقه . وما لمس التين وجهه حتى انقلب نسياً نشر أجنحته فوق تيممستوكل  
ثم حمله مسافة طويلة والتقى به على مركب ذهبية ظهرت فجأة فأحس تيممستوكل  
قدمه ثابتة ونفسه ناجية من خطر جسيم أرسله نيكوجين الى الملك واليك الطريقة  
التي لجأ اليها ليجعله في مأمن . ان المرأة لدى جميع الامم الشرقية ولا  
سيما الفرس موضع غيرة وحشية قاسية . لا الزوجات فقط بل والرفيق المشترى  
والمحظيات . لذلك يحرسون عليهن كل الحرص بحيث لا يستطيع أجنبي ان يراهن .  
ففى المنازل يعلق عليهن الابواب بالاقفال . وفى السفر يحمان فى مظال محكمة ،  
وفى احدى هذه المظال أرسل نيكوجين ، خيفة تيممستوكل . وكان الحراس  
يجيبون كل سائل ؛ انها امرأة يونانية ؛ احضروها من يونيا لكبير من  
أصحاب الملك .



يقول توسيديد وشادون ، ولا ميساك (١) أن تيميستوكل لم يصل الى الفرس  
إلا بعد وفاة كزرسيس وأنه قدم نفسه الى ابن كزرسيس ، ولكن أفود (٢)  
ودينون (٣) وكليبتارك (٤) وهيرا كليد وغيرهم مؤكدون أنه ظهر أمام كزرسيس  
نفسه ، على أن رأى الاول أدبى مطابقة لجدول التاريخ وإن كان قليل الدقة  
ولما رأى تيميستوكل نفسه في موقف حرج ، خاطب ارتابان رئيس الالف قائلا  
أنه يونانى الجنس وأنه يريد محادثة الملك في شأن على جانب كبير من الخطورة  
وإن الملك نفسه يتشوق لرؤيته فاجابه ارتابان قائلا أيها الاجنبى ان شرائع  
الناس ليست واحدة في كل مكان ، الجميل في غير جميل في نظر الآخرين  
فمن الحسن واللائق بكل انسان أن يحترم ويؤدى شرائع البلاد . يقال إنكم  
تحترمون الحرية والمساواة فوق كل شيء . أما نحن فان أجمل شريعة عندنا من  
بين شرايعنا الجميلة ، هي التى تأمرنا باحترام الملك ، وأن نعبده فيه صورة  
الاله الذى يحمى كل شيء . فاذا أردت أن تخضع لعبادتنا وتعبده فلك كمالنا  
أن تراه وتحادثه . وإن لم تكن على استعداد لذلك فان تستطيع مخاطبته الا  
بوسيط . لان العادة في بلاد الفرس ألا يقابل أحد الملك ما لم يقدم اليه  
واجب العادة . . أجاب تيميستوكل على ملاحظات ارتابان بقوله « لقد  
أتيت يا ارتابان لأزيد في مجد وسيادة الملك . نعم اطيع شرائعكم بما أن  
هذه إرادة الاله الذى رفع العرش الى هذا المقام السامى ، على أن الملك  
سيرى بمساعدتى ازدياد عدد عبادته ، وعليه لا يكون هناك ما يمنع ما أريد  
من محادثته . » قال ارتابان ، باى اسم أقدمك ، لاني أرى عواطفك فوق

١ مؤرخ سابق لعهد هيرودوت . عرف بمؤلف لتاريخ الفرس .

٢ من كوم فى أليد . وضع تاريخ يونان . وهو يعد بعد هيرودوت وتوسيديد ، من

كبار المؤرخين

٣ معاصر للاسكندر ، ومؤلف تاريخ الفرس لا يعرف الا قليلا

٤ ابن دينون وهو أيضا غير معروف

العادة . . فاجابه تيميستوكل . أما اسمى فلن يعرفه يارتابان ، أحد قبل الملك .  
هذه رواية فانياس ، يضيف اليها اراتوستين في كتابه عن « الثروة » ان  
امراة ارثرية . محظية ارتابان هي التي أوصت تيميستوكل الى خليلها  
ودبرت المقاتلة بينهما .

ولما أدخل إلى الملك سجد له ووقف صامتا الى أن أصدر الأمر للمترجم  
أن يسأله من هو . سأل المترجم فاجاب تيميستوكل ، أنا أيها الملك تيميستوكل  
الاثيني 'نفاني وأضطهدني اليونانيون فجئت أبحث عن ملجأ لديك لقد  
أذيت الفرس ولكني أحسنت اليهم أيضاً بمنعني اليونان من تعقبهم واذ  
نجت اليونان وأصبحت بلادى بعيدة عن الخطر صار في وسعي أن أقدم  
اليك خدمة . ان عواطفى اليوم طبق حظى وقد جئت اما لقبول احسانك  
إذا كان بفضك قد زال أو لتحويله اذا كان باقيا ، ان اعدائى يشهدون لديك  
بالخدم التي قدمتها الى الفرس . لتكن نكبتى فرصة لظهار فضلك أكثر منها  
لاظهار نعمتك . تخير بين أن تنقذ حياة رجل جاء اليك متوسلا وبين أن  
تقضى على عدو صريح لليونانيين » لم يقف تيميستوكل عن هذا الخطاب  
بل ذكر الأوامر الالهية وروى حكاية الرؤيا التي شهدتها في منزل فيكوجين  
ووحى جوبتير دورون فقد أمرنى الاله أن الجأ الى الامير الذى يحمل انما  
كاسمه ولا يمكن أن يكون سواك لان جوبتير وأنت وجدكما اللذان تدعوان ملكين  
لم يجب الملك تيميستوكل بشئ وبقي مأخوذا بعظمة نفسه وجراته ولكن  
كان بين أصحابه بهيئ نفسه بهذا الحادث كأنه أكبر نعمة يصل اليها  
ورجا الى أريمان أن يبعث دائما بين أعدائه مثل هذه الافكار ويحملهم  
على تقى الغذاء من بينهم ويقال انه قدم للالهة تقدمة وأقام وليمة وبلغ من  
شدة فرحه سمع يصيح ثلاث مرات وهو نائم .

« عندي تيميستوكل الاثيني »

في الغد عند مطلع الفجر دعا أصحابه واحضر تيميستوكل ولم يكن هذا يتوقع خيراً مذ رأى رجال البلاط وعلم أنهم عرفوا اسمه فتجمعوا له وقابلوه بالاهانة والزراية يضاف الى ذلك أن روكسان رئيس الف من الجنود جابهه وهو مار أمامه في حين كان الملك على عرشه والقوم في سكوت عميق جابهه بقوله همساً « ان حظ الملك هو الذي أتى بك الى هنا يا أفعى يونان الخبيثة » ولكنه عند ما ظهر أمام الملك وسجد له ثانية حياه الملك وقال له بلطف « اني مدين لك بمئتي تالان بما أنك أنت الذي قدمت نفسك الى ، فمن العدل أن تنال المكافأة التي وعدت بها من يحضر الى » ثم وعده باكثر من ذلك وطمن خاطره ودعاه للاعتراف صراحة عن رأيه مهما يكن في شؤون يونان فاجاب تيميستوكل أن البيال كالبساط المنقوش لا بد من نشره لظهار صورته اما اذا بقي مطويا اختفت نقوشه وضاع تناسبها . استحسن الملك التشبيه وأذن له بما أراد من وقت . طلب تيميستوكل سنة اخذ في اثنائها بدراسة اللغة الفارسية ليتمكن من مخاطبة الملك مباشرة بدون حاجة إلى ترجمان .

توهم القوم ان تيميستوكل لا يكلمه ألا في شؤون اليونان ولكن التغيرات التي احدثها الملك في حاشيته والسخط الذي انزله ببعضهم جعل تيميستوكل موضع بغض جمع الكبراء لا قناعهم انه اجتراً على التصريح للملك بما يعتقد فيهم والحقيقة ان كل ما كانوا يحبظون به الاجانب من التكريم لا يذكر بجانب ماناله بتيميستوكل . كان يصحب الملك في جميع رحلاته للقنص وفي جميع ملاحيه الداخلية وقد قدمه الملك إلى الملكة والدته فقبلته في صداقتها ثم صدر أمر الملك بتعليمه علوم المجوس . وحدث أن الملك طلب من دأمارات السبارطى أن يتمنى عليه . فطلب منه أن يأذن له بالتنزه على جواد في السارد وعلى رأسه عقال الملوك الفرس فقبض مسترويسينس بن عم الملك على يده وقال له « ان ذلك العقال يادأمارات لا يجده في رأسك مخا يغطيه : لو قبضت بيدك على الصاعقة

لما حرت جونبير « غضب الملك لهذا الطلب وأغلظ لدامارات التول بحيث لم يكن هناك رجاء في تهديئة نائرة . ولكن تيممستوكل توسط له فتمكن من مصالحتهما . لذلك جرت عادة الفرس بعد ذلك كلما ارادوا استجلاب يوناني أن يعدوه بأن سوف يلقي مالم يلقه تيممستوكل من الاجلال والتعظيم ويقال انه وهو في نعيمه هذا وهو موضع حفاوة الجميع قال يوما لا ولاده وقد رأى المائدة امامه على افخم مايكون « يا ابنائى كنا ضعنا لولم نكن ضعنا » ويكاد جميع الكتاب يجمعون على أن الملك منحه ثلاث مدن « لخبزه وخمره ولحمه » : وهى ماينزيا ، ولا ميساك وميونت ولكن نياتيس السيزيكي (١) وفانياس يضيفان اليها مدينتين آخرين وهما بركوث بالسبسى تحصان للرياشن والثياب .

واذ كان يوماننا ذلا الى سواحل الامبراطورية البحرية لشؤون يونانيه كمن له فارس يدعى ايمكسيس كاهن فرجيا العليا وأرصد له أنامدا يقتلونه ليلا حين يجتاز مدينة نيوتوسيفال ( رأس الأسد ) ولكن والدة الألهة ظهرت له وهونائم فى قيولة الظهور وقالت له احذر يا تيممستوكل ( رأس الاسد ) لئلا تقع فى مخالب الأسد وأريد منك جزاء هذا التحذير أن تهب ابنتك « منسيتولما لخدمتى » نهض تيممستوكل وقدم صلاته للالهة وعدل عن الطريق اجتنابا لذلك المكان المشؤم ولم يقف حتى اسدل الليل ستاره . بسقط احد الحيوانات التى كانت تحمل خيمته فى النهر ففشر الخدم الأبسطة لتجف فأرأها الكامنون ( فأسرعوا اليها مشمرا سيوفهم غير متيقنين على ضوء القمر واهمين انها أبسط انها خيمة تيممستوكل وظنوه نائما فيها . دنوا منها ورفعوا البساط ولكن رجال تيممستوكل الذين كانوا كامنين لهم انقضوا عليهم وقبضوا عليهم . واذا نجا تيممستوكل هذا الحظ اقام اعترافا بفضل الآلهة هيكللا فى ماينزى باسم وانديمن وجعل ابنته منسيتولما كاهنة له وبينما هو يمر بالسارد استخدم فرصة فراغة لزيارة الهياكل وكأها فخم جليل وفحص

التقدمات التي تقدم فيها . رأى في هيكل والدة الآلهة ، الفتاة المعروفة باسم ( هيدر وفور ) وهذا اسم تمثال نحاسي يبلغ طوله زراعين وهو الذي اقامه ايام كان وكيلا للمياه في اثينا ينفق عليه مما كان يجمع من الغرامات التي كان يحكم بها على الذين يحولون مياه المجارى العامة إلى مجارى خصوصيه وكان قدسها في احد الهياكل فلا تدري ماذا حال بنفسه هل ظلم لرؤية تقدمه في هذا الاسر أو اراد أن يرى الاثينيين ما يتمتع به من ثقة في اراضي الملك لذلك خاطب ليديا في امر هذا التمثال وطالب اليه الأذن بارساله الى اثينا اغضب البربري هذا الطلب وقال له انه سيكتب الملك عنه . فزع تيميستوكل واستمال محظيات الحاكم فهدا غضبه ولكنه كان درس التيميستوكل تعلم منه التزام الحذر من غير البربر لذلك لم يزره الملك آسيا الاخر بالرغم من أقوال تيوبونب وأقام في مانيزيا بجنى ثمار خيرات الملك ويتمتع بما يتمتع به الكبراء من الأكرام فعاش هناك زمنا طويلا فاعم للبال لان الملك لم يفكر في المسائل اليونان لاشتغاله بشؤون اقاليم المملكة العليا

ولكن ثورة مصر التي كان اليونان يقصدونها . وتقدم وفود العمارة اليونانية التي تقدمت حتى بلغت قبرص وكليكييا وأخيراً تمكن سيمون من اخضاع لجميع جوانب البحر لغت نظره الى اليونان وعول على مقاومة اغراضهم ومنعهم من أن يقروا ضده سارت الجنود وأسرعت القواد كل الى معسكره وأسرع البريد الى مانيزيا يحمل الى تيميستوكل باسم الملك الامر بان يتولى قيادة الحملة العامة ضد اليونانيين برأ بوعده ولكن تيميستوكل لم يجد في قلبه أثراً كبيراً للحقد على مواطنيه ولم يرفى للمجد والسيادة التي يقدمها اليه النصر ما يحمله على الحرب وقد يكون ذلك لاعتقاده ان النصر محال لان يونان كانت حينذاك غنية بالقواد العظام بينهم سيمون الذي كان التوفيق ملازمه في جميع أعماله على أن العامل الذي أوقفه هو خجله من أن يلحق الخزي والعار بما نال من مجد وما كسب من أكايل الفخر لذلك اعزم ذلك العزم المجيد وهو أن يختم حياته

بنهاية حقيقة به . قدم ضحية للالهة وجمع أصدقائه وودعهم الوداع الاخير .  
شرب على رواية البعض دماء ثورة وعلى رواية الآخرين سما زعاقومات في  
مانيزيا بالغاً من العمر خمسة وستين عاماً بعد حياة قضاها في ادارة الاعمال  
العمومية وقيادة الجيوش ويقال أن اعجاب الملك ازداد عند ما علم سبب وكيفية  
موته واستمر احسانه إلى امرته وأصدقائه . خلف تيممستوكل ثلاثة  
أبناء من أرشيب بنت ليزاندر من قرية الويس وهم : ارشبتوليس ،  
بوليكت وكوفانت

وقد ذكر افلاطون الفيلسوف كايوفانت كان مروضاً ماهراً ولكنه لا يستحق  
الذكر ، ورزق قبل هؤلاء اثنان آخران فيوكلس . الذي مات وهو طفل من عضه  
حصان وديوكلس الذي تبنا دجده ليزاندر ورزق أيضاً جملة بنات منسبتواً من  
زوجة ثانية تزوجت من ارشبتوليس اختها من ام أخرى ، وإيطاليا زوجة بانتيد من شيو ،  
سيبارس زوجة نيكومد اثيني ، نيكوماشة التي بعد موت والدها زوجها أختها من  
قرازجلس ابن أخ تيممستوكل جاء من اثينا إلى مانيزيا وعنده ترتبت صغرى  
الاخوات وهي ازيا ، اداسيا

ولا يزال يشاهد في مانيزيا في الطريق العام قبر تيممستوكل الفخم ولا يجب  
أن نصدق ما رواه اندوسيد (١) في خطبة لاصحابه حيث ادعى أن الاثينتين  
خبثوا زفاته وذروها في الهواء فما هو الا كذب اريد به اثاره الاشراف ضد الشعب  
وقد عمد فيلارك في تاريخه إلى حيلة مسرحية تحريكا للشفقة واثارة للقلوب فأوجد  
شخصين لا يعلم لهما وجود دعاها فيوكليس وديموبوليس جعلها ابناء تيممستوكل  
وماها سوى ابني خياله كما يبدو ظاهراً للعيان

ويرغم ديودور البريجيني في مؤلفه عن المقابر ظناً لا حقيقة أنه يوجد في البيرة

عند العودة من منعرج السيموس لسان أرض على شكل مرفق تراه في طول حول  
هذه النقطة حيث البحر هادىء قاعدة فسيحة فوقها قبر تيميستوكل على شكل  
هيكل ويستشهد لذلك بقول افلاطون المهرج في أشعاره التالية  
ان قبرك مشيد في مكان لاثق

موضع احترام خالد في نظر جميع المسافرين  
يطل على الخارجين من الميناء والداخلين اليها  
ومتى اشتبكت السفن في القتال كان ذلك مشهده وملماه ولا يزال ابناء تيميستوكل  
ينعمون في مانيزيا بكرامة خاصة مما كان ينعم به تيميستوكل، الذى كان رفيقى  
وصديقى في مدرسة امونيوس الفيلسوف

## كامي

ان ادعى شيء للدهشة والغرابة في الحياة فوريوس كامي ان رجلا مثله قاد الجيوش غير مرة وأحرز انتصارات باهرة غير مرة وتولى الحكم الفردي خمس مرات ونال من أكليل النصر اربعا ودعى مؤسس روما الثاني لم يعين قنصلاولا مرة . يرجع السبب في ذلك الى الظروف السياسية . كان ذلك عهد مناقشات بين مجلس الشيوخ والشعب . أبى الشعب انتخاب القناصل ودين بدلا منهم للقضاء رجالا من أنصاره المعروفين بخطباء الشعب يتولون السلطة القنصلية وكان حكمهم اقل فظاعة بسبب كثرة عددهم وكان العزاء لمن يفضون حكم الجماعة ان يروا على رأس الحكومة ستة بدلا من اثنين .

كان كامي في ابان مجده مشهوراً بأعماله الحربية . ولكنه لم يرد ان يكون قنصلا رغم ارادة الشعب مع حدوث انتخابات قنصلية في ذلك العهد . أما المناصب الاخرى فقد تولى الكثير منها . وقد سلك فيها جميعا مسلكا حسنا بحيث أنه حتى في حين انفراده بالامر كان يجعل السلطة شركة بينه وبين آخرين مع احتفاظه بالمجد لنفسه ولو كان له فيه شركاء . أفلح في ذلك لالتزامه الاعتدال . أراد أن يتولى الحكم دون اثاره الحسد لما كان عليه من الحكمة التي جعلت له مقاما ساميا وتوفيقا لا جدال فيها

لم تكن اسرة فوريوس نابهة الذكر ، فهو اول فوريوس جعل له ذكرا لفنت جيرانه الشخصية الانظار اليه في الموقعة الكبرى ضد الايكين والفلوكين كان يعمل تحت ديكتاتور يولوستوميوس توبرتوس . فهو الذي بدأ الهجوم ضاربا في الجانبين متقدما بين الصفوف ، جرح فخذة فلم يترك ساحة الوغى بل انتزع السهم من الجرح واشتد على اشجع الاعداء حتى ولوا الفرار ونال جزاء بسالته



عدة مناصب سامية منها منصب ( المراقب ) وكان في ذلك العهد جليل الشأن ومما يذكر له بالثناء الحق في هذا المنصب انه تمكن بالاقناع والتهديد بالفرامات من الزام الاعزاب بالتزواج من الاعزبات التي زادت الحروب المتوالية عددهن ولم يقدم الا اضطرارا على فرض الضرائب على اليتامى ؛ وكانوا معفين من كل التزام . كانت الضرورة قاضية بتحصيل ما تقتضيه الحروب المستمرة من النفقات .

وشد ما لزم ذلك في حصار مدينة الفايين الذين يدعوه البعض الفاناتانيين .

كانت مدينة فايين مفتاح اتروريا ، ولا تقل عن روما ذخيرة ولا جندا . عظم شأنها بما لها من ثروة وبذخ وجلال وملاذ فرأى فيها الرومانيون منافسة في المجد والسيادة وكثيرا احسوا بقدرتها . ولكنها لليوم ضعفت بما اصابها من خسائر في جملة مواقع . فعدلت عن مطعمها . اطمان الفانيون لما اقاموا من اسوار وجمعوا من سيوف وسهام ومؤونة وجميع ما يلزم فصبروا للحصار آمنين . استمر الحصار زمنا طويلا لا يقل اياما للمحاصرين عن المحاصرين . والحقيقة ان الرومانيين كان من عادتهم ان لا يحاربوا الا صيفا وفي مواقع قصيرة الاجل . وان يقضوا الشتاء في منازلهم ولكنهم اضطروا لاول مرة اجابة لاوامر الحكام ان ينشئوا القلاع وان يقيموا في معسكراتهم وان يقضوا الصيف والشتاء في بلاد العدو . كانت السنة السابعة للحرب فاستاء الشعب من قواده واتهمهم بالتراخي في الحصار فانتزع منهم القيادة وانتخب اخرين لادارة القتال وكان كامي بين المنتخبين وهي المرة الثانية لانتخابه بين محامي الشعب وخطبائه ؛ لم يكلف اول الامر بالعمل في الحصار بل عهد اليه في محاربة الفولسكين والكابنيتين الذين انتهزوا فرصة اشتغال الرومانيين بغيرهم فدخلوا ارضهم واقلقوا بالهم اثناء حرب اتروريا . هزمهم كامي واعمل فيهم السيف واكرهم على الفرار الى داخل اسوارهم .

كانت الحرب على اشدها عندما بدأ في بحيرة الباحات من اغرب ماراوا فزع له الجميع لانهم لم يعرفوا له اسبابا عادية ولا علة طبيعية وكان ذلك في الخريف ولم

يحدث في الصيف حيث لا امطار غزيرة ولا رياح جنوبية شديدة وكانت البحيرات والسواقي والينابيع الموجودة بكثرة في ايطاليا اما ناضبة او قليلة المياه وكانت الانهر المنخفضة المياه صيفا ناضبة . . ولكن بحيرة البالتي منبعها فيها وليس لها مصرف محصورة من جميع جهاتها بجبال خصبة امتلأت فجأة وزادت زيادة محسوسة بلا سبب ، ان لم تكن ارادة الالهة ثم بلغت الجبال بلا اضطراب ولا دوى وصلت الى قممها . لم ير رعاة الغنم ولا رعاة الخنازير وهم اول من شهدوا الحادثة سوى حالة مدهشة . ولكنهم راوا الحاجز الذي كان يمنع الفيضان من اغراق الاراضى المزروعة قد انفتح وان سيلا جارفا من المياه ينحدر الى البحر من خلال Guerets استولى الذعر على الرومانيين وجميع سكان ايطاليا وراوا في هذه المعجزة اشارة الى حوادث خارقه . ولم يكن للجند المحاصر حديث غير هذا حتى بلغت الاشاعة المحاصرين انفسهم

من المؤلف في الحصار الطويل ان تجرى بين المتحاربين مقابلات ومحادثات . وحدث ان رومانيا صادق احد الفايين وهو رجل عليم بالآثار معروف بمهارة في فن العرافة حادثة الروماني في مسألة طفيان البحيرة ولحظ ان هذا الخبر أفرحه فرحا عظيما . وانه يتهمكم على الحصار . فقال له ليست هذه المعجزة الوحيدة التي شهدتها الرومانيون في هذا الزمن فقد حدث ما هو أعجب منها وانه يريد ان يطلعه عليها ليعرف اذا كان هناك سبيل في هذه النكبة العامة ليأمن على نفسه . اجابه الفاي طوعا والقي السمع الى حديث الروماني يتحدث وهو سائر والفاي يتبعه ولما سار على مقربة من المدينة انتهز الروماني فرصة تفوقه البدني وقبض على صديقه يماونه بعض الجند ، أتوا اليه مسرعين واحتملوا الرجل الى القواد . لما رأى الفاي نفسه في هذا المأذق وأيقن انه ليس للانسان نجاة مما قدر له أفشى أسرار الوحي التي فهم وطنه قائلا انه لن تؤخذ الا اذا غير العدو مجرى المياه الفائضة من بحيرة البال واعاده الى مجراه الاصلى أو على الاقل منبع المياه ان تصب في البحر .

ولما علم مجلس الشيوخ النبأ أوفد لتعذر الوسائل لديه يستشير وحي ولف وكان  
الوفد مؤلفاً من كوسوس لينايوس ، وفلاريوس بوتيتيوس ، وفابيوس أموستوس  
ثلاثة من أعيان وكبار روما. وكانت رحلتهم موقفة وتلقوا عدا الجواب عما أوفدوا  
من أجله اجابات أخرى تشير الى اهمال وقع في حفلات ( الارواح اللاتينية )  
خلافاً للعادات المتبعة . وكان جواب الوحي عن مسألة مياه بحيرة ألبا ان يحاولوا  
اجراء مياه البحر الى مجراها القديم واذا تعذر ذلك يحفرون اقنية وينشئون خنادق  
تتحول اليها لتتصرف بين الاراضي فعمد الكهنة بناء على هذه المشورة الى اجراء  
ما اغفلوه في التقديمات وشرع الشعب في العمل وصول مياه البحيرة

وفي السنة الثانية للحرب التي مجلس الشيوخ مناصب القضاة وولى كامي  
الحكم ، فاختار كورنيليوس سيديون قائداً عاماً لفرقة الخيالة ومذتولى الحكم منفرداً  
تعهد علينا انه اذا انتهت الحرب على خير ، يقيم الالعب الكبرى ويكرس  
هيكل الآلهة التي يدعوها الرومانيون الام ماتوتا (١) ويؤخذ مما يجري فيه من  
المراسيم ويقدم فيه من التقديمات انه هو عيد ( ليكوتية ) يدخلون عبدة الى بيت  
المقدس يصنعونها كنوقا ثم يطردونها خارجاً . ويحمل كل بين ذراعيه لابناه بل  
أبناء اخوته ثم يطاف بيكوس بين ايدي مرضعاته واينو تضطهدها عشيقه زوجها  
وبعد ان فرع كامي من نذره دخل متقلداً سلاحه أرض الفايين وهزمهم في  
موقعة فاصلة هم وحلفاءهم الكابنقين ومن ثم ساروا الى حصار فاي وسرعان  
ما أدرك صعوبة ومخاطر الهجوم ؛ واذا كانت الاراضي المجاورة صالحة لان تحفر حفراً  
عميقاً بحيث يخفي العمل عن العدو فتح خنادق خفية . نجح عمله . وبينما كان كامي  
يهاجم المدينة من الخارج ليجتذب الفايين الى الاسوار تمكنت فرقة أخرى من  
السير في الخنادق في خفية والوصول الى القلعة حيث هيكل ( جينون ) أكبر  
هياكل المدينة وأسمها شرقاً وكان قائد الاترويين يقدم ضحية وصاح العراف بعد

(١) يقع هذا العيد حسب النتائج الرومانية القديمة في ١١ يولية ويدعى اماترليا .

فحص احشاء الضحية قائلا « ان الآلهة تعد النصر لمن يتم هذه التقدمة »  
 سمع الرومانيون الذين في القبور هذه الكايات فشقوا الارض وبرزوا في جلبة  
 وضوضاء يققعون بالسلاح . استولى الرعب على الفايين ولازوا بالفرار ، حمل  
 الرومانيون احشاء الضحية الى كامى . على ان هذه الرواية يظهر فيها الاختلاف  
 ومهما يكن من الامر فقد أخذت فاي عنوة واذا كان كامى يشهد من أعلى  
 القلعة ما يحدث من نهب وسلب لتلك الثروات الهائلة لم يتمالك نفسه فاذرف الدمع .  
 واذا كان من حوله يهنتونه بهذا النصر رفع يديه الى السماء ونطق بالصلاة التالية  
 يا جوبيتر العظيم وانت أيتها الآلهة التى تشهدين أعمال الناس خيرا وشرا تعلمون  
 ان الرومانيين لم يتقلدوا السلاح ظلما بل حملتهم على ذلك ضرورة الدفاع العادل .  
 تقلدوه ضد أعداء ألداء عابثين بكل قانون ونظام فلئن قدرت علينا قبالة هذه  
 السعادة وبلا وشقاء فاني أضرع اليك ان تقي روما والجيش الرومانى تلك المنكيات  
 وان توجهى ضرباتك الى انا ، على ان لا تسحقينى . »

ولما فرغ من صلاته حول وجهه الى اليمين كمادة الرومانيين فسقط أثناء  
 التفاتته . فرع الرومانيون لهذه السقطة ولكن كامى نهض قائما وهو يقول « هذا  
 هو الاذى القليل الذى طلبته من الآلهة قبالة ما أحرزناه من سعادة عظيمة . »  
 وبعد ان فرغ نهب المدينة عمل على اتمام نذره بنقل تمثال جينون الى  
 روما . جمع العمال لهذه الغاية وقدم للآلهة ضحية ورجا اليها ان تتقبل تحيات  
 الرومانيين الحارة وان ترخي المقام مع الآلهة حامينات روما

ويقال ان التمثال اجاب انه راض وان هذا الاقتراح يسره

قال ثبت ليف ان كامى ادى صلاته للاله (١) ويده على التمثال وانه عندما  
 دعا الآلهة للسير معه اجابه الحضور « انها راضية عن ذلك كل الرضى وان اقتراحه

(١) لم يتكلم تيت ليف عن كامى بل عن الشبان الذين جمعهم كامى لنقل التمثال ولا  
 درى لماذا دعاهم بلوتارخوس عمالا .

يسر قلبها . « ويدلل انصار المعجزة ( صواحب التمثال ) على صحة زعمهم بما اصابته روما من حظ موفق سعيد . هل يمكن ان تخرج مدينة عن أصل ضعيف حقير وتبلغ اسمى قم المجد والقوة اذا لم تكن بعض الالهة قد خصها بحماية دائمة باهرة واهم ايندكرون معجزات اخرى من هذا النوع . قائلين الم نشاهد التماثيل تتصبب عرقا وتتنهد وتشير بعينيها . معجزات دونها الكثيرون من المؤرخين القدماء ؟ وفي وسعي اني أيضاً بناء على شهادات الكثيرين من معاصري ان أثبت كثيراً من هذه الحوادث الحقيقية بالاعجاب مما لا يمكن اطراحه بلا تردد . على أنه في مثل هذه الحوادث يتساوى خطر تصديقها وعدم تصديقها . لان ضعف الانسانية لا يعرف حداً ولا يعرف أن يسن نفسه قانوناً فلما أن ينحدر الى الاخذ بالباطيل والترهات والكبرياء أو يسف الى الاهمال واحتقار الشؤون المقدسة وعليه يكون من الحكمة التزام الحرص والاعتدال

ان عظمة هذه الحملة والاستيلاء على هذه المدينة التي كانت تناظر روما ودوام حصارها عشر سنوات حركت الالسنه بالثناء على المنتصر ثناء انتفخ له قلب كامي واثار فيه مظالم كبيرة لحاكم الجمهورية التي يجب عليه احترام عاداتها : زاد في ابهة موكب النصر زيادة كبرى فدخل روما على عربة يجرها أربع جياد بيض . لم يحدث هذا قبله ولا بعده . لان الرومانيين يعتبرون هذه العربة خاصة بملك ووالد الالهة . فكان هذا أول سبب لاستياء الوطنيين الذين لم يعتادوا مشاهدة هذه الفخفخة المهيمنة . جاء بعد ذلك السبب الثاني وهو معارضة كامي لقانون تقسيم السكان . اقترح خطباء الشعب تقسيم الاهالي والشيوخ الى قسمين متساويين يبق النصف في روما والآخر حسب الاقتراح يذهب فيسكن المدينة الجديدة .

يرون في ذلك زيادة سعادة الجميع إذ يصيرون اصحاب مدينتين عظيمتين جميلتين فيتمكنون من الدفاع عن بلادهم ومصالحهم . استقبل الشعب الذي

صار كثير العدد هذا الاقتراع بفرح عظيم والتف حول المنبر وطلب بصيحات عالية الاقتراع . ولكن الشيوخ وكبار الاعيان لم يروا في اقتراح الخطباء تجرئة روما فقط بل خرابها التام واشدة استيائهم لجأوا الى كامبي . خشى عقبي هذا الانقسام فأخذ يماطل الشعب ويقيم في سبيله الصعب فيؤجل القانون من يوم ليوم فكان هذا سبب ما انطوا عليه من الضعف له .

على أن غضب الشعب ضده انفجر عند اثاره مسألة عشر الاسلاب ولا بد هنا من الاعتراف بانه اذا لم يكن هذا السبب عادلا كل العدل فلا يخلو من أثر . عندما سافر كامبي الى فاي انذر انه اذا استولى على المدينة ان يخلص ابولون بعشر الغنيمة وعندما أخذت المدينة أطلق الجند أيديهم بالنهب والسلب ترك لهم كل الغنيمة ، قد يكون ذلك عن خوف من أغضبهم او ان الاضطراب الذي غشاه حين ذلك انساها نذره ولم يفيض بذلك لمجلس الشيوخ إلا بعد الحادثة بزمان طويل . وبعد أن غادر منصبه أعلن العرافون في ذلك الحين أن الضحايا تنبئ بغضب الآلهة ولا بد لتهدئة غضبها من كفارة وضحايا

رأى الشيوخ من المحال أن يعودوا الى تقسيم الغنائم فتر كوها لمن استولوا عليها . فاكتفوا بان أمروا ان يرد كل عشر ما أخذ مع القسم بان يخل بالوفاء العادل . وعليه أخطروا لتنفيذ هذا الامر الى وسائل محزنة . وان يستعملوا القسوة ضد جنود فقراء احتملوا كثيراً من الآلام في تلك الحروب يطالبونهم بقسم كبير من أموال انفقوها . اضطرب كامبي لما وجهه اليه من اللوم واذ لم يكن لديه عذر قيم لجأ الى أسخف الأعذار : اعترف علناً أنه نسي نذره فبلغ الغضب أشده قال الشعب ان الديكتاتور نذر ذلك اليوم أن يقدم عشر أسلاب الاعداء وها هو يأخذ اليوم من افلاك الوطنيين ! . وانتهى الامر بان قدم كل انسان ما طلب اليه تقديمه . ومن ثم تقرر أن يصنع

من المتحصل فوهة ذهب ترسل الى دلف ولم يكن الذهب شائعاً في روما وبينما كان الحكماء يبحثون لايجاده اجتمعت النساء وقررت فيما بينهن تقديم جميع حلاهن لاجل هذه التقدمة . وقد بلغ مجموعها ثمانى ثلاثينات فقرر الشيوخ مكافأتهن مكافأة تليق بهن وبشرف قبرهن فأمر أن ترثي النساء بعد موتهن كما يرثي الرجال ولم يكن من العادة ان ترثي النساء عند جنازتهن

ندبوا لنقل التقدمة ثلاثة من اعيان الوطنيين تقلهم مركب طويل يسيرها نخبة من الجدافين ومحلاة بالزينة اللايقة بالحفلات العامة وقد على الوفد الشدائد في العاصفة والهدوء — يلاقون من الهدوء ما يكاد يكون الموت حتى اذا نجوا من الخطر كانت نجاتهم على غير أمل . خانتهم الرياح بالقرب من جزائر الابولين فظننتهم مراكب اللييادين ، كورتبن فهاجمتهم واذا رآوهم يعدون اليهم الأيدي ويرفعون اليهم الرجاء لم يقسوا عليهم وسحبوا مركبهم إلى مينائهم وهناك أعلنوا أن ركبها من القرصان وشرعوا في بيعهم هم وكل مالههم ولم يقبلوا اخلاء سبيلهم إلا بعد غناء . والفضل في ذلك لقائدهم تماشيه . وزاد هذا القائد أن ارسل بعض مراكبه تصحب الوفد حتى دلف واشترك معه في تقديس التقدمة لذلك خصه الرومانيون باكرام لايق لخدمته

قدم الخطباء قانون تقسيم أهالي روما ولكن حرب الفالكيين التي جاءت في الوقت المناسب جعلت الاشراف سادة الاقتراح واقتضت الحال الالتجاء إلى قائد يجمع الى المهارة العملية السلطة والسمعة الطيبة فعرض كامين مندوبا حرييا مع خمسة آخر . ووافق الشعب على الاقتراح وتغلب كامين قيادة الجيش واسرع بالاغارة على أرض الفالكيين وحاصر فالبروهى مدينة حصينة . لم يهمل أهلها أمراً من أمور الدفاع . رأى كامي أن ليس من السهل اغتصابها وان الحصار سيطول امده ورأى من الحسن أن يبقى الرومانيون خارج المدينة لينعمهم الثورات التي



يلجأون إليها عادة امام السلم تحت تأثير خطبائهم . ذلك هو الدواء الذي يلجأ اليه الشيوخ كما يفعل النطاسيون من الاطباء لتطهر ألهة السياسة من المفسد التي تفسد عليها احوالها الاقتصادية .

كان الفالسكيون واثقين من متانة حصونهم هازئين بالحصار وكان الناس ماعدا حراس الاسوار يرحلون في المدينة بثيابهم العادية وكان الاولاد يذهبون الى مدرستهم ويخرجون بقيادة معلمهم الى التنزه حول الاسوار ويقومون بتمارينهم الرياضية والحقيقة أن الفالسكين كاليونانيين يجعلون لتعليم ابنائهم معلماً واحداً ليعتادوا من الصغر الغذاء والحياة معا اضمح هذا المعلم ان يسلم الفالسكين الى الرومانيين بتسليم ابنائهم فبدأ يأخذ الاولاد كل يوم الى سفح الاسوار ليستدرجهم خارج المدينة ثم يعود بهم بعدة ادينتهم ومن ثم صار يبعد بهم شيئاً فشيئاً حتى يبعد عنهم كل مظان الخوف والخطر واخيراً اذ كان جميع الاولاد معه بلغ بهم عمداً محلة الحرس الروماني وسلمهم الاولاد وطلب مقابلة كامي . فبداليه واذا صار بمقربة منه قال له « اني معلم مدرسة فاليري . وقد فضلت على واجبي أن أقدم لك خدمة وقد جئت اسلم اليك تلاميذي وبذلك اجعلك تملك المدينة » غضب كامي لهذه الخيانة السوداء وقال لمن حوله « ان الحرب من الاعمال المشؤمة وكم تجروراءها من المظالم والفظائع ولكن كبار النفوس يعرفون لها قوانين لا يريدون النصر عن طريق الجرائم والدنايا . أن القائد الكبير يقيم الحرب معتمداً على قوته الشخصية لا على خبث وخيانة وحقارة الآخرين ثم امر الجلاد ان يمزق ثياب ذلك الرجل وان يوثق يديه الى ظهره وأن يعطى الاولاد قضباناً ومذبان ليقصوا من الخائن وهم يرجعون به الى المدينة .

شعر الفالسكون بخيانة المعلم ولا غرابة ان عم المدينة الحزن والكدر وقد رفعت النكبة كبار المدينة رجالاً ونساء الى الاسوار والابواب واذا بهم يرون الاطفال عائدین يقودون المعلم عارياً موثق اليدين يضربونه بالاصص ويدعون كامي



الهمهم ومنقذهم ووالدهم تأثر الاهالى جميعاً لا الآباء فقط من هذا المشهد وتملكهم  
اعجاب شديد بكامي وشملتهم الرغبة في الاستسلام الى عدله فاجتمعوا لفورهم  
وارسلوا اليه مندوبين طالبين ان يسلموا أنفسهم وأموالهم لأمره . أرسل كامي  
المندوبين إلى روما ولما أدخلوا الى مجلس الشيوخ قالوا ان الرومانيين باثارتهم  
العدل على النصر علمونا ان تؤثر الهزيمة على الحرية وهم يعلنون ان قد انتصرت  
عليهم فضائل الرومانيين ولو انهم ليسوا أقل منهم قدرة . اعادهم مجلس الشيوخ  
الى كامي يرى فيهم رأيه . فاكتمى بان طلب منهم تعويضا خريباً ثم عادوا الى  
روما بعد ان عقد مخالفة حرية مع جميع الشعوب الفالسكية ولكن الجنود الذين  
كانوا يؤملوا الغنم الكبير من اسلاب فاليري عادوا فارغى الايدي . ما وصلوا روما  
حتى أخذوا يشنعون على كامي يتهمونه بانه عدو الشعب وانه حرم الفقراء وسيلة  
مشروعة للثروة .

عاد خطباء الشعب الى تقديم قانون تقسيم أهالى روما واعد الشعب لاعطاء  
صوته . اقتحم كامي غضب الشعب وعارض القانون بشدة وصراحة حتى رفض .  
تقبل الشعب على غير رضى وبلغ من حقهده على كامي ان شمت لذكته  
بفقد أحد ولديه ، ولم يهدأ غضبه عليه . اما كامي فكان طيب القلب رقيق  
الاحساس فقد اشتد به الحزن من هول هذه النكبة حتى انه دعى للمحاكمة  
فلم يحضر وبقى رهن بيته مع النساء

كان المدعى على كامي رجل يدعى لوسيوس الوايوس يتهمه باختلاس جانب  
من غنائم أترووريا . ليستشهد لذلك بابواب نحاسية كانت بينها وشوهدت في منزل  
كامي . كان الشعب نائرا ضده والحكم عليه منتظرا لاقبل حجة . دعا كامي  
أصدقاءه واخوانه تحت السلاح وزملاءه الاقدمين وهم عدد غير قليل وتوسل اليهم  
ان لا يخلوا عليه بالدفاع أمام هذه التهم الكاذبة وان ينقذوه من حكم ظالم ومن  
سخريه أعدائه . فاجابوه بعد المداولة والمناقشة انهم لا يستطيعون منع الحكم

ولكنهم اذا حكم عليه بغرامة يدفعونها عنه . ساء كامى ضعفهم ولم يصغ الا لصوت  
غضبه فاعتزم مغادرة المدينة وان ينفي نفسه برضاه فعانق زوجته وابنه وخرج من  
البيت ومشى صامتاً حتى أبواب المدينة وهناك وقف وتحول ثم بسط يديه نحو  
الكابيتول ورفع الى الآلهة الصلاة التالية « اذا كنت بريئاً وكان ظلم وحسد  
الشعب هو الذى أكرهنى على الخروج ذليلاً من وطنى فلتكن ارادتك ان يشعر  
الرومانيون ويعلم العالم حاجتهم الى وتأخذهم الحسرة لغياب كامى » وبعد ان صب  
على مواطنيه اللعنات كما فعل أشيل أبعد عن روما ، حكم عليه غيائياً بغرامة قدرها  
خمسة عشر الف ( اس ) توازى بالفضة الف وخمسمائة درخمة لان الاس عمله  
صغيرة كل عشرة منه تساوى فلساً

لم يبق رومانى لا يعتقد ان العدل الالهى تقبل صلاة كامىى لوقتها وان  
الولايات صبت على روما جزاء ظلمها الذى ذهب ضحيته، انتقام رثى له كامىى  
ذاته . ولكنه شريف وعظيم لان غضب الآلهة انهك قوى روما واجتمع عليها  
الفرع والخطر والعار وسواء كان العقاب من عمل الصدفة . ارادة إله لا يسمح لشكران  
الجميل بامتهان الفضيله بالاعتقاب .

و اول نكبة نزلت بروما هى موت الرقيب يوليوس والحقيقة ان منصب  
الرقابة مقام محترم جدا فى نظر الرومانيين حتى انهم يقدسونه اما النكبة الثانية  
فكانت سابقة لنفى كامىى . ذلك أن رجلا لاهو من الاشراف ولا من الشيوخ  
اسكنه رجل محترم لفضله يدعه مار كوس سيديتيوس ابلغ الزعماء الحريين واقعة  
حسنها حقيقة بان تنقل اليهم وتستحق عنايتهم ابلاغهم انه بينما كان يجتاز  
الليلة الماضية السكة الجديدة سمع صوتا يناديه ، التفت فلم ير احدا ! ولكن  
صوتا اقوى من صوت رجل قال له يامار كوس سيديتيوس اذهب غدا عند مطلع  
النهار وبلغ الزعماء الحريين ان يتوقعوا رؤية الغالين قريبا ضحك الزعماء من هذا  
الانذار وسخروا به ثم اخذت بعد ذلك نفى كامىى .

والغاليون انه سلتية كثر عددها وغادرت بلادها التي لم تعد تكفى لمؤنتها  
 وذهبت تبحث عن ارض تصلح لسكنائها . وهذه الامة كثيرة الشبان البواسل  
 تخرج وراءها عددا كبيرا من النساء والاطفال اخترق بعضها جبال ريفه ، وانتشروا  
 حول الاوقيانوس الشمالى واستقروا على حدود اوروبا واقام البعض بين البيرلينا  
 والالب على مقربة من الينونين والساتورين واقاموا زمنا طويلا وحدث أن ذاقوا  
 لأول مرة النبيذ محمولا اليهم من ايطاليا فاستطابوا طعم هذا الشراب ولذ لهم  
 ما دخله عليهم من السرور فحملوا اسلحتهم واصطحبوا اهلهم واتحدروا من  
 جهة الالب يطلبون الارض التي تنبت ثمرأ شهييا كهذا ، يرون كل ارض دونها  
 قحلاء موحشة .

اما الذى علمهم النبيذ وحرك في نفوسهم شهوة الذهاب الى ايطاليا فهو  
 على ما يقال رجل يدعى ارون من اتروريا معروف في بلده لم يكن شريرا بالطبع  
 بل ارد الانتقام لنفسه من عار لحقه . كان مرييا لفتى يتيم يدعى لوكومون . اجمل  
 واغنى مواطنيه تربي الفتى من نعومة اظفاره تحت اشراف ارونى ، ولما بلغ  
 سن الشباب لزم المنزل بدعوى حبه لمريه على انه كان على اتصال بامرأته يحبها  
 وتحبه صلة البية

بقيت هذه الصلة طي الخفاء زمنا طويلا ولكن الهوى المتبادل اشتد بهما  
 حتى لم يعد في امكانهما التغلب عليه او اختفاه

اختطف الفتى زوجة ارون وابقاها في منزله علانية ، رفع الزوج عليه  
 قضية ولكنه لم يستطع التغلب على لوكومون لكثرة عدد اصدقائه ورفعة قدره  
 ووفرة ثروته فخذل وخسر قضيةه وحينئذ غادر وطنه وسار الى الغاليين الذين  
 عرفهم بما شاع عنهم وتولى قيادتهم الى ايطاليا

افتتح المغيرون في وقت قصير جميع المملكة بين الالب والبحرين وهى  
 التي كان يملكها الاترسكيوت من زمن بعيد كما يتضح ذلك من اسماء الاماكن  
 م ١٩٠ المظما

فالبحر الشمالى الذى يدعى الادريائى نسبة الى ادريا وهى مدينة من مدن  
ايرميكيا وكذلك يدعون البحر الجنوبى بحر ايروريا وكانت هذه البلاد واحة  
الفرس خصبة المرعى تروىها انهار كثيرة وكان بها ثمانى عشرة مدينة جميلة عظيمة  
غنية فى تجارتها تعيش فى سعة وبذخ . طرد الغاليون منها الاترسكين واقاموا  
بها . حدثت هذه الغارة قبل نقي كامى بزمان طويل (١) ولكن ابان هذا النقي  
جاء الغاليون جاءوا لمحاصرة كلوزيوم وهى احدى مدن ايروريا .

استصرخ اهل كلوزيوم الرومانيين يستنجدونهم طالبين اليهم ان يرسلوا الى  
هؤلاء البربر الوفود وان يخاطبهم فى الامر . أوفد الرومانيون ثلاثا من عائلة  
فايوس وهم من كبار القوم اصحاب السمعة المحترمة فى روما . اكرم الغاليون  
وقادتهم احتراما لاسم روما واقفوا مهاجمة الاسوار واخذوا فى مفاوضة المندوبين  
اي ذنب جناه الاترسكيون ضدكم حتى جئتم تحاصرون مدينتهم اضحك برونوس  
ملك الغاليين من هذا السؤال ثم قال « ان ذنبهم فى نظرنا انهم يريدون ان  
يمتلكوا وحدهم اراض واسعة وهم لا يستطيعون سوى استغلال جانب صغير منها  
وانهم يابون اقتسامها معنا ونحن غرباء كثير والعدد قراء . وذنبهم ايها الارمانيون  
هو الذنب الذى جناه ضدكم بالامس لايون والفدايون والارويون وهو ما ارتكبه  
ضدكم الفيون والكابتيون اخيرا واغلب الفاييسكين والنويسكين . وكل شعب يأتى  
عليكم مشاركتة فى خيراته تسرون اليه بسلاحكم تستعبدون رجاله وتسلبون  
امواله وتهدمون مدنه . لم تأتوا فى ذلك شيئا شاذا ولا ظالما بل سرتم على اقدم  
الشرائع التى تبيح للاقوياء اموال الضعفاء وهذه شرعة تبدأ بالله ذاته وتنتهى  
الى الضواري . لانها تعرف ايضا ان القوى يزعم دائما ان نصيبه لا بد من ان  
يكون أوفر من نصيب الضعيف . فقلعوا عن العطف على السكاوزيين المحاصرين  
اذا كنتم لا تريدون ان يعطف الغاليون على الشعوب التى استذلها الرومانيون »

رأى الوفد الرومانى من هذا الجواب الأسبيل الى التفاهم مع بروتوس :  
دخلوا كلوزيوم وانهمضوا شجاعة المحاصرين ودفعوهم الى المهاجمة على أن يحاربوا  
معهم . اما رغبة فى معرفة مقدار شجاعة البربر واما لاظهار كفاءتهم . عمل الكلوزيون  
بنصيحتهم . حدث اثناء المعركة التى وقعت تحت اسوار المدينة ان كنتوس  
اموستوس احد الغاليوين الثلاث دفع جواده ضد غاليى طويل القامة فغزم الهيئة  
طاف حوله واندفع بعيدا عن الموقعة لم يعرف لاول امره لان الملحمة كانت  
شديدة وكانت الاعين مأخوذة ببريق السيوف ولكنه بعد ان انتصر على خصمه  
وقتل عرفه بروتوس وهو مجرد الجثة استشهد الآلهة على هذا العمل المخالف للشرائع  
الدولية والقوانين المقدسة « قاتلا جاء فاييوس رسولا فاجترأ أن يعمل عمل عدو .  
فلوقف القتال وترك الكلوزيين وسار بجيشه الى روما على أنه لم يرد ان يظهر  
بظهر من اتخذ هذا الاعتداء زريعة لمهاجمة الرومانيين فطلب من روما ان تسلم  
اليه الجاني لمعاقبته ولم تتقدم الامتهلا

اجتمع مجلس الشيوخ فى روما وأوقع اللوم على فاييوس وقام الكهنة  
المعروفون باسم فاسيو يثو بدون التهمة قائلين ان هذا الاعتداء بهم الآلهة انفسهم  
وأنا بتضحيتنا بشخص واحد كفارة عن الجريمة نحول عن الشعب كله الانتقام  
السموى . وطفحة الكهنة هذه من اوضاع نو ما يومبليوس ارق واعدل الملوك ،  
ليكونوا حراسا للسلام وحكما عدلا فى الاسباب التى تدعوا الى حمل السلاح  
احال مجلس الشيوخ المسئلة على الشعب وجدد الكهنة تأييدهم التهمة ضد  
فايوس ولكن الشعب اكثر من السخرية والاحتقار لقوانين الدين المقدسة  
وعين فاييوس زعيما حرييا مع اخوته

ولما علم الغاليون هذا النبأ اشتد غيظهم وساروا بلا مهل يسرعون الحظ  
وكانت كثرة عددهم وقمعة سلاحهم وقوتهم وسورتهم ترسل الرعب حينما سارت  
وكان أهالى المزارع يتوقعون تلف مزارعهم على شرأنواع التلف واهالى

المدن يتوقعون خراب مدنيهم ولكن شيئاً من الفظائع لم يرتكب فلم يسلبوا شيئاً من المزارع، وكانوا كما مروا بمدينة صاحوا بأعلى صوتهم «أما نسير ضد روما ليس لنا أعداء سوى الرومانيين أما جميع الشعوب الأخر فهم أصدقاؤنا

بينما كان البربر يتدافعون في تقدمهم إلى الامام غادر الزعماء الحربيون روما وساروا لملاقاتهم ولم يكن جيشهم أقل عدداً من جيش الغاليين إذ كان عدد مشاته أربعون الفا ولكن أغلبهم حديث العهد بالحروب لم تسبق له بها خبرة ولم يقبض على السيف إلا لأول مرة وقد قصر القواد في التأكد من مساعدة الآلهة فلم يقدموا الضحايا ولم يستطلعوا رأى العرافين فيما يجب معرفته في هذه الظروف الحرجة قبل مباشرة الحرب وكان لكثرة عدد القواد أثرها السيء في اضطراب الأعمال الحربية فقد كان الرومانيون في أقل الحروب خطراً يعينون حكماً وحيداً يدعونه ديكتاتور يعرفون له قدرة في المواقف الخطرة فيعمل الجميع بروح واحدة ليمتولى الأمر رئيس واحد بيده السلطة العليا وله حق القضاء ولا مرد لحكمه على أن نكبة الرومانيين الكبرى هي معاملة كامي تلك المعاملة الحقيرة فخرموا بأبعاده قائداً جرىء على مقاومة نزعات الشعب واهدائه.

تقدم الرومانيون على مدي تسعين ستار (١) من المدينة وعسكروا على شواطئ نهر اليا عند ملتقى نهر التبر. ومالبث البربر أن ظهروا ولكن الرومانيين جبنوا في القتال ووقع الاضطراب في الجيش فكانت هزيمته تامة. اتقى الغاليون في هجمتهم الأولى الجناح الأيسر في النهر وخشى الجناح الأيمن صدمة البربر فاعتصم بالمرتفعات فكانت نكبة أقل ويلاً. وتمكن بعض هؤلاء من الالتجاء إلى روما ولما مل الغاليون القتل تمكنت بقايا الجناح الأيسر من الهرب إلى قاي ليلا موقنين ضياع روما وهلاك أهلها وقعت هذه المعركة حول الانقلاب الصيفي تقريباً

(١) تزيد قليلاً عن أربع فراسخ الستارة عبارة عن ١٥٠٠ ر ٨٥ متر

حيث كان البدر في تمامه . في اليوم انذى هلك فيه ثلاثماية رومانى من عائلة  
فابيوس بعد الاترسكيى ولكن الهزيمة الاخيرة التى تعرف بذلك اليوم ( ١ )  
لا يزالون يدعونه يوم « اليا » اسم النهر الذى وقعت بجواره

ولقد دقت البحث فيما اذا كانت هناك حقيقة ايام نحس او أن  
هيراكليت كان مصيباً فى لومه هزيود لاعتباره وجود أيام خير وأيام نحس .  
كأنه يجهل أن جميع الايام سواء وقد لا يكون من الخروج عن الموضوع  
أن أذكر بعض حوادث تتعلق بهذا الشأن . مثال ذلك أن البيوتيين  
يعدون من أيام الخير الخامس من شهر هيبيود روميون الذى يدعوه  
الاثينيون هيكتينيون ( يونيه - يوليه ) فقد اكتسبوا في ذلك اليوم النصر  
مرتين انتصارات باهرة أيدت حرية يونان . أحدهما انتصار ليكتروالثنانى  
قبل ذلك بمائتى سنة انتصار جرابت حيث قهروا التلامييين والتالييين  
وبالعكس من ذلك انهزم الفرس فى موقعة مراتوت يوم ستة من بويدروميون  
( أغسطس سبتمبر ) وهزموا فى بلاته وميكال يوم ٣ وهزموا فى ابريل  
يوم ٢٥ منه وكان انتصار اليونانيين بقيادة شابوياس فى موقعة باكسوس  
البحرية فى تمام بدر هذا الشهر وفى العشرين منه غنموا موقعة سلامين  
كما قلت فى كتاب عن الايام ( ٢ ) وقد نزلت بالبربر فى شهر  
تارجليوت ( ابريل - مايو ) نكبات عديدة وفى هذا الشهر انتصر اسكندر  
على قواد الفرس بالقرب من جرانيك . وفى الرابع والعشرين من هذا الشهر  
اخذت ترواده على رواية كاسرتين ( ٣ ) وداماست ( ٤ ) وفيلارك وفى هذا اليوم  
هزم تيموليون القرطجيين فى صقلية اما شهر تارجينيون ( سبتمبر اكتوبر )

( ١ ) ورد بالنتائج الرومانية ١٨ يوليه باسم موقعة الياسنة ٣٦١ لروما و ٢٩٠ قبل المسيح .  
أما نسخة ألوبيوس فقد وقعت قبل ذلك بمائتين سنة

( ٢ ) لم يبق لهذا البحث أثر ( ٣ ) الذى قتله اسكندر بتهمة المؤامرة ( ٤ ) مؤرخ  
معاصر لدودوت . وطبقات الابطال فى حرب ترواده



الذى يدعو البيوتيون بانسيموس فلم يكن خيراً على اليونانيين ففي السابع منه هزمهم انتيباتر في فرانون في موقعة نظامية وشتت شملهم وكانوا من قبل قد هزمهم فيليب في موقعة شارونه وفي اليوم ذاته من هذا الشهر في السنة ذاتها تمكن البربر من قتل وتشتت شمل الجيوش اليونانية التي سار بها ارخيداوس الى ايطاليا ويخشى القرطاجين يوم ٢٢ من هذا الشهر لانه يأتيهم دائماً بويلات فادحة .  
ولكن لا أعلم اذا كان اسكندر ضرب مدينة طيبة في وقت الاحتفاء بالاسرار المقدسة . وان في العشرين من شهر بدروميون يوم الاحتفاء بالاسرار الا انه باخوس تلقى اللاتينيون حامية سبارطة وكان الرومانيون ايضاً أيام خير وشر معا . مثال ذلك اليوم الذي هزم فيه السنيريون جيشهم الذي كان يقوده سيديون ، حتى معسكره وهذا الذي حدث فيه انهم تمكنوا بقيادة لوكاوس من الفوز على الارمنين ونجراند

وقد توفي الملك اتالوس و بونبيه في يوم مولدها ومن السهل ذكر عدة أيام كانت هناء وشفاءاً لاصحابها ولكن الرومانيين يعدون يوم هزيمة ألبا من كل شهر يوماً مشؤوماً ويعدون هذا اليوم ويومين آخرين بسببه ، لان النكبة كما هي العادة تزيد الرعب والاهام ولقد عالجت هذا الموضوع في بحثي المعروف باسم ( المسائل الرومانية )

لو ان الغاليين بعد الموقعة اقتفوا اثر الفارين لما كان لروما بحاجة من الخراب التام ولا أهلها من مذبحه عامة . ذلك أن الهاربين في تفهقهم المروع ملأوا الازدهار رعباً ونشروا الفرع والاضطراب في جميع انحاء المدينة ولكن البربر لم يدركوا في ذلك الوقت ان انتصارهم كان تاماً عدا انهم لفرحهم بالفوز لم يفكروا الا في اغتنام اسلاب المعسكر الروماني ، فمكنوا الهاربين من الاهالي من الانسحاب ومكنوا الباقين من استعادة قواهم وتحصين الدفاع . على أن هؤلاء لم يعنوا بانقاذ المدينة فاكثفوا بان جمعوا في الكايتول كل أنواع



السلاح واقامة المعاقل والحصون حوله وكان أرل همهم نقل الاشياء المقدسة اليه  
 اخذت عذارى فستاوهن هاربات نار فستا والاشياء المقدسة التى عهدت  
 اليهن صيانتها ، ويزعم البعض انه لم يكن عليهن سوى تعهد النار الدائمة . انشأ  
 نوما هذه العبادة لانه كان يعتبر النار جوهر كل شىء وهى بطبيعتها اشد العناصر  
 حركة ، وكل تجديد حركة أو يصدر عن حركة وان جميع المواد الطبيعية تنتهى  
 متى فتمت حرارتها الى حالة جمود لا تختلف كثيراً عن الموت وحاجتها الى  
 عمل النار القوى كحاجتها الى الروح او الحياة ، ومتى عملت فيها عاون الى العمل ،  
 كأنها تحتمل ما يصيبها من احداث المخلوقات الاخرى . هذا مادعا نوما ، ذلك  
 الرجل العظيم الذى بلغ من حكمه أن قيل عنه أنه كان يحدث الالهة ، الى  
 تقديس النار وامر أن يحتفظ بها موقدة على الدوام رمزاً لتلك القوة الخالدة التى  
 تدبر الكون . ويزعم البعض أن الرومانيين كاليونانيين يبقون النار دائماً أمام  
 الاشياء المقدسة إشارة الى طهارتها وانه يوجد بالهيكل اشياء أخرى مقدسة لا يراها  
 سوى عيون العذارى اللاتى تدعى ( فستال ) وهن الاشاعات المستفيضة ان يوجد  
 فى هذا الهيكل البيلايوم الذى احضره انياس من تروادة الى ايطاليا ويزعم  
 البعض أنها آلهة ساء وطرس قائلين أن درواتوس مؤسس تروادة نقلها الى مدينة حيث اسس  
 حفالاتها وعبادتها وأنه عند سقوط تروادة قام انياس فانزعها سرا ونقلها الى ايطاليا  
 ويقول البعض مما يدعون المعرفة انه يوجد بالهيكل برميلان ( زنبلان ) متوسط  
 الحجم احدهما مكشوف وفارغ والاخر مغلى وملائن . وللعذارى دون سواهن الحرية  
 فى مشاهدتها ويكذب البعض هذه الرواية قائلين ان العذارى اخفت فى الزمبابين  
 اكثر الاشياء المقدسة ودفنتها تحت هيكل كيرينيس فى المكان الذى يعرف  
 حتى اليوم باسم دوليولا ثم اجتمعت اكثر الاشياء الدينية قداسة واحتراما وهربت  
 بها عن طريق التتر . وحدث فى ذلك الوقت ان احد العامة لوسيوس ابينوس  
 كان مغادرا روما مع الهاربين وقد حمل على عربته اولاده الصغار وامراته وادواته

الضرورة . ولما رأى العذارى تحمل فوق ازرعتها الاشياء المقدسة سائرات  
وحدثن بلا معين وقد اخذ منهم التعب والعياء كل مأخذ انزل زوجته وابناه  
واخلي العربة من الاواني واجلس فوقها العذارى ليتمكن من الوصول الى احدى  
المدن اليونانية وقد رأت ان تقوى البينوس واكرامه الآلهة في ظرف حرج كهذا  
حقيقة كان يبقى ذكرها بين الناس .

ولكن كهنة الآلهة الاخرى والشيوخ الذين كانوا قناصل أو اكتسبوا كاليل  
النصر ابوا مغادرة روما فارتدى كل منهم ثيابه المقدسة الفاخرة وقدموا انفسهم  
ضحية لوطنهم في صلاة أعادوا فيها ما كان يقوله الخبر الاعظم فاييوس ومن ثم  
جلسوا في ساحة الفوروم على مقاعدهم الفاجية منتظرين ما قضت به الآلهة

وصل برنوس بعد الموقعة بثلاثة ايام بجيشه الى روما ولما رأى الابواب والاسوار  
بلا حراس داخله الشك وخشى أن يكون هناك كمين . ولم يخطر بباله ان  
الرومانيين بلغ بهم اليأس ان غادروا مدينتهم . ومن ثم تأكد ذلك فدفع جواده  
ودخل من باب كولين واخذ روما بعد تأسيسها بثلاثمائة وستين سنة . هذا اذا  
كان من الممكن التثبت من تاريخ قديم كهذا مع ما نعرفه من الاضطراب في  
تواريخ الحوادث الحديثة ، وكأن اشاعة صامته جرت بين اليونانيين عن نكبات  
الرومانيين واغتصاب مدينتهم . قال هيراكليد البونتي الذي وجد بعد هذه  
الحوادث بزمان يسير في ( مبحثه عن التعس ) ان قد جاءت انباء من الغرب ان  
جيشا آت من بلاد القاصية غزا مدينة يونانية تدعى روما وواقعة في الممالك  
الغربية غير بعيدة عن البحر الاعظم . ولست استغرب من هيراكليد هذا  
الكاتب الخرافي الكذاب ان يتخيل فيزين حادثة اخذ روما الحقيقية بكلماتي  
القاصية وللبحر الاعظم . اما ارسطو الفيلسوف فقد أوضح المسألة بعبارة جلية  
وقد سمع باغتصاب السلتين ( الغالين ) مدينة روما ولكنه قال ان الذي  
انقذها يدعى لوسيوس مع انه كلفى مركوس لالوسيوس ولم يذكر اليونانيون هذا

## الموضوع الأرجما بالغيب

لما تمكن يرنوس من روما حاصر السكايتول بثلة من جنده وعاد الى الفوروم . أخذه الاعجاب بهؤلاء الشيوخ في ملابسهم الفخمة جالسين في صمت عميق ثابتين في أماكنهم عند اقتراب العدو لم يبد عليهم تغير ، لا في وجوههم ولا ألوانهم ولم يبد عليهم شيء من الرعب ! ينظرون الى بعض في هدوء متسكنين على عصيهم ، أثر هذا المنظر المهيب في نفوس الغاليين فبقوا زمنا طويلا لا يجسرون على الدنوم منهم ولا مسهم بحسبونهم ذواتا مقدسة . واخيرا اجتأ أحدهم على الدنوم من مانيوس بانيريوس ومد يده بلطف تحت ذقنه ومسك بلحيته الطويلة . ضرب مانيوس ذلك البربري بعصاه على رأسه فخرجه . استل البربري سيفه وقتل بانيريوس وحينئذ انهال الغاليون على أولئك الشيوخ فدبحوهم جميعا وأخذوا كل ما وصلت اليه أيديهم وقضوا أياما يسلبون وينهبون ويخربون المدينة وأخيرا أحرقوا النار فيها وقلوبها رأسا على عقب نائرين ضد حامية السكايتول التي أبت التسليم . والحقيقة أن رجال الحامية دافعت بدسالة وحمت معاقليها بشجاعة وقتلت نفرا من الاعداء غير قليل لذلك خرب الغاليون المدينة وأطلقوا يدهم بقتل كل من وقع بين أيديهم لافرق عندهم بين الجنسيتين ولا عبرة للسن .

طال الحصار وأعوزت الغاليين المؤونة فقسموا جيشهم جماعة تقوم بمحاصرة السكايتول وأخرى تعبت في المزارع ونهب القرى المجاورة ولم يسر هؤلاء جماعة بل فرقا وعصابات لما استقر في نفوسهم من كبرياء الفوز موقنين أنهم في مأمن وقد قصدوا أكثر هذه الفرق عددا وأكثرها مرانا على القتال الى مدينة ( اردة ) التي لجأ اليها كامي . حيث كان يعيش في عزلة عن المسائل العامة عيشة خاصة ولكن في ذلك الوقت دبر مشروعا عظيما لم ير من المحال تحقيقه . لم يكن همه حماية شخصه

ولم يرد قط أن ينجو بنفسه من الاعداء ولكنه كان يفكر في أخذهم على غرة وطردهم . رأى أن الاردن اقوياء بعددهم ولكنهم في فشل لعدم خبرة ونزالة قوادهم فبدأ بمخاطبة الشبيبة قائلا « لا تعزوا هزيمة الرومانيين الى بسالة الغاليين . ان الذين لم يعملوا لنيل النصر لا يستطيعون المفاخرة بنكبات جرمها النصايح والارشادات السيئة ، ان القدر وحده هو الذي أحدث كل شيء . أي مجد تنالون لو نقعتم الخطر وطردهم البربر وأنقذتم أنفسكم من عدو لا غرض له من النصر سوى أن يشعل النار فتلتهم كل ما تصل اليه . هيا اذا كنتم شجعانا وأردتم أن تبدلوا جهداً . انى أهى لكم فرصة للفوز بلا خطر »

وقع هذا الخطاب من الشبان أحسن وقع . قابل كلهم حكام اردة وشيوخها فواقوه الى ما أراد حينئذ سلاح كل من يستطيع حمل السلاح وأبقى الجميع داخل المدينة خشية ايقاظ الريبة في نفوس الاعداء الذين كانوا على مقربة منه . أما الغاليون فبعد أن عاثوا في البلاد فسادا عادوا بالغنائم الى الحقول وعسكروا في السهل بلا حذر وبغير نظام واطلقوا لشهواتهم الغنان فشربوا بلا وعى ، أرخى الليل سدوله وخيم على المعسكر سكوت عميق ولما علم كلهم ذلك من المستكشفين خرج في مقدمة الاردنيين واجتاز بلا ضجة المسافة التي بينه وبين الغاليين فوصل الى معقلهم عند منتصف الليل . أمر الجند ان ترسل صيحات عالية من كل جانب وان يدقوا الطبول ليلقى الرعب في نفوس البربر فلم يكن من هذه الضجة العالية سوى أن اخرجهم بعض الشيء من سباتهم وغفوة سكرهم ولم يتمكن من النهوض سوى قليل ؛ وثب مسرعا الى سلاحه وبرزوا للكامي فهاكوا وهم يقاتلون . أما الباقون الذين استغرقهم غفوة النوم والسكر فقد ذبحوا جميعاً . وكذلك الذين هربوا تحت جناح الظلام وتفرقوا في الخلاء فقد

أخذتهم الخيالة في صباح الغد وأعملت فيهم السيف .

سرعان ما انتشر خبر هذا النشر في جميع المدن المجاورة فرأى كامي الناس يسرعون اليه ذرافات ووجدانا لا يطلبون سوى القتال تحت امرته . جاء اليه الرومانيون الذين كانوا في قايي التي لجأوا اليها بعد هزيمة « أليا » وهم يحدثون أنفسهم في اسف قائلين ، « أي قائد انتزع القدر من روما . لقد اداع كامي بانتصاراته سمعة ( ارده ) اما المدينة التي انجبت وغدت ذلك القائد العظيم فقد ضاعت ولا معين لها . ونحن الذين لم نجد قائدا يقودنا بقيتنا بين اسوار اجنبية بلا عمل نخون عهد ايطاليا . لماذا لانطب الى الارديين قائدا ؟ او لماذا لا نتخذ السلاح ونسرع للحاق به ؟ لم يعد كامي منفيًا ولا نحن وطنيين اذ لم يعد لنا وطن واذا اصبحت روما في قبضة الاعداء ، ،

وقف بهم التفكير عند هذا الحد ، فاوفدوا الى كامي يرجون اليه تولي القيادة فاجابهم كامي انه لا يقبل اختيارهم هذا اذ لم يصادق عليه طبقا للشرائع الوطنيون المحاصرون في الكايتول وانه يرى فيهم ما بقيوا « للوطن » وانه مستعد لتنفيذ امرهم ولكنه لا يعمل ضد ارادتهم ، ، اعجبوا بداعة واخلاص كامي ولكن المشكلة هي ايجاد شخص يحمل هذا الخبر إلى الكايتول وراؤا من الحال ان ينقذ احد الى القلعة والاعداء في المدينة

كان بين الشبان رجل يدعى بونتيوس وطني متوسط الحال ولكنه شديد الشوق الى المجد . تقدم لحل هذه المهمة الخطرة . لم يحمل الى الرومانيين المقيمين في الكايتول رسائل خشية ان يعلم الاعداء اغراض كامي اذ اخذ . سافر مرتدبا ثيابا حقيرة يخفى تحتها قشورا من الالياف سافر طول نهاره بلا عائق وصل بالقرب من روما عند مدخل الليل ولم يستطع اختيار جسر النهر لان البرير كانوا يحرسونه فلف ثيابه على رأسه لم تكن ثقيلة ولا معطلة والقي بنفسه في النهر يقطعه سباحة بفضل مالف حول جسمه من الالياف . اجتاز نهر التبر حتى شفع الاسوار

واجتنب الاماكن التي تنبئه النيران والضجيج بيقظة حراسها ، وسار حتى بلغ باب كارمنتال حيث كان السكون مخميا . وفي هذا المكان كان جبل السكايتول مرتفعا عموديا يراه الناظر صخرة ضخمة صعبة المرتقى ، تسلقه في خفية عن الانظار وتمكن بصعوده السريع الذي عانى فيه الصعاب من الوصول الى طلائع الخراس حياهم وذكر اسمه استقبلوه وساروا به الى الحكم . اجتمع الشيوخ لوقتهم اعلان بونتيوس اليهم خبر انتصار كامى الذى لم يعملوا عنه شيئا واطلعتهم على ماقر عليه رأى الجنود وحشهم على تأييد انتخاب كامى بما انه القائد الوحيد الذى يريد الرومانيون الذين فى الخارج طاعة اوامره . قرر مجلس الشيوخ بعد المداولة تعيين كامى حاكما عاما ( ديكتاتورا ) وارسلوا اليه بونتيوس من حيث اتى . لقي من التوفيق فى عودته مالقى فى رحلته ونقل الى الرومانيين قرار مجلس الشيوخ . تولى كامى القيادة برضى الجميع . كان تحت امرته عشرون الفامن الجنود وحشد عددا كبيرا من المحالفين وتمهيدا للسير ضد البربر هكذا صار كامى ديكتاتورا للمرة الثانية وسار الى فايى حيث تولى قيادة الرومانيين وجيشا اكثر منهم عددا من المحالفين واستعدلمهاجمة الاعداء

حدث فى روما ان بعض رجال البربر اجتازوا الطريق الذى سلكه بونتيوس الى السكايتول ولاحظوا فى جملة اماكن اثار الاقدام والايدي لان بونتيوس كان وهو يتسلق الجبل يمسك بكل ما متصل اليه يده واثار ذلك ظاهرة فى الاعشاب النابتة على جدار الجبل وقد انحدرت بضعة من احجارها بلغوا ذلك الى الملك . ذهب اليها بنفسه وتعرف حقيقة ما ولم يقل شيئا حينذاك ولكنه عند المساء جمع انشط رجاله ممن يحسنون تسلق الجبال ، وخطبهم قائلا

« ان الاعداء ارونا بانفسهم الطريق المؤدى اليهم ، ولم نكن نعرفه . وارونا انه ليس صعبا ولا عسير المسلك . ويالعارنا اذا كنا بعد ان فرنا بالبداية نضعف

قبل الوصول الى النهاية ! او تركنا المكان كانه مما لا يؤخذ بعد أن ارشدنا الاعداء أنه مما يؤخذ !

حيث سار رجل بمفرده لا يعز على الكثيرين السير اليه جملة الواحد بعد الآخر .  
مساعدين متعاونين على ان المكافآت الحسنة والشرف العظيم يكون جزاء كل منكم  
على نسبة شجاعته »

عملت خطبة الملك عملها في النفوس ووعد الغاليون باقتحامه مستبسلين .  
وفي منتصف الليل بدأوا يتسلقون في صمت جملة الواحد بعد الآخر آخذين  
بنوائى الصخور . كان الصعود صعباً ولكنهم وجدوه الطف وأيسر مما كانوا  
يظنون . بلغ الاوائل قمة الجبل وكانوا على وشك الاستيلاء على المعقل ومفاجأة  
الحراس النيام اذ لم يشعر حارس ولا كلب . ولكن كان هناك سرب من الاوز  
يعنون به حول هيكل جينون ؛ كانوا يطعمونه أيام الرخا اما وقد أصبح الرجال في  
حاجة الى الغذاء . اهلوه فكان يتضور جوعاً . وهذا الطير دقيق السمع يفزع  
لاقل حركة وهذه الحيوانات التي أيقظها الجوع وجعل شعورها بالفزع لاقل حركة  
أشد أثراً أحست بدنو الغاليين . أسرع اليهم في صيحات عالية أيقظت جميع  
الرومانين . رأى الغاليون ان قد كشف أمرهم ؛ فلم ينجسوا أحداث أية حركة  
وهاجموا بلا تردد . أسرع الرومانيون الى أقرب سلاح وصلت اليه أيديهم ووقفوا  
للعُدو وكان مانيليوس وهو قنصل سابق أول من هاجم البربر وكان رجلاً متين  
العُضد وافر الشجاعة اعترضه عدوان دفعة واحدة رفع أولهما الفأس ليهشم رأسه  
فقابلته مانيليوس بضربة سيف أطارت ساعده وصدّم الآخر بدرعه فالتأه في الهاوية  
ثم وقف على السور مع من لحقه يدفع الآخرين من الاعداء ولم يكن عدد كبيراً  
وذهبت مخاطرهم سدى . نهض الرومانيون عند فجر الغد وقد نجوا من الخطر  
فالتقوا الى الاعداء من أعلى الصخر بقائد حرس الليل ومنحوا مانيليوس جراً  
انتصاره مكافأة تجمع بين الشرف والفائدة . منحه كل منهم غداء يوم وهو نصف



رطل من حنطة البلاد وربع زجاجة يونانية من الحجر .

فت هذا الخذلان في عضد الفاليين و بدت حاجتهم الى المؤونة ومنعهم الخوف من كامي من الخروج للسلب وانتشر المرض في ذلك الجيش الذي كان يعيش بين أكداس من جثث القتلى واطلال المنازل التي التهمتها النار . وكانت أكوام الرماد التي جففتها حرارة الشمس وأثارتها الرياح تتبخرفتفسد الهواء وتملاً الريثات بسمومها القاتلة . وقد ساعد تبديلهم معيشتهم الاولى مع انتشار العدوى . اعتادوا المقام في بلاد منكشفة ودارنة الظلال يجدون في ظلها مأوى لطيفاً من حرارة الصيف وأصبحوا في بلاد منخفضة حارة لاسيما في فصل الخريف يضاف الى هذه الاسباب طول زمن الحصار ، فقد مضى أكثر من ستة شهور وهم وقوف تحت سفح الكابتول لذلك انتشر الوباء في الجيش وكثر عدد الموتى بحيث لم يعد في الامكان دفنهم على ان حالة المحاصرين لم تكن أقل خطراً . أخذت المجاعة تشد بينهم ، وقدفت في ساعدهم جهلهم حركات كامي . لم يستطع أحد ان ينقل اليهم أعمال كامي ورجالهم لان البربر كانوا يشدون الحصار على المدينة وفي هذه الحالة التي اشتد ويلها على الجانبين بدأت مفاوضات الاتفاق بواسطة محادثات جرت بين الطلائع ومن ثم ذهب سولبسيوس بناء على فرار كبار الوطنيين لمفاوضة برنوس وتم الاتفاق بينهما على ان يدفع الرومانيون الف جنيه ذهباً وزناً وان الفاليين عند استلامها يغادرون المدينة والاراضي . قبل الطرفان الاتفاق واقسم عليه وقدم الذهب فبدأ الفاليون يغشون في الوزن ، بدأوا ذلك خفية بغش الموازين ثم علانية بامالة كفة الميزان . لم يخف الرومانيون استيائهم ولكن برنوس أضاف الى الخيانة الإهانة والسخرية فترع سيفه ووضع في كفة الموازين مع الزرد . سأله سولسيوس مع أي معنى هذا ؟ فاجابه برنوس وأي معنى يمكن ان يكون سوى « الويل للمغلوب » فذهبت هذه الجملة مثلاً .

اراد بعد الرومانيون لشدة استيائهم ان يأخذوا الذهب ويعودوا الى



الكايتول للاستمرار في حالة الحصار ورأى البعض احتمال الاهانة لقلة خطرهما  
فما بين ليس العار ان ندفع اكثر مما وعدنا ولكن العار ان نقهر على الدفع ، وهذه  
ضرورة مخزية حتمتها علينا الظروف

بينما كان النزاع قائماً بينهم وبين الغاليين ، وبينهم وبين بعضهم كان  
كامي على رأس جيشه قد وصل الى ابواب روما . ولما علم بما هو جار امر  
جيشه بالمسير خفيف الخطى حريصاً على النظام اما هو فصار بنخبة جيشه مسرعاً  
وفي لحظة كان بين الرومانيين واذا رآه الجميع تفرقوا واستقبلوه كرئيسهم الاعلى  
بكل تجملة وفي صمت عميق . اخذ كامي الذهب الذي كانوا يزونه واعطاه  
لحراسه وامر الغاليين ان يأخذوا ميزاتهم وموازينهم وينصرفوا ثم قال « ان  
الرومانيين تعلموا من آباءهم ان يشتروا وطنهم بالحديد لا بالذهب » انتفض  
برنوس غضباً وقال هذا ظلم ومخالفة للمعاهدة فاجابه كامي « لم تعمل تلك  
المعاهدة حسب القوانين والاتفاقات مائة . انا المنتخب ديكتاتور فكل سلطة  
معطلة بامر التانون . لقد تعاقدت مع أناس لا شأن لهم فيجب أن تعرض على أنا  
مطالبك . لي سلطة القانون . لي أن اصفيح عنك اذ توسلت ضارعا ولي أن أعاقبك  
كجرم اذا لم تبد الندم .

اغضب برنوس هذا الكلام فتقلد سيفه فجرد الجانبان سيوفهم فبدأت  
ملحمة عنيفة اختلط فيها الاعداء اختلاطاً لم يكن منه بد بين الخرائب وفي  
طرق ضيقة لا يمكن فيها تنظيم القتال . عاد برنوس الى صوابه وانسحب بجيشه  
الى معسكره بعد خسائر قليلة ولما جنى الظلام انسحب بجيشه مغادرا روما وعسكر  
على مسافة ستين غلوة بالقرب من طريق جاني . وفي مطلع الفجر كان كامي  
هنالك متقلداً سلاحه اللامع يتبعه الرومانيون . وقد عادت اليهم الثقة بانفسهم  
نشبت هناك معركة طويلة شاقة . تمكن كامي فيها من تمزيق شمل الاعداء  
وأوقع بهم هزيمة تامة واستولى على معسكرهم وكان نصيب الهاربين الذبح اذ تعقبهم

النائرون من الرومانيين اما الذين تفرقوا في الخلاء والمزارع فقد تولى سكان القرى والمدن المجاورة ابادتهم

هكذا اخذت روما بكيفية غريبة وأعيدت بكيفية اشد غرابة وقد بقيت في ايدي البربر سبعة شهور كاملة . وصلوها في ( ايد كانيلين ) وطردها منها نحو ( ايد ) فبراير .

فاز كامى باكليل النصر ولا اقل منها لرجل انتزع وطنه من ايدي الاعداء واعاد روما ذاتها لان الوطنيين الذين غادروها بنسائهم واولادهم عادوا اليها في اثر المنتصر . وقد خرج الذين كانوا في الكابيتول لاستقباله . وقد كاد الجوع يقتلهم فكانوا يعانقون بعضهم البعض وهم يذرفون دموع الفرح لا يصدقون هذه السعادة التي لم تكن منتظرة وكان الكهنة وسدنة الهياكل يحملون الاشياء المقدسة التي اخفوها قبل الفرار أو احتملوها معهم وكان أكرم وأقدس مشهد في نظر الوطنيين ، خيل لمن شهد احتفاء الشعب باستقبالهم كان الآلهة ذاتهم يدخلون الى روما معهم : قدم كامى الضحايا وظهر المدينة برسوم أملاها عليه الاحبار ثم أصلح الهياكل وبنى عدا الموجود منها هيكلًا ابوس لوكتيوس (١) في المكان الذي سمع فيه ماركوس سيدتيوس ذلك الصوت الالهى الذى انبأه بقدوم البربر . لم تكن معرفة اما كن الهياكل من الامور الهينة لولا مسابرة كامى وعناية الكهنة وبحسبهم الدقيق ولما جاءت مسألة إعادة نياز المدينة التي عمها الخراب . أستولى الخمول على العقول وخارت العزائم امام هذه المهمة . اخذ الشعب الذى كانت تعوزه جميع حاجاته الضرورية في التسويف يوما بعد يوم

وكان القوم بعد الملم بهم من النكبات في حاجة الى شيء من الراحة فقد ذهبت اموالهم ، وضعفت اجسامهم فترددوا في القيام بهذه الاعمال وانهاك قواهم اكثر مما هي عليه . ثم اخذت الافكار تتحول الى ما كانت عليه من الاتجاه

(١) اسم مؤلف من كلمتين . القول والغلام .

انى فاني لان هذه المدينة لم تمس بسوء وتعيش في رغد . انتبهز زعماء الشعب هذه الفرصة وجعلوا منها مادة خطب وتحريضات جديدة وجعلوا كلمى هدفا لهجائهم الاثيمة وهى لم تكن في عرفهم سوى ان كلمى يبنى على الوطنيين مدينة مستعدة لاستقبالهم لغير شىء سوى اشباع شهوته لرفعة مجده الشخصى ، وانه يكرههم على سكن الاطلال البالية واثارة رماذ تلك المحرقة الواسعة حتى لا يقال عنه فقط انه رئيس وقائد الرومانيين بل ومؤسس روما ، واينترزع هذا القلب من رومولوس خشى مجلس الشيوخ حدوث انقلابات فخالف القوانين بالرغم من الخاح كلمى وكانت تنطى الا تزيد مدة الديكتاتورية عن ستة شهور فلا يقبل أن يقبل بالديكتاتور قبل نهاية السنة

أخذ الشيوخ يلاحظون الوطنيين ويعزفونهم ويستميلونهم بالاقذاع والملاينة فكانوا يرونهم آثار ومقابر آباءهم ويذكرونهم بتلك الهياكل والاماكن المقدسة التى قدسها رومولوس ونوما وغيرهما من الملوك واصبحت وديعة بين ايديهم اما الادلة المدنية التى كانوا يدللون بها فهي تلك الرأس البشرية التى وجدوها حديثا وهم يحفرون اساس الكابتول فهي وعد من الاقدار للمدينة التى ستبنى في هذا المكان بان تكون روما ما عاصمة جميع ايطاليا ونارفتا المقدسة التى اوقدتها الكاهنات بعد الحرب وهم يريدون اطفائها مرة ثانية بتركهم المدينة رما هذه التى ستكون عارا عليهم لوجاء شعب آخر وأقام فيها مدينة تحت انظارهم اوبقيت خرابا ترعى فيها الماشية هذه هى الاقوال المؤثرة التى كانوا يوجهونها لكل وطنى على حده والتى كانوا يكررونها امام الجميع فى الحفلات والاجتماعات ولكنهم كانوا من جهة أخرى متأثرين يرثون لبؤس ذلك الشعب الذى يبكى لفراقته ويضرع اليهم ان لا يرهقوا اناسا نجوا من غرق عريانيين ولا معين لهم باقامة انقاض مدينة مهتمة فى حين وجود مدينة اخرى تصلح لسكنائهم

رأى كلمى أن يمدى مجلس الشيوخ رأيه فى هذه المسألة والتقى فى المجلس

خطابا مستفيضا عرض فيه مصلحة البلاد . ثم سمع المجلس اقوال من اراد الكلام من الشيوخ . وشرع في اخذ الاصوات مبتدئين بلسويوس كركراتيوس الذى جرت العادة ان يكون اول المصوتين . ثم يبدى كل رايه حسب درجته . خيم السكوت على المجلس ، ونهض كركراتيوس للكلام واذا بالضابط المتولى حراسة النهار ماربجنده صدفة يصيح بصوت عال مخاطبا حامل العلم ، قف واغرس العلم هنا ثم قال « مكان بديع لنبقى هنا » عند سماع هذه الكلمات وهى اشبه ما يكونه بمقتضى الحال وموضوع المباحثة والحيرة التى تقسمت النفوس ، كان لوكراتيوس يعبد الالهة ( من المؤمنين ) فقال وقال معه بقية الشيوخ ان رايه رأى الوحي الذى سمعه . حدث فى ارادة الشعب تغير عجيب . اخذ يحرض بعضهم البعض عن العمل برغبة وحماسة غير منتظرين لتخطيط الشوارع بل كان كل منهم يبنى فى المكان الذى يراه ملائما .

اندفع القوم فى العمل لمجة ناهضة غير مباليين بتقسيم الطرق وساحة المباني فلم يمض سنة حتى برزت المدينة كاملة البناء ، اسوارها ومنازل افرادها . اما الفناين امرهم كلامى بالبحث عن الاماكن المقدسة والكشف عن خدودها فقد طافوا حول ( بالاتيوم ) ووصلوا الى هيكل مارس . القوا هذا المعبد كغيره ، ماخر به واحرقه البربر ، ولكنهم وجدوا وهم يرفعون الانتقاض تحت كومة رماد عصا رومولوس الرمزية . وهو قضيب نحى من أحد طرفيه يدعى لبيتوس وكان يستخدم لتعين الاقطار السماوية عند اخذ الوحي فى هذا كان يستعمله رومولوس ، ذلك الامير الضامع فى علوم العرافة . ولما اختفى رومولوس واخذ الكهنة الليتوس وعنوا بصيانته

عناية دينية لا يسمحون بمسا . شأنه شأن الاشياء المقدسة ( \* ) فرحوا لوجوده فرحا عظيما اذ لم تلبثهم النار كما التهمت سواه وراوا فيه فاتحة أمل عظيم لسعادة روما وراوا فيه اشارة تبشر المدينة بالخلود

لم تكن تلك الاعمال قد بلغت تمامها حتى فوجيء القوم بحرب جديدة ذلك أن الالبكيين والفولسكيين واللاتينيين أغاروا بسلاحهم على أراضي روما . حاصر الانرسكيون سوتريوم وهي مدينة مخالفة للرومانيين وحاصر اللاتينيون القواد الذين أقاموا جيشهم على مقربة من جبل مارسيس وإذا رأوا أنفسهم في خطر أرسلوا يستنجدون روما فعين كامي ديكتاتورا للمرة الثالثة.

ولهذه الحرب روايتان مختلفتان . أبدأ بالخرافية منهما . يروى أن اللاتينيين أرادوا التذرع بحجة ما لقطع علاقتهم مع الرومانيين أو أنهم أرادوا كما فعلوا سابقا ان يتصلوا معهم بمصاهرة جديدة . أرسلوا اليهم يطلبون زوجات من الفتيات الاحرار . صار الرومانيون في الامر ولم يكونوا قد استراحوا بعد من المشاق والخسائر . فكانوا يخشون الحرب . وداخلتهم من جهة أخرى الرغبة في أن اللاتينيين لم يقصدوا بهذا الطلب سوى الحصول على رهائن وما كلة المصاهرة سوى غطاء يسترون به عرضهم . تقدمت عبدة تدعى توتولا ويدعوها البعض ( فيلوتيس ) الى الزعماء الحرييين بنصيحة أن يرسلوها مع طائفة من العبدات الحسان في فتيات كريمات البيوت وان يعتمدوا عليها فيما بقي . قبل الحكام اقتراحها وانتخبوا العدد الذي أرادته عن زميلاتها وافرغوا عليهم افخر الثياب وزانوهن بالحلى الذهبية . وسلموهن الى اللاتينيين المعسكرين غير بعيد عن المدينة أسرع هذه النساء الى جمع سلاح الاعداء وصعدت توتولا أوفيلوتيس الى قمة شجرة تبين بريقة وأسدت خلفها ملأة ورفعت تحوروما مشعلا موقدا . وكانت هذه علامة اتفقت عليها مع الحكام على غير علم الوطنيين . لذلك حدث اضطراب عند خروج الجند مساء على أمر الزعماء . فكانوا يدعون بعضهم البعض وبكل مشقة وصلوا الى تنظيم صفوف القتال ومهايكن الامر فقد اتقنوا على مواقع الاعداء ولم يكن هؤلاء يتوقعون ذلك بل كانوا نياما . فاستولوا على معسكرهم وذبخوا منهم خلقا

كثيراً . وقع هذا الحادث في يوم عذارى يوليوس المعروف بعذارى ( كينتيليس ) ولا زالوا حتى اليوم يقيمونه في روما عيداً تذكاريًا . يخرج فيه الرومانيون في شيء من الاضطراب ، يلفظون أشهر الاسماء الرومانية بصوت عال . مثل كايوس ، ماركوس ، لوسيوس ، وغيرها يتقدمون خروج الجند وهم يدعون بعضهم البعض باسمائهم ثم يخرج العبدات في ثياب فخمة تطوف المدينة في مرح ترمى كل من تقابلها بسوار ثم تقمن فيما بينهما نوعاً من القتال اظهاراً لتصميمهن في مقاتلة اللاتينيين . ثم تجلس تحت ظلال اشجار التين حيث تقدم لمن ولية . ويدعى هذا اليوم بيوم عذارى كبراتين وهو اسم مشتق على ما يظن من اسم شجرة التين البري التي اعتلتها العبدة رافعة المشعل وذلك لان شجرة التين البرية تدعى كبريفيكس في لغة الرومانيين . ويرى البعض أن ما يقال ويعمل في هذا العيد إنما هو إشارة الى اختفاء رومولوس . والحقيقة أنه اختفى في ذلك اليوم إبان عاصفة هبت فجأة صحبها ظلام حالك . أو كما يظن البعض أثناء خسوف الشمس ويكون اسم عذارى كبراتين المطلق على هذا اليوم مشتق من ( كايبرا ) وهذا اسم لاتيني للعنزة لان رومولوس اختفى وهو يعتقد جاساً شعبية بالقرب من غدير العنزة كما ذكرت ذلك في « حياته » .

أما الرواية الثانية التي أجمع عليها أكثر المؤرخين فهي علم كامي وهو ديكتاتور للمرة الثالثة أن اللاتينيين والفولسكيين حاصروا جيش الشعب الحربيين في معسكة فاخطر لتجنيد جيش كبير حتى ممن تجاوزوا سن الجندية وقطع دائرة طويلة حول جبل مارسيسوس وعسكر بجنده خلف العدو دون ان يراد . وأوقد نارا ليعلم المحاصرين بحضوره . فعاد هذا المشهد الشجاعة الى قلوبهم واعتزموا الخروج لمهاجمة العدو . ولكن اللاتينيين والفولسكيين بقوا في معسكرهم وخضعوا جميع جوانبه وتربصوا في مكائهم اذ رأوا أنفسهم بين جيشين وعولوا على انتظار جيش من يلوهم أو مساعدة الاتروسكيين . أدرك كامي غرضهم وخشى أن يحاصر هو أيضاً فتعجل الحوادث كابت معاقل الاعداء من الخشب وكانت تهب كل

صباح ریح شدیدة من الجبال . أعد كأى كمية واقرة من الخرامات . وأمر جيشه بالاستعداد عند الصباح . وأمر جزءا من رجاله أن يستخدم النشاب وأن يهاجم العدو من جانب صايحا صيحات عالية أما فهو فبقى مع حملة الثيرات فى المكان الذى تهب منه الريح وانتظر الفرصة الملائمة . نشب القتال فى الجهة الأخرى وهبت الريح عند طلوع الشمس بشدة . وعند ذلك أمر كأى رجاله أن يقدفوا السهوم النارية اشتعلت النار بالالوتاد المتلاصقة التى تحمىها أخشاب أخرى خلفية امتدت النار بسرعة الى جميع الخظيرة ولم يكن لدى اللاتينيين ما يرمونه به ولا ما يقفون به تقدمهم فالتهمت النار المعسكر كل تجمعوا أولا فى مكان ضيق ثم اضطروا الى الخروج فلقبهم جيش مصطفى للقتال أمام معاقلم . ولم ينج سوى القليل اما الباقون فقد التهمتهم النار اخذ الرمانيون بعد ذلك فى اطفائها واضلوا يدهم فى السلب والنهب .

ولما فرغ كأى من هذا عهد الى ابنه لوسيروس فى قيادة المعسكر وحراسة الاسرى والغنائم . ودخل اراضى الاعداء واستولى على مدينة الايكين واكره الفولسكين على التسليم . ثم اسرع بجيشه الى سوتريوم لانه لم يكن يعلم بعد نكبة السوتريين . واما ان المدينة لم تكن فى حاجة الا الى نجدة سريعة وان الاترسكين يحاصرونها ويخشى استيلائهم عليها . ولكن السوتريين كانوا قد ساءوا المدينة الى الاترسكين فجردوهم من كل شىء لم يتركوا لهم سوى ثيابهم . فقابلوا كأى هم ونساءهم وأطفالهم ليكون ما حل بهم من الويلات . رأى كأى حالهم ورأى الرومانيين يكون رحمة وعظما على السوتريين فعول على ان لا يؤجل الانتقام لهم وان يسير فى اليوم ذاته الى سوتريوم قتلا فى نفسه ان اناسا استولوا على مدينة غنية عظيمة لم يبقوا فيها عدوا واحدا ولا يخشون احدا من الخارج لانه من ان يكونوا الآن منصرفين الى اللهو واللذات فى غير حذر دخل ابوابها لم يخطئ فى حدسه . ولم يدخل فقط ارض سوتريوم بل وتجاوز اسوارها دون ان يشعر به

أحد منهم . لم تكن هناك حراس بل كان الاتروسكيون متفرقين في كل ناحية يلهون ويمرحون . ما افاقوا حتى راوا العدو مسيطرا على المدينة . كان قد بلغ بهم المرح والخر حتى لم يفكر احد منهم في الحرب . فاستسأوا معه بكل خزي للقتل او التسليم بلا دفع . وهكذا اخذت سوتريوم مرتين في يوم واحد . طرد منها الذين استولوا عليها . واستعادها الذين طردوا منها بفضل كامي

لم تكسبه الحملتان الاخيراتان من الجهد والاجلال أقل مما فاز به في الحملتين السابقتين لم يجد اليه اعدائه حتى الذين كانوا ينسبون انتصاراته الى القدر لا الى فضله لم يجد هؤلاء بدا من الاعتراف امام الواقع بفضله وتقدير خبرته وحكمه وكفاية حق قدرها . وانه وحده صاحب تلك الانتصارات . كان ماركوس مانيولوس اشد اعدائه صراحة وحسدا وهو أول من رد غارة الساليتين في العائمة ليلة تسبقوا جدران الكابيتول وكوفى على ذلك بلقب ( كايبتوليئوس ) اراد مانيولوس ان يكون الاول بين مواطنيه واذا لم يستطع التفريق دلى كاسى بطرق شريفة عمد الى سبيل الذين يطمحون الى السيادة : كان يجتذب اليه ( المتعلمين بالديون ) بان تولى الدفاع عنهم ضد دائئيتهم في المحاكم وكان ينزع المدين بالثوة من دائئيتهم مع ان القوانين تقضى باستعباده لدائئيتهم . لذلك التفت حوله عصاة من البؤساء ازعجوا كبار الوطنية في جلسات ( الفوروم ) انتخب كنتوس كايبتوليئوس ديكتاتورا في هذه الاثناء فامر بسجن مانيايوس . ولكن الشعب لبس الحداد وهي حالة لا تحدث الا عند المصائب الكبرى العامة . خشى مجلس الشيوخ الفتنة فاطلق صراحه وبذل ان يخرج من السجن خبرا مما كان اثار الشعب في محنة اشد خطر وملا المدينة فتنه

انتخب كامي زعيما حرييا : وقدم مانيولوس للمحاكمة ولكن منظر الكابيتول كان قذى في عيون المدعين اذ كانوا يرون من الفوروم المكان الذى قاتل فيه مانيولوس السلميتين ليلا . وكان هو يمد يده الى العائمة وعيناه مغرورتان بالدموع



يذ كرالر رومانين بمواقعه . كان جميع الحضور يعطفون عليه وخطر القضاة غير مرة الى تأجيل الفصل في امره . لا يستطيعون تبرئته والتهمة ثابتة عليه . ولا يستطيعون الحكم عليه لازال الكابتول يمثل امام عيونهم خدمات ماينلوس ، ادرك كامي هذه الحالة فنقل المحكمة خارج المدينة في غابة باثليان حيث لا يرى الكابتول . وهناك تبض المدعى فاثبت التهمة ورأى القضاة ولم يكن هناك ما يذكرهم بخدمات مانيايوس فاخذة بجزيرة وحكوا عليه بالوت فقادوه الى الكابتول وقذفوا به من اعلى الصخر فكان شاهد مصرعه كما شهد عماله الجليل . هدم الرومانيون منزله وبنوا مكانه هيكلًا لالهة مونتيلا واصدروا امرا يحرم على (الباترسن) الاشراف السكنى في جبل الكابتول .

دعى كامي للمرة السادسة الى الزعامة الحربية فابى قبولها لتقدمه في السن ولانه خشى بعد ما احزره من النصر والمجد شر الحسد أو انقلاب الحظ . وكان أظهر اسباب امتناعه ضعف صحته اذ كان مريضاً . ولكن الشعب لم يقبل عذره صامحاً انا لانلزم القتال واجلاً أورا كبا انما نريد الاستعانة بنصائح في القتال . فاضطر لتولى قيادة الجيوش ، يعاونه لوسيوس فور يوس احد زملائه . قاد الجيش لمواجهة الاعداء فاهم البرنستيون والفولسكيون ، عاثوا بجيش عزمهم في اراضي حلفاء الرومانيين . سار كامي اليهم وعسكر على مقربة من معسكر العدو وقصد الى التسوية حتى اذا حانت ساعة القتال يكون قد استرد قواه واستطاع خوض المعركة . ولكن زميله لوسيوس كان ياتهب شوقاً الى المجد ولم يستطع الانتظار وامتدت شهوته الى جميع الرؤساء من ضابط وحمله رماح وخشي كامي ان يتهم بحرمان الشبيبة حسدًا من فرصة ينتصرون فيها ويظهرون تفوقهم وكفائتهم . فسمح لـ لوسيوس في اسف بالتقدم للقتال ولزم هو معسكره مع قليل من الجنود .

هاجم لوسيوس الاعداد هجمة عنيفة ولكن اضطر للتقهقر . رأى كامي الرومانيين قد لازموا بالفرار فلم يطق صبراً قفز من فراشه واسرع بمن معه من

الجند الى أبواب المعسكر واخترق صفوف الفارين وهاجموا . طاردتهم فارتد الرومانيون الذين بلغوا المعسكر على اعقابهم وانضموا الى كامي وانضم اليه الغارون الذين كانوا في السهل وانتظموا في صفوف القتال يحرض بعضهم البعض الا يتركوا قائدهم . وقت الاعداء في ذلك اليوم طرادهم وفي الغد تقدم اليهم كامي بجيشه وما زال يعمل فيهم السيف حتى أجهلهم الى الفرار . دخل معسكرهم مع الهاربين ولم ينج من سيفهم احد . علم بعد انتصاره أن الاتروسكين استولوا على ( ساتريا ) وقتلوا جميع أهلها وهم رومانيون . فارسل إلى روما المشاة والذخيرة وسار في نخبة رجائه الى الاتروسكين الذين احتلوا ساتريا . هزم الاعداء وطردهم من المدينة بعد أن هلك الكثيرون منهم في القتال . عاد كامي إلى روما يحمل الغنائم فكان برهانا قاطعا على أنه احكم الشعوب شعب لا يخشى كبرسن أو ضعف قائده عرف بالخبيرة والبسالة يؤثرونه مهما يكن مريضاً ومهما تكن رغبته في الامتناع ، على جماعة الشبان الذين يطلبون القيادة ويبدئون كل جهد للحصول عليها .

علم الرومانيون بشورة التوسكوليين فعمدوا الى كامي أيضاً في معاقبتهم تاركين له حرية اختيار من يريد من زملائه الخمس . وكان كل منهم يرجوا ملجأ ان يكون المختار . ولكن كامي على غير ما كان ينتظر الجميع ترك الكل واختار لوسسيوس فورسيوس الذي خلفه قبلاً وقام بتلك الحملة الشعواء . وكان كامي أراد بذلك أن يقدم لفوريوس فرصة يصلح فيها خطاه ويمحو عاره . استولى الرعب على التوسكوليين اذ علموا بقدوم كامي فعمدوا إلى الحيلة يسترون بها خطاهم نشروا الزرايع والرعاة في الحقول يحرقون الارض ويرعون الماشية شائهم في وقت السلم ، وابتقوا أبواب المدينة مفتوحة . وارسلوا ابناءها على عاداتهم الى المدارس واخذ الصنائع يعملون في مصانعهم في طمأنينة ومشى الناس في طرقهم المدينة بثيابهم العادية وكان الحكام مسرعين هنا وهناك كأنهم يهيمون

نفسا كن الرومانيين، وكأنهم لا يخشون أمراً ولا موضع للريبة فيهم . لم تذهب هذه المظاهرة بما كان يعتقد كامن من اضمارهم الثوورة . ولكنه تأثر بما بدأ من مظاهر الندم والنكران . فأمرهم بالرحيل إلى مجلس الشيوخ ليتقوا غضبه عليهم . أيد رجاءهم وإبرأ مدينتهم من التهمة وحصل لهم على حقوق المدينة الرومانية . هذه أهم أعماله مدة زعامته السادسة .

حدث بعد ذلك ايسينيوس ستولون فتنة شديدة في روما محرصاً الشعب ضد مجلس الشيوخ . اراد الشعب أن يكون أحد القنصلين المنتخبين من الشعب ( السوق ) بدل أن يكون من الاشراف . جرى انتخاب رعاء الشعب ومن ثم منع الشعب اجراء الاقتراع لانتخاب القنصلين . فاوشكت المدينة لعدم وجود الحكم تعمها الفوضى . عين مجلس الشيوخ كامبانيا ديكتاتوراً للمرة الرابعة . وكان ذلك ضد إرادة الشعب على أنه لم يقبل هذا المنصب الا بعد عدة . لم يرغب في مقابلة رجال يقولون له بحق بعد تلك الانتصارات ان مقامه في الحروب بمعونتهم شيء آخر يختلف عن جميع الاعمال السياسية التي عاونها فيها الاشراف . وكان يشعر ان الاشراف لم ينتخبوه إلا لانه بغض الى الشعب ولكن يوقعوه بين أمرين أما أن يبقى نيرهم على الشعب اذا انتصر وأما أن يلاشى نفسه اذا انتصر الشعب عليه . حاول أن يجد حلاً لهذه المعضلة علم اليوم الذي حدد رعاء الشعب لتقرير قانونهم فامر أن تحشد الجيوش في ذلك اليوم ودعا الشعب أن يترك الفوروم ويذهب إلى حقل مارس . مهدداً بإيقاع غرامة على كل من يخالف أمره . قابل الزعماء التهديد بالتهديد واقسموا أن يحكموا عليه إذا أصر على منع الشعب من تقرير مشروعه بغرامة خمسين ألف اس . انسحب كامن إلى منزله خوفاً من نفى جديد أو حكم بان يصدر عليه ما يشين شيخاً مثله اشتهر بأعماله الحربية أو هو رأى في نفسه عدم الكفاية مقاومة رغبات الجمهور وبعد التزام منزله بإيام اعتذر باعتلال صحته وقدام استقالته

من الديكتاتورية عين مجلس الشيوخ خلفاً له فاختار الخلف ستولون رغم الشعب قائداً للفرسان وأباح له تنفيذ قانون يثير غضب الأشراف وهو قانون يحرم على أي وطني امتلاك أكثر من خمسة ذراعا من الأرض . انتفخت أوداج ستولون بهذا الفوز ، ولكن ثبت عليه بعد قليل أنه هو يملك من الأراضي أكثر مما يبيحه الآخرين فذهب ضحية قانونه .

بقيت بعد ذلك مسألة الاقتراع على القنصلين الشغل الشاغل وهم أسباب الفتنة وانتقد العقد . استمر النزاع قائماً بين الشيوخ والشعب زمناً طويلاً علم اثناءه من مصدر ثقة أن السلتيين اجتازوا للمرة الثانية بحراً لادرياتيكا وهم سائرون يسرعون الخطى إلى روما في جيش ضخم . سرعان ما أيدت الحوادث الأشياء ابتدأت الحرب بمنزل بالبلاط من العطب والخراب وتشتت في الجبال من لم يستطع الانسحاب إلى روما . أخذ الخوف الفتنة واجتمع الشيوخ والشعب أمام الحظر وعينوا بالاجماع كامي ديكتاتوراً للمرة الخامسة . وبالرغم من شيخوخته ( إذا كان في الثمانين ) ولم يبد عذراً ولا اعتل بعلمته بل أسرع في قبول الديكتاتورية بلا تردد غير ناظر إلا إلى ضرورة الحال ، أسرع بالتجنيد وأذ كان يعلم بالاختيار أن أشد قوى البربر هي سيوفهم الثقيلة يدبرونها في غير مهارة فقطع الكثاف والرؤوس سلاح فقطع جيشه بنواذات من الحديد المصقول تنزلق عليه سيوفهم الغاليين أو تتحطم . ولم يكن خشب دروع الرومانيين من المتانة بحيث يحتمل الصدمات فطوقها بطواق من النحاس . ومن ثم علم الجند استخدام الرماح الطويلة بزقونها تحت سيوف الأعداء وفقاً لضرباتهم التي يرسلوها من فوق .

وقف السلتيون على مقربة من روما عند شاطئ انيو وكان معسكرهم ممتلئاً من الغنائم التي أحرزوها . خرج كامي بجيشه وعسكر على تل ناعم المرتقى تتخلله المغاور اختفى فيها معظم جيشه حتى يظهر الباقون فوق التل في هيئة المستسلم الخائف المعتصم بالمرتفعات . ولكي يدخل كامي هذا الوهم في

نفوس الاعداء لم يمنعمهم السلب حتى فى سفح النبل وبقى هو هادياً فى معاقلة الحصينة . واذ رأى الاعداء قد تفرقوا البعض لاحضار العلف والباقون يلهون ويسكرون انتهز الفرصة وأرسل جنوده الخفيفة بهاجمون البربر ويقاثلون كل من يلتقونه ليمنعوهم التجمع والاصطفاف للقتال . ولما بزغ النهار نزل الى السهل وصف مشاته للقتال كثيرة العدد ممثلة حماساً لا كما توهمها البربر قليلة العدد خائفة القوى .

خفض السلتيون بعد هذا الهجوم من كبريتهم وشعروا أن القوم لا يرهبونهم . بدأت القوات الخفيفة التى كانت تأخذهم دراكاً وتمنعهم الانتظام فى صفوف القتال فوقعت بهم الفشل وأكرهتهم على القتال فى غير نظام فكان كل منهم يقاتل فى المكان الذى دفعته اليه الصدفة . وأخيراً تقدم كالمى بجيشه قتيال البربر على الرومانيين بسيوفهم الطويلة وقتلهم هؤلاء برماحهم الطويلة معرضين لضرباتهم أجساماً يغشاها الحديد فكانت سيوف البربر وهى من الحديد غير المستقى رقيقة الحدين تتحطم وتتشق وقد انفرست فى دروعهم الرماح فكانت حملاً ثقيلاً عليهم . تركوا سلاحهم وهجموا يخطفون من الرومانيين رماحهم . واذ رأهم الرومانيون يتوهمون عزلاً عمدوا الى سيوفهم وذبحوا الصفوف الاولى منهم . وأسرع الباقيون الى الفرار مشتتين فى السهل لان كالمى كان سبقه فاحتل التلال والمرتفعات وقد علموا أن العدو قد استولى حتماً على معسكرهم . ويقال إن هذه المعركة وقعت السنة الثالثة عشر بعد استبلاهم على روما . تعلم الرومانيون فى هذه المعركة أن يواجهوا السلتيين فى غرم وثبات . لان فزعهم من أولئك البربر كان قد تمكن من نفوسهم الى درجة عزوا أكبر الفضل فى هزيمتهم الاولى الى الاوباء والأمراض التى فتكت بهم لا الى شجاعتهم هم . يشهد بفرط خوفهم القانون الذى قرروا باعفاء الكهنة من الخدمة الحربية الا فى محاربة السلتيين .

كانت هذه الموقعة آخر مواقع كامى لانه ما ظهر حتى استولى على قلبير  
بلا قتال ولكن المشاكل السياسية كانت تخبيء له صراعا عنيفا كثير  
الخطاير . اشتد ساعد الشعب بهذا النصر فأخ بالرخم من القانون للقائم ان  
ينتخب أحد القنصاين من الشعب . وكان الشيوخ يتقاوهونه بشدة .  
وحرروا على كامى الاستقالة من الديكتاتورية آملاين أن يساعدهم مقامهم في  
حماية امتيازات الاشراف . حدث يوما اذ كان كامى يقضى في الفوروم ان  
تقدم اليه جلاد موقد من قبل زعماء الشعب وأمره أن يتبعه موضعا عليه  
يده كأنه يقوده بالقوة . فحدث شغب بين الحاضرين لم يسبق له مثيل . دافع  
الذين حول كامى ذلك الرسول الى ما وراء المحكة ولكن الشعب كان  
يصيح أن ينزع الديكتاتور .

حار كامى في أمره اذ هذا الموقف وانكسره لم يشتغل بل سار و من معه من الشيوخ الى  
مجلس الشيوخ . وقبل ان يدخل حول وجهه الى الكايتول وتضرع للآلهة ان تجعل  
خاتمة هذا الشقاق المشؤم خيرا وانذر لوانتهى الخصام ان يقيم هيكل (لوفق)  
(كونلو كود) احدث تباين الآراء فى المجلس جدا عنيفا . ثم تقلبت روح  
الاعتدال فأجيب الشعب الى طلبه . وسمح له بانتخاب أحد القنصاين من الشعب .  
أعان الديكتاتور فى جلسة الشعب قرار المجلس . فكان بطبيعة الحال فرح الشعب  
عظيما جدا واتصالح مع الشيوخ وساروا بكامى الى منزله بين ائتلاف والتهميل  
والتصفيق . اجتمعوا فى اليوم التالى وقرروا اقامة هيكل للوفق فى مكان يطل على  
الفوروم ومحل الاقتراع وفاء بنذر كامى وتخليداً لذكرى الصلح . وان يقاسى يوما  
الى أيام الاعباء اللاتينية يحتمى بها مدة أربعة أيام . وان يذهب الجميع لفورهم  
يقدمون الضحايا للآلهة فى حفلة يحضرها جميع الرومانيين تتوج رؤسهم  
أكايل الزهر .

تولى كامى رئاسة حفلة انتخاب القنصاين فكان ماركوس امبليوس عن

الأشراف ونفسيوس سيكتيوس عن الشعب وهو أول قنصل اختير من العامة .  
 أصيبت روما في السنة التالية بوباء الطاعون فتضي على كثيرين من الشعب  
 أفنى جميع الحكام تقريباً . وقضى به كامي ولئن كان كبير السن وحياته ملأى  
 بما لم تنله حياة أى انسان غير ان الحزن لوفاته كان عاما عميقا لاتعدله وفاة جميع  
 من ذهبوا ضحية ذلك الوباء .

---

الموازنة بين تيميستوكل وبين كامي لا توجد

## بركليس

رأى قيصر جماعة من نسرة الاجانب في مدينة روما يحملون كلابا وقردة صغيرة يداعبونهم فسأل الأتلة نساء هؤلاء : عبارة ملكية تشف عن تفرع اولئك الذين يخصصون الحيوانات بملك العاطفة التي اودعتها الطبيعة قلوبنا وجعلتها خصيصة للناس اذا كانت نفسنا تواقه بطبيعتها للمعرفة افلا يكون من الصواب ان نلوم اولئك الذين يسيئون الى هذه الحالة النفسية بتحويلها الى مالا يليق بعنايتنا واهتمامنا متعامين عن الجميل منا والنافع حقاً ؟ ان الحراس تتأثر بملامسة الاشياء الخارجية وعليه يكون من الضروري ان يقف امامها متأثرة بما يحسها نافعاً كان أو غير نافع .

اما الفطنة فمن السهل اذا اردنا استخدامها ان نوجهها الى ما يرضينا من الاغراض او نحولها عنه . فالواجب المتعين علينا هو ان نقتفى اثر الاحسن والافضل ولا يكتفى ان نتأمل الغرض بل يجب ان نكون له مادة النظر انما هي مزيج من اللطافة والجاذبية : فلنتخير لعقولنا مناظر بهجة تقودها الى الحسن الخالص بها . كالأعمال الفاضلة التي تثير فيها القدرة الصالحة وتحملنا على الاقتداء بها على ان اعجابنا بالشيء لا يحملنا دائماً على الاتيان بمثله فقد نعجب بالعمل ونحتقر العامل تسرنا الى و أحوال الذكية ورؤيا الأبرجوان ولكننا نضع صناعاتهما في مهنة العمال . وهذا ما قصه اليه من عبارته التالية التي لا تخلو من معنى . اثنى امامه على أسمانياس بان يحذق اللعب على المزمار . فقال « حسن الا انه رجل لا يصلح لشيء والا لما كان زماراً حاذقاً . » وحدث ان اسكندر وقع على العود لغات شجية توقيع خبير فنان فقال له فيليب . « الاتجمل من ان تحسن التوقيع هذا الاحسان . »



الحقيقة انه كفى ان يشرف الملك المغنيين بالاصغاء اليهم اذا لم سمعت له شواغله وكفاء تذكريم الالهة الشعر ان يشهد تحاملها .

كل عمل صناعي يدلنا ان كل من يشتغل بعمل غير نافع لايعنى بالجمال الحقيقي . فها من شاب طيب المنبت يحس مجرد رميته جوييز رينز او جومون ارغوس بالرغبة في ان يكون فيدياي او بوليكايت ، او ان يكون انا كريون او فيلامون او ارخيولك اذا طالع قصدهم بشبهة والتدليس من الختم ان يحملنا الاعجاب بعمل لوقته ودقته على احترام منشئيه . فلا يفيد الناظر الى بدائع الاعمال شيئا اذا لم تحدث فيه الرغبة في النسيج على منوالها . اما الفضيلة فاثرها فينا مباشر وهو على العكس من ذلك . فعجب بالمثل الاعلى ونحسن الرغبة في الاقتداء باصحابها . ونحب من الثروة امتلاكها والتمتع بها ونحب من الفضيلة الجرى على سنن الفضيلة ذاتها لذلك نؤثر ان نعال حسنات الثروة من الغير ونحب ان نأخذ الغير عنا حسنات الفضائل . ان الجمال يجتذبنا اليه بقوة تحدث فينا همة ناهضة ليست غريزة التقليد بل هي الفطنة يجتذبها ما تحدثه فينا مشاهدة الجمال من اثر يدفعها الى العمل . هذا مادعاني الى الاستمرار في كتاب سيد العظماء واضع هذا المؤلف العاشر الذي يضم حياة بركليس وما كسيموس الذي حارب هينبال : رجالان فضائلهما واحدة واخلاقهما واحدة كلاهما عادل وكلاهما صور احتمال صنوف التعب وزمالاته . وكلاهما ادى لوطنه اجل الخدم . ابحق لنا التقريب بينهما على هذا النحو ؟ هذا ما يتضح من سرد سيرة كل منهما .

بركليس من قبيلة الكمنتيد من قرية شولارج وهو من جهرق والده ووالدته سليل أسرة عظيمة عريقة . تزوج أكراتيب الذي قهر قواد ملك الفرس في ميكاد ، من اجارست سليلة كلينتين الذي طرد اليزيستراتين وقضى على الاستبداد وسن الشرايع واعاد الى اثينا الوئام والطمانينة بما ادخله الى الحكومة من الاصلاحات الحكيمة . حلمت اجارست ان ولدت اسداً وبعدها

بإيام وضعت بريكليس . جاء المولود متناسق الاعضاء غير ان رأسه كانت من الضخامة بحيث لا تناسب مع تكوينه . لذلك تعمد المشايخ عند إقامة التمثيل له ان يبتعوا على رأسه الخوذة . خشية ابراز ذلك العيب . ولكن الشعراء كانوا يدعونه علانية ( شينوسيفال ) يريدون الفصيلة البحرية . وقد عني كراتينوس (١) في إحدى روايته بقوله . اولد ساتورن القديم اله « الغواية » مستبدا كبيرا دعتة الآلهة « سيفاله جيراتاس » ( صاحب الرأس الضخم ) وقوله في رواية ديناريس « تعال باجوبتير المضيف باصحب الرأس السعيدة أو الضخمة » (٢) . وقال ( تالا كليد ) (٣) « ان بريكليس كان حائرا في امر نفسه لا يدري مصيره تارة يجلس في المدينة مستندا رأسه الثقيلة بين يديه . وتارة تنفجر من رأسه خجعة تشبه ضجيج الرعد . » وكان ابوليس (٤) يزعم ان زعماء الشعب يعدون الى العالم . واذ كان يستعرضهم الواحدة بعد الآخر ويسأل قائده عن اسم كل . وكان بريكليس آخرهم .

« قال أخيرا خرجت الرأس من الجحيم »

✓ أجمع أكثر المؤرخين ان ديمون أستاذ بريكليس في الموسيقى ولكن أرسطو يقول انه تعلم الموسيقى في مدرسة بيتوكليد . والظاهر ان ديمون كان سوفسطائيا ماهرا ( أستاذا بارعا في فنون الكلام . يخفى تحت ستار لقب الموسيقى عن العامة نزاعه الحقيقية . لزم بريكليس كما يلزم معلمو السلاح ومولكو الزيت ، المصارعة . ولكنه كان يعلم الصراع السياسي . وأخيرا على ان « مزهرود » لم يكن سوى ستار خداع يخفى دونه مؤامراته المريبة وميله للاستبداد . نفى بالاقتراع السري وصار

(١) شاعر روائي قديم .

(٢) تحمل الكلمة اليونانية المدين .

(٣) شاعر روائي آخر اقل شهرة من كراتينوس

(٤) هو واريسيوفان وكراتينوس أشهر الشعراء الروائيين القدماء

اسم مضغة في أفواه الهازلين من الشعراء . ووجهه اليه أفلاطون (١) في إحدى رواياته على لسان إحدى مخاطبيه العبارة التالية :

أرجو اليك ان تقول لى قبل كل شيء ؛ الست انت يا شيرون ، الذى يقال عنك انك مهذب بركليس . ؟

كان بركليس يحضر دروس زينون ( الايلي ) مدرس الطبيعة فى مدرسة بارميتيد . وكان زينون هذا يحذق صناعة الجدل اذا جادل أخصم خصمه قل عنه تيمون الفيلىمازى ما يأتى : صاحب اللسانين ، قدرة لا تغلب ؛ زينون . القاهر فى كل خصام .

ولكن الذى كان بركليس يكثر من مباشراته ، ذلك الذى تصفه رقيق الالهجة وسمو العاطفة ونفخ فى نفسه روح تلك الكبرياء التى لا تليق بحكومة ديموقراطية . وغرس فى أخلاقه وأسايبه تلك النبالة . والآباء . هو اناجازكور الكايزوميقي . الذى كان يدعو معاصروه العقل لا عجايبهم بنفوذ بصره الى ما يفوق الحدود البشرية ودقة معرفته بالطبيعة ولأنه أول من عزا تكوين العالم ونظامه لا الى الصدفة ولا الى الضرورة بل لقدرة روحية ظاهرة لا يمازجها شيء . وهى التى أخرجت من الخلاء . ( الكاوس ) جميع العناصر المتشابهة وجمعت بينها . (٢)

كان بركليس كثير الاحترام لاناجزا كور الذى أخذ عنه علم الاحواء والطبيعة . وعليه تأدب فكان له ذلك السمو والرزانة العقلية ونبالة العبارة وخلوها من تكلف خطباء المنابر وخسة التراكيب المبتذلة . تنطق بلامح وجهه بالجد وتبعث الهيبة لا تمر بها ابتسامة . متأد فى سيره وانطلاق صوته دائماً فى اتساق وانتظام معتدل فى موقفه وحركاته لا يغير من ثيابه اذا تكلم لا يتأثر لشيء مهما تنازعت الالهواء . وأخيراً كل ما جعل من بركليس موضع اعجاب عام . حدث

(١) شاعر هزلى معاصر له

(٢) الجزء الاول من كتاب ماوراء الطبيعة لارسطو .

يوماً ان شاب فاسد الخلق خسيس التربية اهانه وأكثر من سبابه في المنتدى العمومي . فلم يعمل بركليس سوى انه استمر في عمله ينظر ما بين يديه ويصرف شؤنه المستعجلة ولم يجب بكامة على تلك المسالب ومتى غربت الشمس عاد الى منزله هادىء البال وذلك الشاب يتبعه بصيحاته وسبابه ، ولما بلغ باب منزله امر احد اتباعه ان يحمل مشعلا وينير سبيل الفتى حتى بيته .

قان الشاعر يون ( ١ ) انه كان كثير الكبرياء والاباء كثير الدعوى يزدرى الناس . ، أما سيمون فكان رجلاً وديعاً لطيفاً يلين لكل شىء ويرضى جميع الناس . لندع الشاعر يون الذى يحسب أن الفضيلة تمثيلاً روائياً لا بد أن يكون للهزل فيه نصيباً . ( ٢ ) على أن زيتون كان على العكس من ذلك اذا سمع أحداً يقول ان الجلال الذى يصطنعه بركليس ليس سوى قحة وفخفة دعا القائل ان يصطنع مثلها لان التكلف يصير بنا على الى كلف بالعظمة الحقيقية فنعتادها على غير علم منا .

ليس هذا وحده بركليس من معاشره اناجز اكور فقد تعلم منه الزرابة بتلك الخوف الوهمى الذى تحدثه التقلبات الجوية فى نفوس الجهال الذين لا يعرفون اسبابها فتغشاهم جهلهم الفلق والاضطراب واهمين أنها من علاقات غضب الآلهة . أما المستنير الذى يعلم قوانين الطبيعة فانه يحترم الآلهة بين الطائفة والامل بدلا من العبادة الخرافية الواجدة .

حدث يوماً ان احضر الى بركليس من الحقل رأس كبش ليس بها سوى قرن واحد . لاحظ العراف لاميون أن القرن نابت في وسط الجبين . وانه قوى ومتين . وقائل في تأويل هذا الحادث « ان تومسيد ( ٣ ) و بركليس يدير

( ١ ) شاعر تراجيدى ( مأساة ) معاصر لبركليس

( ٢ ) كانت العادة فى ذلك العصر أن يقدم الشعراء اربع روايات يكون احداها مزينة هجائية ، تقوم بتمثيلها فرقة من المهرجين الهجائيين .

( ٣ ) قائد اتينى . غير المؤرخ المعروف بهذا الاسم .

ان اليوم شؤون الحكومة . ولكن الساطة كلها ستجتمع بين يدي من وجدت في حفلة هذه المعجزة . « ولكن انا جزا كور شق هذه الرأس واضهر أن المنح لا يملأ الفراغ المعدلة . وانه غير متصل بجوافي الجوفة فانكس واستطال في شكل بيضة في النقطة التي تنبت فيها أصول القرن . اعجب الناس أولا بما شرحه انا جزا كور ثم عادوا فاعجبوا بتأويل لاميون لان حزب توسيديد تلاشى واصبحت الحكومة كلها في قبضة بركليس . ومن الغرائب النادرة ان يتفق العراف والعالم الطبيعي في بيان صادق . شرح احدهما سبب هذه المظاهرة والاخر ما انطوت عليه من نبوءة . بحث الاول عن العلة والكيفية التي احدثت هذه المظاهرة . وبحث الاخر عن الغرض وما ينبيء به . فالذين يدعون أن اكتشاف سبب المعجزة يبطل المعجزة . ومعناها ، لا يدركون اهم بقولهم هذا يبطلون العلامات التي ترسلها اليينا السماء . والعلامات العرفية التي خلقتها يد الانسان كصوت الدف وضوء الفوانيس : كل شيء لغرض اعداله .

على أن هذه اراء ليس هنا محل بحثها .

كان بركليس في أول شبابه شديد النفور من الشعب . وكانوا يرون في وجهه ملامح الطاغية بيسيسترات ولاحظ شيوخ المدينة أنه يشبهه في رقة صوته وسهولة كلامه وبلاغة عباراته وكانوا يخشونه ويخافونه . غنى ، سليل بيت عظيم وثيق اصلته بعظماء الدولة . داخل بركليس الخوف من أن ينفي بالاقتراع السرى . فلم يتدخل في السياسة ولكنه في الحروب لا يدخر وسعا يخوض مخاطرها غير مبق على نفسه . مات اريستيد ونفى تيميستوكل وسيمون في شغل شاغل بمحملاته البعيدة عند ما ابتداء بركليس الاشتغال بالاعمال العمومية . انضم الى حزب الشعب ومفضلا الكثرة الفقيرة لوفرتها على الارستقراطية ( حزب النبلاء ) لقلة عدد أفرادها . وليس معنى هذا أنه شعبي بطبيعته الا أنه خشي الاتهام بالرغبة في السيادة المطلقة ، وقد رأى سيمون

مخلصاً للارسيّة وقواطية ومعبود الطبقات العليا والاشراف فارتمى في حضن الشعب ليطمئن على سلامته . ويتخذ منه عضداً واداة ضد سيمون

ومن هذا العهد أخذ نفسه بعادات جديدة . لم يره أحد في شوارع المدينة الا ذاهباً الى مجتمعات الشعب أو مجلس الشيوخ وقد عدل عن الولائم والحفلات والمسامرات ولم يتناول العشاء وهو على رأس الحكومة على طول مدتها عند أحد من أصدقائه الا أنه حضر مرة وليلة عرس ايريتوليم بن عمه على أنه بارح المكان بعد غسل الأيدي مباشرة . والحقيقة أن ليس اضر بالعظمة من الاختلاط يجب على من يطلب احترام الناس الا يبذل نفسه وهذا اجلوا كرم ما في الفضيلة الحقة . لأن اعجب جمهور الناس بحياة العظماء الخاصة فما اعجاب اصدقائهم بحياتهم الباطنية باقل من ذلك . كان بريكليس يخشى ان يجه الناس اذا رأوه على الدوام فكان يباعد بين مواضع الظهور . لا يتكلم في كل شأن ولا يتقدم دائماً يبقى على نفسه للمواقف الحرجة كأنه كما قال كريتولاوس سفينة سلام . وفي غير ذلك ينسب عنه اصدقاءه والمخلصين له من الخطباء مثله في ذلك مثل « افيلات » الذي اضعف نفوذ الاريبوباج ( المجلس الاعلى لحكومة الشعب ) الذي قال عنه افلاطون (١) انه ملأ الكأس دهاقا من الحرية الخالصة وقدمها للشعب ، ويقول المهرجون من الشعراء ان الشعب قد ثمل وصار جوادا لاحتك له لا يعرف الطاعة . فعرض على أويه . ورثب على الجزائر .

عمد بريكليس لتقويم بيانه وجعله اداة صالحة لافكاره ، ان يستقى من معين اناجزا كور فاكسبت العلوم الطبيعة بيانه متانة وقوة واذا كانت الطبيعة قد حبت عواطف سامية وارادة صابرة نافذة كما كان يقول افلاطون الالهي (٢)

(١) في الكتاب الثامن من الجمهورية .

(٢) في اخر فيدر .

التي استمدتها من الفلسفة الطبيعية يضيف اليها مهلته في استخدام كل شيء عند ما يريد التدليل على امر يقصد اليه . وبهذا يز جميع خطباء عصره . ولعل هذا سبب تلقيبه بالأولمبي يظن البعض ان السبب في ذلك هو كثرة مازائدية المدينة من التماثيل . ويظن البعض ان ذلك يرجع الى مهارة في ادارة احكومة والحروب ولا مانع ان يكون سبب هذا للشعب راجع الى جميع هذه الخلال الكريمة النادرة على ان هذا لم يخله من عنيت الهجائن فما كثر ما قالوا فيه جدا وهزلا . وكاهنهم مجمعون على ان فصاحتها هي التي اكتسبت هذا اللقب ، فمن اقوالهم انه اذا اعتلى المنبر ارعد وابرق وأن صوته كالصاعقة . ومما يؤثر حكمة توسيديد من ميلازيوس عن قدرة بركليس في الخطابة كان توسيديد من اشهر اعيان اثينا وكان دأبه معارضة بركليس . سأله ارخيداموس ملك سبارطه . ( لاسيدومتيا ) يوما أيهما يشد بطشا في المصارعة هو أو بركليس . فقال . « اذا صرعته صاح لم اسقط ، ارى الجميع الواقع ولكنهم يفتنوا الى تصديقه واعتباره غالبا . »

على انه لم يتكلم الا حذرا جدا وكل مرة علا المنبر توسل قبلها الالهة الاتراف منه كلمة ضد ما يقصد اليه . لم يخلف شيئا مكتوبا سوى مراسيم . ولا يروى عند سوى القليل من الكلمات النابغة مثال ذلك قوله عن جزيرة اجين « يجب ازالة هذه النقطة عن عين بيره » وقال في مقام اخر . « ارى الحرب تركض من البيلوبونيز » اطرى سوفوكل زميله في قيادة البحرية . امامه محاسن فتى فقال . « ان القائد ياسوفوكل يجب ان يكون طاهر اليدين والعينين ايضا » وقال ستازمبروت ان بركليس في الخطة التي القاها تأيينا لقتلى حرب ساموس قال : « لقد صاروا خالدين كالالهة ، انا لانرى الالهة . ولكن القربان الذي تقدم اليهم والحسنات التي نناها منهم تشعرنا انهم خالدون . هذه حال الوطنيين الذين يموتون فداء وطنهم . »

فمثل لنا توسيديد (١) حكومة بركليس كأنها شكل من اشكال الارستوقراطية

(١) المؤرخ في الكتاب الثاني من تاريخ حرب نيلوبونيز .

أطلقت عليه تبة ديموقراطية وماهى إلا إمارة يديرها رئيس الحكومة . ويقول البعض ان بركليس هو اول من ادخل الشعب في توزيع الاراضى المنتجة واعطاء المال لحضور الحفلات والقيام بواجباته المدنية (١) ففسده وعلمه الانسراف والخروج عن الطاعة وافقده الميل الى الحكمة والعمل : وسبب هذا التغير ناجم عن الحوادث ذاتها . رأينا ان بركليس حرصا على سمعته ازاء سيمون تقرب الى الشعب ولكن سيمون كان على ثروة عظيمة كثيرة الموارد يستخدمها في اعانة الفقراء ، يقيم الموائد لكل زائر يكـ والشيوخ ، حتى انه رفع الخواجر عن املاكه ليستطيع كل انسان الدخول اليها بجنى ماشاء من ثمارها . ولكن بركليس كان أقل منه مالا ولذلك أقل شهرة عـد الى الماء يبنذه من الاموال العمومية . عمـلا بنصيحة ديمونيد الايوى على رواية ارسطو . وزع النقود على الجمهور ليتمكنه من حضور الحفلات والمحاكم وغيرها ، تولى مهمة المتعهد (٢) وبذلك أغرى الشعب . وصار الشعب فى يده أداة يستخدمها ضد مجلس الحكم الاعلى . الذى لم يعده الحظ قط أن يكون أحد أعضائه . ولا حكام ولا رئيسا للضحايا ولا Polémargín . وهذه مناصب لا تنال إلا بالاقتراع تسمح لمن نالها وقيم بشؤونها خير قيام ان يكون فى عداد أعضاء المجلس الاعلى . اغتزم بركليس ذلك المقام السامى الذى رفعه اليه الشعب وأوقع الاضطراب فى المجلس وحرمه بواسطة افيات معرقة الكثير من الاعمال . ونفى سيمون بالاقتراع السرى بحجة أنه من أنصار اللاسيديين ( السبارطيين ) وانه شديد المقاومة لمصالح الشعب . نفى الشعب سيمون وهو من أكبر الاسر الشريفة وأغناها فى أثينا وهو القائد الذى قهر الاعداء وانتصر عليهم انتصارات باهرة . وملا المدينة من الغنائم والاسلاب كما روينا فى تاريخ حياته . الى هذا الحد بلغ نفوذ بركليس على الشعب ! .

(١) انظر ارسطو . السياسة من ١ - ١٩

(٢) المتعهدون هم الذين ينفقون على الولائم والحفلات التى يتعهدونها .



حدد القانون مدة النفي (بالاقتراع السرى) عشر سنوات ولكنه حدث بعد خمس سنوات من نفي سيمون أن جيشاً عظيماً من السبارطيين اعتدى على أرض تانجر فهب الاثينيون لملاقاته . رأى سيمون ليغسل عن نفسه تهمة الميل الى السبارطيين أن يخرق حكم النفي فقدم الى مقاتلة السبارطيين مع رجال قبيلته يشارك قومه فيما يعرضون له من المخاطر . ولكن أصدقاء بركليس أوقفوه وأكروهه على الانسحاب بحجة أنه منفى . فاضطر بركليس أن يبذل أقصى جهده وأن يستبسل فى القتال الى ما فوق طاقته حتى لا يفوقه أحد . أما أصدقاء سيمون الذين آثمهم بركليس أيضاً بالميل الى السبارطيين فقد استهدفوا لهوت حتى ماتوا جميعاً فى ذلك اليوم .

دارت الدائرة على الاثينيين عند حدود اتيكا وتوقعوا حرباً مهلكة فى الربيع القادم فقدموا على ما قرروه بشأن سيمون واسفوا لغيابه . أدرك بركليس عليهم ذلك فلم يتشدد فى مقاومتهم وأسرع فكتب بنفسه مرسوماً باستدعائه وحمل المجلس على قبوله . ما عاد سيمون حتى انتهز فرصة عطف السبارطيين عليه وكانوا يحبونه بقدر بغضهم لبركليس وغيره من ملقنى الشعب وزعمائة فعقد معاهدة صلح بين الجمهوريتين ويقول الكثيرون من الكتاب أن بركليس لم يكتب طلب اعادة سيمون الا بعد أن عقد معه بواسطة البينيس أخت سيمون اتفاقاً سرياً . تعهد فيه سيمون بقيادة مائتى سفينة حربية والسير بها لمحاربة ملك الفرس . وأن يبقى بركليس فى اثينا يتولى السلطة كلها . والظاهر أن سيمون وقع يوماً تحت تهمة الخطرة فنهض البينيس الى استماله بركليس أحد من أنابهم الشعب فى اتهام أخيها . قابله وتوسلت اليه مستعطفة فقال لها « يا البينيس انك أكبر سناً من ان تظفرى بقضية هامة كهذه . » ومع كل لم يتكلم سوى مرة واحدة وكان كلامه فى موضوع التهمة كمضطر الى أداء واجب ثم انسحب وكان أقل المدعين

على سيمون شدة . فكيف نصدق بعد هذا دعوى إدومينه ( ١ ) ضد بركليس  
يتهمه بقتل أفيالت غيرة . وهو صديقه وشريكه في مشروعاته السياسية ! لا ندري  
من أين أتى إدومينه بهذه الفرية ضد رجل لا يقول ، بلا عيب في  
جميع أعماله بل ضد رجل عرف بعواطفه الشريفة وشدة حبه للمجد مما لا يتفق  
مع وحشية كهذه

أوقع أفيالت الرعب في نفوس أنصار الأوليغارشييه ( حكم طائفة من الرجال )  
فكان يضطهد ويتعقب كل من شكك الشعب منه ، سقط في كمين فطعنه  
سفاح مستأجر . يدعى أريستوديكوس من تانجر ، بخنجر . هذرواية أرسطو . أما  
سيمون فقد لقي حتفه في جزيرة قبرص أثناء قيادته

لما رأى الاشراف أن بركليس أصبح أول وأعظم رجل في الدولة  
يحثوا عن رجل يقف له يضعف من سلطانهم ويمنعه التحول الى ملكية مطلقة أقاموا له توسيديد  
من الويس وهو رجل قوى العارضة وصهر سيمون كان أقل من قريبه ككتابة في فنون الحرب  
ولكنه أقدر منه في فنون الخطابة وإدارة الأعمال العمومية . وأذ كان يسكن  
المدينة فلم يحتاج لاكثر من مساجلة بريكليس على منبر الخطابة مرات حتى  
استقر التوازن بين طبقتي الدولة . لم يكن لمن ندعوهم رجال الخبر والنبل اى  
الاشراف هبة نظامية . بل كانوا مشتتين في كل ناحية متمزجين بالشعب تتلاشي  
قدرتهم وجدارتهم بين الجماهير . منع هذا المزج وفزز الاشراف وجمعهم في هيئة  
منظمة . وكل من نفوذهم قوة تعادل نفوذ بريكليس . كان التمييز بين الاسر قديما  
ولكنه كان ضائعا كقشة في كتلة من حديد . لا تدل على اختلاف الاجناس الا  
دلالة خفية ، الشعب والاشراف . ولكن المنافسة والطمع اللذين فشيا بين هؤلاء  
الاشخاص فشطرت الشعب الى شطرين بارزا بين الشعب . والنبل .

(١) من لامبساك كتب تاريخ تلاميذ سقراط وتاريخ ساموطراس وعاش في القرن  
الرابع قبل الميلاد .

ولهذا السبب اطلق بريكليس للشعب العنان لايهمه سوى رضاه بملأ  
المدينة اعيادا وحفلات ولا ثم يعود عادات لا تخلو من اناقته . يرسل كل سنتين  
مركبا عليها عدد عظيم من الاثنيين و يقدرون على الاعمال البحرية مدة ثمانية  
شهور تدفع لهم اجور ثم ارسل الفا الى شرسونيز وخمسمائة الى تاكسوس ومائتين  
وخمسين الى اندروس والى آخر الى تراس في بلاد اليزالتين ثم عمر سيدباريس من  
ايطاليا التي اعيد بناءها باسم تور يوم وبذلك اخلى المدينة من العاطلين الذين تثيرهم  
اهواء خبيثة وسد حاجة الفقراء واقام بين الخلفاء ما يشبه الحاميات تلزم الرعاية  
وتمنعهم الاقدام على حدث جديد .

ولسكن ابرج من سر قلب اثينا وحلاها باجل ما زدان به . وكان موضع  
اعجاب العالم ، ذلك الشيء الوحيد الذي يشهد اليوم بتحقيقه ما يقال عن عظمة  
اليونان ومجدها السابق هو تلك المباني الفخمة التي شادها بريكليس . وهذه الآثار  
كانت موضع شكاة وتذمر خصومها كثيرا شنعوا به على ادارته . يجهرن بذلك  
في المجتمعات ويرفعون اصواتهم بالاحتجاجات . ومن اقوالهم . « لقد اتمن الشعب  
وارتدى العار بسحبه من دالوس اموال اليونان العامة . يستخدمها لمصلحته الخاصة  
لقد حرمننا بريكليس من أقوى حجة كنا نقف بها في وجه من يتهمنا وهي انا كنا  
نخفي اموالنا في دالوس خشية ان يستولى عليها البربر . ألا يكون لليونان الحق  
ان تعد من الاهانة والظلم ان تأخذ الاموال التي اخترتها للانفاق على الحروب  
الوطنية ، فنصرفها في تجميل وزين مدينتنا نحن حتى نجعلها كغانية مثقلة بالجواهر  
والعقود الثمينة . لاقامة تماثيل وبناء هياكل بلغت نفقات احدها الف تالان . ؟  
اما بريكليس فله في ذلك رأى آخر . ومن اقواله للشعب . « لست مدينا  
لاحد من الخلفاء بحساب عن امواله . بما انكم انتم وحدكم تحاربون عنهم .  
وتبعدون البربر عن يونان . لا يقدمون اليكم جوادا ولا سفينة ولا  
رجلا سوى اموالهم . ومتى اعطى المبال اصبح ملك الذي تسلمه

لألذي إعطاه على شريط ان يقوم المستلم من تعهد به عند استلامه . ولقد  
وفيتهم عهودكم في الحروب وتوفر لكم كل ما يلزمكم لها . فاذا امتلأت  
الخزائن الا يكون العدل ان تنفقوا المذخر في تشييد الجرد الخالد لمدينتكم  
تنعم بعد ائتنا بعد انجاز ه برخاء يسمح لها بترقية صناعاتها في كل فن . لقد  
نشأت حاجات جديدة اشغلت جميع القرائح والايدي وجعلت الوطنيين جميعاً  
اجراء الدولة . وعليه تكون المدينة قد استمدت . من نفسها جواهرها ومادة حياتها .  
يتناول كل من تسمح له سنه وقوته بالخدمة العسكرية اجره من الخزائن العامة اما  
الصناع الذين تعفيهم صناعاتهم من الخدمة العسكرية فقد لا يحرموا من الفائدة  
بلا كسل ولا خمول . لهذه الاسباب واصحة الشعب شرعت هذه المباني التي  
تتطلب جملة الفنون والصنائع وستطلبه زمناً طويلاً . وهكذا ينال المقيمون من  
الاهالي حقوقهم من الايرادات العامة كالذين يجوسون البحار بعمارتنا والذين  
يجرسون قلاعنا والذين يحاربوننا . لدينا الحجارة ، والنحاس والعاج والذهب  
والابنوس . وقد عملت في هذه المعادن جميع ايدي الصناع . من  
نجارين وبنائين وحدادين وحجارين وصباغين وصياغ ونقاشين وبرادين وخراطين .  
وتستعمل في البحر لنقل هذه المواد السفن التجارية . وبحارة ونوتية الدولة .  
وتستعمل في السهر الجمالين وسوقه العربات ومن ثم جميع ارباب الصناعات والمهن .  
ولكل صناعة جيش من العمال لا يملك سوى ذراعه فهو اداة وقوة يستخدمها  
رؤساء العامل . هكذا يوزع العمل الى هنا يوفر أسباب السعادة في كل مكان  
بين جميع الطبقات من كل سن وفي كل ظرف .

برزت هذه المباني في عظمة حقيقة بالاعجاب بين الجمال والدقة اللتين  
لامثيل لهما . لان الصناع كانوا يتنافسون في اتقان دقة الفن جمال البناء في  
جماله . وكان أعجب ما يعجب له سرعة الانجاز والحقيقة أن جميع هذه الاعمال  
التي يحتاج كل منها إلى جملة سلاسل متعاقبة لاتمامها وانجزت وتمت في حكومة

رجل واحد . وحينئذ فآخر المصور اجاز ترك بالسرعة والسهولة التي مثل بها الحيوانات فاجابه زوكسيس قائلا « وانا افتخر ببطئي . » والحقيقة ان السرعة والسهولة لا تجعلان العمل متيناً ثابتاً ولا تكسبانه جمالا محكما : فالوقت والمواظبة على العمل يكفلان بقاءه قروناً لذلك يشعر من يشهد اثار بركليس باعجاب عميق بعد مامر بها من القرون مع أنها انجزت في ذلك الزمن القصير . ما انتهى احدها حتى يشعر مشاهدوها لدقة جمالها أنها من الآثار القديمة ويرى في طلاوتها متانتها فمن يراها اليوم يحسبها من صنع اليوم . لا يقاها كزهرة يانعة تملأ العين بهجة . لا تذبله يد الزمن . كأن روح الحياة لا تفارقها واودعتها نفسها لا يدركها الـ كبر . وكان في اثنينا حينذاك طائفة من مهرة المهندسين والصناع تولى فيديس ادارة ورقابة جميع الاعمال . وشاد كاليكرات وكراتينوس النبا المعروف باسم يارتينون هيكتاتيدون . اما هيكل اسوار الوزيس فقد شرعه كوروبوس واقام الطابق الاول من الاعمدة ورسم التصميم واذا توفي قبل تمامه ، تولى العمل فيه ماتاجينس من جزييت وحاطه بسور واقام الطابق الثاني من الاعمدة وانجز جيزتوكلس من شولارج قمة المقدس . اما السور العظيم الذي قال سقراط انه سمع بالشروع فيه فقد تولى بناءه . كاليكرات ولكنه تمهل طويلا في انجازه فعرض به كراتينوس في احدي روايته . قائلا : بجهد بركليس نفسه في الحث على العمل كلأما . اما عملا فلا شيء .

اما الاوديون وكان في داخله جملة صفوف من المقاعد والاعمدة فكان سقفه متمنيا على نفسه ليتسامى الى نقطة ويقال انه مبنى على مثال ضحية ملك الفرس . وان بركليس نفسه هو الذي وضع رسمه بيده . وقد أشار كراتينوس الى ذلك في رواية « التراسيات » بالعبارات الآتية :

هاك جوبتير شينوسيغال ( كبير الراس )

بركليس على رأسه أوديونه .

شاعرا بانفه لنجاته من الاقتراع السرى .

واذ ذاك أصدر بركليس رغبة في ازدياد الشهرة . مرسوما بامر الشعب ان توزع فى أعياد باننا تنبيذ جوائز عن الموسيقى . وكان هذا حادث جديد . عين حكماء فحدد كل نوع . المزمار والغناء والعود ( المزهر ) جرت المسابقة فى أوديون ولا تزال تجرى هناك المسابقات الموسيقية .

أنجز المهندس منفريكلس

فى خمس سنوات . وقد وقع فى خلالها حادث لا يدل على قبول الآلهة ورضاها فقط بل ويدل على رغبتها فى الاشتراك والعمل على انجازه . والحادث ان بينما كان أمهر العمال وأنشطها فى أعلى الستار ذلت قدمه وهوى الى الارض وبلغ من شدة الصدمة ان يتس الأطباء من شفاه . اغتم له بركليس غما شديداً ولكن الآلهة تراءت له فى حلم وعلمته دواء استخدمه له صاب وكان شفاه سريعا وبلا عناء . ذلك أمر بركليس ان يصب تمثال مينرفا « الشافية » برنزا واقامه فى الاكربول بالقرب من المنبح الذى يقال انه كان هناك .

اما الذى صنع التمثال الذهبى للآلهة فهو فيدياس وقد نقش اسمه على القاعدة . وهو كان كما قدمنا مستوليا ادارة جميع الاعمال ورقابة العمال . وهذا شرف يرجع الفضل فيه لما كان بينه وبين بركليس من الصداقة . وكان هذا سببا لتلك الاكاذيب والمفتربات والمخترقات التى تحدث بها خصومها لمصقونها بهذا وذاك . من ان فيدياس كان يستقبل النساء الطليقات اللواتى كانت تأتى بحجة مشاهدة الاشغال فيلقى بهن بين يدي بركليس واتخذ المهرجون من الشعراء هذه الارجاس عدا للتهكم والزراية ببركليس . ومن أقوالهم انه يعاشر امرأة ماينبوس صديقه ووكيله . وان بيريلامب صديق بركليس الحميم يربى العصفير والطاووس ليقدمها هدايا للنساء اللواتى ينعم بهن بركليس . ولا موضع للغرابة من اناس اصطنعوا الفرية يبخرون بها أمام بغض الشعب كما يبخرون لاله شرير افتراء على كل عظيم . كيف نعجب

لرجل مثل ستازميروت الناموسي يرمى بركليس باشنع التهمة مدعيا عليه انه يعاشر امرأة ابنه : فمن أصعب ما يعانى المؤرخ فى البحث عن الحقيقة . توكله فى الماضى رآها مختفية تحت حكم أهواء عصرها . ولو أرادها فى الحاضر رأى أهواء البغض والحسد من ناحية وأهواء التماق والتقرب من ناحية أخرى تقضى على معاملها

اشتد خطباء حزب توسيديد فى تقرير بركليس يتهمونه بالتبذير والتبديد فى الاموال العمومية وتقدم بركليس الى الشعب يسأله ، هل يظنه أسرف فى الانفاق . فاجابه الشعب ، بقوله « اسراف فوق الحد » فقال بركليس حسن أتحمل أنا وحدى النفقات على شريط ان ينقش على كل من هذه الآثار اسمى أنا وحدى » فما دعى الشعب هذا الكلام حتى صاح مدفوعا بعامل التأثير من عظمة نفسه أو رغبته فى ان لا يترك للأجيال القادمة هذا الجدل له وحده ، قذلا خذ من الخزينة ما شئت وانفقه كما تريد بلا حساب . اشتدت الخصومة بين بركليس وتوسيديد حتى رأى ذلك ان يعرض نفسه لخطر الاقتراع السرى ؛ هزم توسيديد وبدد بركليس شمل أنصار خصمه أحجى العداة السياسى ولم يبق فى أثينا سوى عاطفة واحدة ونفس واحدة حتى صح القول ان أثينا هى بركليس . الحكومة والمالية والجيش والسفن والسيادة على الجزر والبحار والسلطة المطلقة على اليونانيين ، والسلطة المطلقة على الأمم المتوحشة والشعوب الخاضعة الصامتة تعين عليها صداقة ومعاودة الملوك القوية . اجتذب اليه كل شىء وقبض على كل شىء . ولأنه لم يبق على ما كان عليه لم يبق هو ذلك الديما جوجى « المعلق الشعبى الحائر بين الأهواء الشعبية . الخالص السهل الذى يسلم بكل ما يشتهي الشعب . فبعد ان كانت حكومة محمولة العرى متراخية كأنها مزهر لا تحدث أوتاره سوى اصوات ناشرة مهمة قبض على اعنتها بقوة جديدة وشدها بيد تكاد تكون ملاكية . لا يستعمل للوصول الى العرض الا نمنى سوى وسائل مستقيمة لا مأخذ عليها . يجتذب الشعب الى وجهة بطرة بقوة التعقل والاقناع واذا تعنت الشعب استعمل الشدة

والا كراه ليعود به الى الصواب كأنه طبيب يعالج مريضاً ازم من دواؤه وانتابته عوارض مختلفة . فتارة يسمح للمريض بتناول ما يرضيه ولا يضره . وتارة يسقيه دواء مرأً يعيد اليه الصحة وما أكثر اسباب الثورات في ممالك ترامية الاطراف وكان وحده التقدير على طب هذه الادواء السياسية يحرك العقول بين الامل والخوف يدير هذه الدفة المزدوجة بمهارة فيرجع الشعب عن ثورته اذا احتاجه الغضب وينهض عزيمته اذا خارت قواه . اثبت بريكليس ان الخطابة كقال افلاطون (١) . اصناعة امتلاك العقول وانها قائمة قبل كل شيء على معرفة الميول والاهواء وهي اصوات ورنات النفس يخرجها لمس يد الصانع .

لم ينل بريكليس هذه السلطة العظمى بفضل بلاغته فقط بل يرجع الفضل فيها كما قال توسيد . (٢) لشهرته والثقة التي كسبها . لم يكن للمال اثر في نفسه ولا للافساد سبيل اليها ذلك الرجل الذي وجد وطنه عظيماً ناعماً فرفعه الى قمة العظمة والسعارة . وكان اقدر من الملوك والطفاة والذين أورثوا ابناءهم الممالك فلم يرد درهما واحداً على ثروة البلاد التي ورثوا ملكها عن آباءهم . ابان لنا توسيديد في وضوح وجللاء سيادة بريكليس ولكن الهازلين من الشعراء صبوا عليه عباراتهم المتأمة قائلين ان حان الوقت ان نأخذ عليه عهداً ألا ينادى بنفسه ملكاً مطلقاً لان سلطته نقلت على ديموقراطية لا يحتملها . وقال تاليكلايد ان الاثنيين سلموا اليه ايرادات مدنيهم ومدنيهم ذاتها يقيد بعضها ويحل رباط البعض ؛ واسوار من الحجر بينيها ثم يهدمها .

واطلقوا يده في عقد المعاهدات ، والجيش والسلطة والصلح ، والمالية وكل ما يتعلق بسلامتهم وسعادتهم .

لم تكن حكومة بريكليس فرصة عارضة أو قدرة عابرة لقد بقي اربعين سنة

(١) في فيدر

(٢) الكتاب الثاني من تاريخه



وهو في المقام الأول من وطنه وفيه كثير من امثال قيات ، وابوكرات وميرونيد ، وسيمون وتوليد ، وتوسيديد وبعد نفى توسيديد ونشئت حرب ، بقي بركليس خمسة عشرة سنة في منصب الرياسة بينما كان القواد الآخرون يبدلون كل سنة . وبقيت له القيادة العليا والحكم بلا انقطاع لم تخدعه فيها شهوة مالية وليس معنى هذا أن شيئاً من امواله الخاصة واملاكه الشرعية تأثر باهماله المالية او انه كان لا يعنى بدقتها الا أنها لم تكن لتشغله عن مهامه السياسية ، صان ريعه ببسط الطرق وهي الاقتصاد المنزلي يبيع حاصلاته كلها ثم يشتري ما يلزم على قدر ايراده وبذلك يحفظ التوازن بين الايرادات والمصروفات اليومية ولم يكن هذا ليرضي ابناءها الذين صاروا رجالا ولا نساءهم يرونه شحيحاً مقترراً يعيبون عليه هذه الدقة في المصروفات اليومية . وهذا الحساب الدقيق وعدم السعة التي تحق ابديت غنى وكان يتولى هذه الادارة وكياله ايفنجيلوس رجل حبيته الطبيعية الكفاية لمثل هذا العمل أو أن بركليس در به عليه .

ان هذا المسلك لا يتفق في شيء مع فلسفة اناجزا كور ، لقد امتد هوس العالم بهذا الفيلسوف يوما فنزل من بيته وترك حقله مرتعا لقطعان الغنم يرعون عشية مباحاً لمن يشاء . ولكن هذا ليس شأن فيلسوف دقيق الحساب مهمته السياسة العمومية . لا يعنى ذلك بغير الجمال الادبي لاتهمه الماديات ولا الوسائل الخارجية . اما الذي وقف همه على خدمة مصالح الناس المادية فلا يرى المال ضرورة لازمة فقط بل فضلة نافعة مرغوبة . فبركليس كان غنياً وكان عوناً لكثير من الفقراء ويحكى انه بينما كان بركليس غارقاً في مهام اعماله كان اناجزا كور قد بلغ سناً عالية ولزمته الفاقة والحاجة فستر رأسه بردائه واعتزم الموت جوعاً . علم بركليس بذلك فاسرع اليه ضارعا اليه ان لا يقضي على نفسه . « انى أبكي لا عليك بل على نفسى لاني بفقدك احرم خير مستشار لادارة اعمالى . » فرفع اناجزا كور الرداء عن نفسه وقال . « يا بركليس على الذين يحتاجون الى

سراج ان يصبوا فيه زيتاً . »

نظر السبارطيون الى نوعظمة اثينا بعين الحسد وكن بر كلينس قد أدخل الى نفوس مواطنيه الثقة بكفايتهم حتى أيقنوا أنهم معدون لسيادة أعظم . فاقترح واستصدر قراراً بان ترسل جميع المدن اليونانية كبيرها وصغيرها ، الاروبية والاسيوية معها يكن شأنه ، نوابا يحضرون جمعية عمومية تعقد في اثينا للبحث في إعادة بناء الهياكل التي احرقها البربر . والقرايين المندردة للآلهة لصيانة وسلام يونان اثناء الحرب ضد الفرس ، والطرق الواجبة لتقرير حرية كل انسان وتأمين الحرية البحرية . وتقدير السلام العام . وانتخب لهذه الرسالة عشرين ممن تجاوزوا سن الخمسين وجه منهم خمسة الى ايطاليا لدى اليونانيين والروسيين وسكان الجزر حتى ليسبوس ورودرس . وخمسة الى اقاليم هاسيونت وتراقيا حتى بيزانطة . وخمسة الى باوتيا وفوسيد وبيلوبتين يخترقونها الى لوكريد على القارة المجاورة يتعدونها الى اكارنانيا واميراسي ، والباقيون الى اوربا وشعوب اوتو وخليج مالياك وفوتنيودي واشاي وتساليا . ذهبوا داعين جميع الشعوب لحضور الجمعية العمومية للمداولة في السلام العام لجميع اليونان . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ولم ترسل المدن نوابا ويقال أن سبارطة منعتهم لان المشروع أحبط في البيلوبيونيز وقد أشرت الى هذا اظهاراً لعظمة فكر بر كلينس وسمو عقله .

كان بر كلينس بصفته قائداً موضع ثقة عامة . لانه لم يخاطر في شيء . ولم يقدم على حرب لا يرى النصر فيها محققاً أو يراه غالى الثمن لم يستشعر الغيرة من الضباط الذين أحرزوا انتصارات بمخاطراتهم ولم يفكر في الاقتداء بهم مهما يكن المجد الذي ينالونه لشدة بأسهم وعنادهم . ولانه كان يقول لمواطنيه لو اتبعتم شورتى لكنتم خالدين . انتفخ تولميد بن تولمايوس كبراً لما أحرز من نصر ونال من شهرة في مواقعه الحربية . أعد نفسه لمهاجمة بابوتيا بلا سبب واجتذب ألفاً من شباب اثينا المولعين بالمجد الى جيشه والاشتراك في الحملة

حاول بركليس منعهم والمعدل بهم عن عزمهم . ولهذه المناسبة قتل في الجمعية كلمته المشهورة .

« اذا كنتم لا تريدون الاصفاء الى بركليس فانكم لا تخسرون شيئا اذا انتظرتهم فصيحة أحكم ناصح ، الزمن . » لم يلتفت أحد الى هذه الكلمة ولكنهم بعد ذلك بأيام ، عند ما علموا ان توليد كان نسيبه الفشل والموت في موقعة بالقرب من كوروثيه . وان كثيراً من الابطال لقوا حتفهم ، تذكر الجميع كلمة بركليس وزادوه احتراماً وعرفوا فيه الرجل العاقل حقاً . والصديق الخالص لبلاده حقاً .

واصدق ما استصوبه الجميع من حملاته حملته في شيرسونيز التي نال يونانيو الخزرة بفضلها السلام والطأ نينة قاد الف مهاجر أثيني وحصن المدن بزيادة أهلها ثم حمى ممر البرزخ باقامة التاريس وتقوية القلاع الممتدة من بحر الى آخر . وسد الطريق في وجه التراسيين المنتشرين حول شيرسونيز . ومنع الحروب للمملكة التي كانت تعاني تلك البلاد ويلاها وغارات البربر المجاورين وعبث اللصوص الذين يسكنون حدودها ومنعها جرو بها الداخلية .

وقد ذاع صيته ونبه ذكره في البلاد الاجنبية ذاته بحملته الحربية حول بيلوبينيز .

أبحر من بيج في ميجاريد بمائة سفينة . ولم يكتف بسلب المدن البحرية كما فعل توليد ، بل تقدم براً بجيوشه وأكره الاهالى على الانسحاب الى المدن حتى لا يفاجئوه بهجماتهم . ولكن اهالى سبسيون اجترأوا على الوقوف له وانتظاره في غابة نيمة وقاتلوه ، فاقتحم مواقعهم عنوة وشتت شملهم وأقام على المكان أثراً للنصر . وبعد أن أخذ من أشابا حليفة اثينا نجدة لعمارته انتقل الى الشاطئ الآخر للخليج وسار بسفنه في مجرى اخبالوس وعاث في أكارنافيا وحبس اهالى أونة في أسوارهم . وعبث بجميع بلاد الأعداء تخريباً . ثم عاد إلى اثينا بعد ان أوقع في نفوس أعداء بلاده أنه قائد رهيب

الجانب وفي نفوس مواطنيه انه حام أمين شديد الغيرة على حياتهم وامواهم . ولم يصب جيشه بشيء يضره عمدا ولا قدرا .

ومن هناك أقبل الى « البونت » بعارة كبيرة معدة أحسن اعداد . وهناك أدى لليونانيين كلما يطلبونه من خدم وقد أحسن معاملتهم كل الاحسان وهو يظهر لجميع الامم المتوحشة المجاورة وللوكةا وامرائها . عظمة الاثينيين والطمانينة التي يبحرون بها في جميع الممرات حينما شاؤا . واليقين الذي استقر في نفوسهم بفضل سيادتهم على البحار . وترك لاهالى سينوب ثلاث عشرة سفينة برجالها . ليعينوهم في محاربة الطاغية تامازيليون . ولما طرد الطاغية وأصحابه من المدينة أصدر أمرا بنقل جالية يونانية عددها ستمائة متطوع الى سينوب ليمزحوا بالاهالى ويقتسموا معهم منازل وأراضى حزب الطاغية

على أنه لم يستسلم لاهواء مواطنيه وكان يحذر السقوط معهم عندما استولت عليهم العماية والكبرياء لما نالوا من فوز ونصر . رآهم يميلون لافتتاح مصر ومهاجمة الاقاليم البحرية الخاضعة لملك الفرس تملكث الشهرة شهوة امتلاك صقلية لشدة حبهم لها وكانت تلك الشهرة تعسة وشؤما اهاجها السيبياذ فيما بعد في قلوب الاهالى بما ألقى من خطب مثيرة . وكان منهم من يفكر في غزو اتروريا وقرطنجة . ولم تكن أملهم هذه عارية عن الصواب لو نظرنا الى عظمة مملكاتهم واستمرار سعادتها

تمكن بركليس من كبح هذه الشهوات وتعطيل هذه المشروعات باشغاله جميع قوات أثينا بحراسة ما امتلكوه . مقتفا انه يكفيهم منع السبارطيين من التقدم أو زيادة سلطانهم وقد أظهر في جملة مناسبات انه العدو اللدود للسبارطيين وبوجه خاص في الحرب المقدسة . ذهب السبارطيون لسلاحهم الى دلف واغتصبوا من الفوسيين وكالة الهيكل ومنحوها الى الدافيين . وما كادوا ينسحبون حتى نهض ابركليس بحماسة ورد الى الفوسيين وكالة الهيكل . وكان الدلفيون قد خصو

السيبارطين بحق التقدم في استشارة الوحي ونقش هؤلاء هذا الحق على جبين الذئب النحاسي ايد ابركليس هذا الحق لللاثينين وحفره على الجانب الايمن من الذئب النحاسي ذاته . .

كان على حق في احتفاظه بجميع قوات يونان في أثينا كما التفتته الحوادث . نهضت أوبالثورة خطرة في جيش كبير . وفي الوقت ذاته علم ان الميجارين أعلنوا العداء لاثينا وانهم يعسكرون بجيشهم على حدود أتيكا بقيادة بليستونا كس ملك سبارطة . فغادر أوبال مسرعا للدفاع عن أتيكا . لم يجسر على مقاتلة جيش كثير العدد معروف بيسالته . وقد علم ان بليستونا كس شاب حدث لا يعمل شيئا الا بارشاد كليا اندريداس الذي ندبه النواب ليكون وصيا وقائدا ثانيا لحداثة سن الملك . سبرغور الوصي واستماله بالمال على ان يسحب جيش السبارطين من أتيكا : انسحب الجيش وتشتت الجند في المدينة . ولكن السبارطين ساءم هذا العمل فحكوا على ملكهم بغرامة فادحة لم يستطع دفعها . فغادر وطنه . وكان كليا اندريدس قد هرب ، فحكوا عليه بالموت . وكان هذا الرجل والد جيليب الذي قهر الاثينين في صقلية . وكان الطبيعة أودعت قلب جيليب حب المال كداء ورأى . لانه كان عبدا للمال ، وثبتت فضائح مخجلة فتفى من سبارطة وقد شرحنا ذلك في سيرة ايزاندر . أثبت بركليس ضمن نفقات هذه عشر تالانات مكتفيا لقوله انفقت في مصروفات ضرورية . وافق الشعب على الحساب بلا التفات الى هذا المبلغ ولا سؤال عما يكتمه . ولكن الكتاب وبيدهم الفيلسوف تيوفواست يقولون انه كان يرسل كل سنة عشر تالانات الى سبارطة يوزعها بسخاء بين الحكام لمنع الحرب يشترى بذلك لا السلام بل الزمن الذي يمكنه من اعداد ما يلزم للاقدام على الحرب باستعداد يكفل النصر . التفت بعد ذلك الى الثائرين فسار الى أوبال بخمسين سفينة وخمسة آلاف جندي فاضع المدن واعادها الى التزام الواجب . وطرده من شالسي كبار الاغنياء والاعيان المعروفين هناك باسم ( هبولوث ) مربى

الخيل . وأخرج من هستيا جميع الالهة واستعاض عنهم بجاليات من الاثينيين :  
 وكان شديد القسوة على الهستين لانهم أسروا مركبات أثينية وذبحوا جميع ركابها .  
 عقد بعد ذلك عهد سلام بين أثينا وسبارطة لمدة ثلاثين سنة . ثم قرر بركليس  
 حملة بحرية ضد ساموس بحجة ان أهالي هذه الجزيرة خالفوا الاوامر الصادرة اليهم  
 من أثينا بالكف عن قتال « ميه » . وبما انه لم يقدم على هذه الحرب الأرضيا  
 لاسبازيا فيحق لنا ان نبحث عن سر وقدره هذه المرأة على اصطياذ أعظم سياسي  
 في عصر . وما كان يكتبه عنها الفلاسفة من عبارات التكريم والاحترام .

اجمع الكل انها من « ميه » وأنها ابنة اجزيو كوس ويقال انها كانت تتصدى  
 العطاء اقتداء بمحظية قديمة من يونيا تدعى تراجيليا . وتراجيليا هذه امرأة  
 حسنة جمعت بين لطافة الجسم وذكاء العقل وكانت متينة السهولة بكثير من  
 عظماء يونان ، استمال الى ملك الفرس جميع من يعاشرونها . وبواسطتهم  
 نشرت في المدن الروح الفارسية ، لانها لم تكن تستهوى سوى عظماء المدن  
 وكبار رجالاتها . اما اسبازيا فيقال إن بركليس كان يميل اليها لقوة عقلها  
 وقدرتها على فهم المسائل السياسية . وكان سقراط يزورها مع أصحابه . وكان  
 الذين يعاشرهم يصطحبون نساءهم لتسمعن حديثها مع أن حياتها لم تكن المثل  
 الاعلى للادب والعفاف إذ كانت تدرب الحسان صناعة التحظى . وقال اشين ان  
 ايزركليس تاجر اغنام خشن الطبع بمولده وتربيته صار أول وطني في أثينا لانه  
 كان يسكن الى اسبازيا بعد وفاة بركليس . وقال افلاطون في مقدمة « مانكسين »  
 مع ما هو معروف عنه من رقة الاسلوب إن كثيراً من الاثينيين كانوا يذهبون  
 الى منزلها ليتعلموا اساليب الفصاحة والبلاغة . ومهما يكن من كل هذا فانا  
 نحسب أن الذي كان يجتذب بركليس اليها هو الحب . كان متزوجاً احدي  
 ذوات قرياتها وكانتا من قبل زوجة هيبونيكون ولها منه ولد وهو كاليب الغني  
 وقد رزقت من بركليس ولدين اكسانيت ويارالوس ، واذا وقع النفور بينهما اخلى  
 سبيلهما فتزوجت من سواه ونزوح هو من اسبازيا الذي كان شديد الولع بحبها

ويقال انه كان يردعها عند خروجها صباحا بقبلة ومتى عاد حياها بقبلة  
 اما الازلون من الكتاب فكانون يدعونها سخابة ، او مقال ، داجيفير ،  
 جوتون ، وقد دعاها كراينوس محظية  
 « لقد ولدت له جوتون اسبازيا ، تلك المحظية المبتذلة التي عينها عين كالية »  
 وتظهر أن بركليس اولدها ابنا سفاحا . لان اويوليس يمثل بها في رواية  
 ديموسيس مسائللا .

وابنى الذى رزقته حراما . الا يزال على قيد الحياة ؟ فيحييها بيروميدياس .  
 « وكان فى وسعه ان يتزوج من زمن ، لو أنه لم يخشى ان يتزوج دوميدياس .  
 لقد بلغ من شهرة اسبازيا ان سيروس الذى نازع أخاه ملك الفرس  
 الملكية لقوة السيف اطلق على احب محظياته اليه اسم اسبازيا وكانت تدعى  
 قبلا ملتوا . وهذه اتية هرموتيم وهى من قوسه . ولما هلك سيروس فى الموقعة  
 سعت الى الملك وكان لها عليه سلطان نافذ . عرضت لى هذه الاشارة الخارجية  
 من الموضوع لمناسبة ذكر اسبازيا فلم ابد اريد اغفالها .

يتهم بركليس باعلانه الحرب على اتساموس لمصلحة الميلاتين اجابة لرجاء  
 اسبازيا . وقعت الحرب بين ساموس وميلا وسببها برين ، احرز الساموستون  
 انتصارا باهرا فى حين ان الاثنين دعوهم الى وقف الحرب والحضور لعرض مطالبهم  
 فلم يأبهوا . لهذه الدعوة . ابجر بركليس الى ساموس وحل الحكومة الاوليغارشية  
 واخذ رهائن قمش من الاشراف ومثلهم من الاطفال وارسلهم وديعة فى لمفوس .  
 ويقال ان كل من هؤلاء الرهائن قدم اليه تالانا ندية . وقدم اليه الذين  
 لا يزغبون فى الحكومة الديمقراطية فى بلادهم هدايا أخرى . وان يدسونيس الفارنى  
 صديق الساموسيين ارسل اليه عشرة الاف قطعة ذهبية لارضائه عنهم رفض  
 بريكاس كل هذا ونفذ فى الساموسيين ارادته . وأقام فى بلادهم حكومة ديمقراطية  
 ثم عاد الى اثينا . وماكاد يرحل حتى اسرع بسوتنيس واطلعه سراح اسرى

الساموسين واستعدوا للحرب . عاد اليهم بريكليس فانعاهم في غير دهشة ولا وجل مصممين على القتال يريدون السيادة على البحر . نشبت بينهم حرب البحرية خروس بالقرب من جزيرة ثارجية وانتصر بريكليس انتصارا عظيما لانه باربع واربعين سفينة هزم سبعين منها عشرون ملأى بالجنود .

ولما تم له النصر تعقب الساموسين الى مينائهم واستولى عليه وحاصر المدينة . انه تسبل المحاصرون في الدفاع ثم فتحوا ابوابهم وتقدموا للقتال امام معاقلهم : وفي هذه الاثناء وصلت الى بريكليس عمارة أوفرعددا من الاولى فحاصر المكان ثم اتخذ ستين سفينة وغادر الجزيرة قاصدا على مايقول أكثر المؤرخين ، لملاقاة اسطول ارسله الفينقيون حلفاء ساموس ، اراد بذلك القتال بعيدا عن الجزيرة . ويزعم ستاز ميروت انه ارد الحماة على قبرص . والظاهر ان هذا غير صحيح . ومهما تكن نيته فقد اثبتت الحوادث انه اخطأ . ذلك انه ما ابتعد حتى ينهض الفيلسوف مالميسيوس بن إيتاجانيس قائد الساموسين استخفا بالسفن الباقية أو بقوادها فامر مواطنيه بمهاجمة المحاصرين فهاجموهم وانتصروا وقتلوا من اعدائهم خلقا كثيرا وأغرقوا الكثير من سفنهم . واذ صار البحر حرا احتلوا المدن والذخائر الى مدينتهم بعيدا كانوا محرومين منها : وقال بريكليس ان مالميسيوس سبق له ان انتصر على بريكليس قبل هذه الموقعة . أهان للساموسيون ، الاثينيين بمثل ما هانوه . طبعوا على جبين كل منهم صورة نومة ، كما طبع الاثينيون على جبين كل من رجالهم صورة « ساموسيه » وهي سفينة واطيئة المقام عريضة مجوفة ما يجعلها سريعة السير خفيفة . وقد رعيت ساموسته لأن الاولى من نوعها بقيت في ساموس بأمر الطاغية بوليقرات .

الى هذا الطابع اشار ارسطوفان بقوله . : ان شعب ساموس قدير في طباعة الحروف .

بركليد علمس بناء هذا الخلدان فاسرع العودة الى رحاله ، قاتل ماتيسيوس



وقهر والزمه الفرار . واعتزم التغلب على مقاومة المحاصرين والاستيلاء على مدينتهم  
ولكنه فضل التفريط في المال والزمن عن التضحية بالرجال . فحاط المكان  
بسور دائر . مل الاثينيون الحصار والحوافى طلب القتال ولم يبق في الامكن  
منهم . قسم ركليس جيشه الى ثمانية فرق . والقى بينها القرعة . فالفرقة التي  
يكون نصيبها فولة بيضاء ترتاح وتنعم . ويكون نصيب الاخر القتال . ولهذا  
الحادثة يقول الذين يقضون يومهم بين الراحة واللذة انهم قضوا يوما ايضا  
اشارة الى فولة ساموس البيضاء . ويقول « أفور » ان بركليس استخدم في هذه  
الحرب الات حربية لانه كان مولعا بهذا الاختراع الجديد الذي ابتدعه المهندس  
الميكانيكي ارتمون . وكان ارتمون هذا اعرجا يحمل على محقة الى حيث يقتضى  
العمل وجوده . لذلك اطلقوا عليه لقب « لبوري فوريت » (١)

وقد كذب هيراكليس البونتي دعوى أفور مستشهدا باشعار قالها انا كريوت  
ذكر فيها رجلا يدعى ارتمون بري فوريت .

قبل حصار ساموس بعدة قرون . وارتمون الذي ذكره الشاعر رجل رقيق  
خامل جبان لم يكن بجراء على الخروج من منزله ، يبقى فيه جالسا يظله خادمان  
بالدروع خشية ان يسقط عليه شيء . واذا اضطر للخروج حمل على محقة واطية  
ولذلك دعى ياريفوريت .

سلم الساموسيون بعد حصار دام تسعة شهور فهدم بركليس أسوار المدينة  
وأخذ جميع السفن وضرب عليهم غرامة فادحة . دفعوا منها لغورهم جانباً وتعهدوا  
بدفع الباقي أقساطاً في مواعيد محددة وقدموا الرهائن ضماناً . انهم دوريسن  
السامورسي الاتينين وبركليس بانتفتن في ضروب القسوة مما لم يذكره توسيديد  
وإفور ولا أرسطو يزعم والواقع يكذبه ان بركليس جاء بضباط السفن والبحارة  
وأوقفهم في ساحة ميلة مشدودين الى اعمدة حيث بنوا عشرة أيام ولما خارت

(١) مؤلفه من كلمتي يرى وفرو . (الذي يحمل من مكان الى مكان

قوامهم أمر بقتلهم ضرباً بالعصى . وطرح جثته بلا دفن . ولكن دوريس لم يكن من طبعه تجرى الحقيقة فيما يكتب حتى فيما لا يمسه فلا غرابة ان يغالى فى وصف يكتنه وطنه تشنيعاً على الاثينيين .

تمت هزيمة ساموس وعاد بركليس الى أثينا وأقام لضحايا الحرب حفلة جليلة حيث ألقى خطبة التأبين بين تصفيق الجميع وعند ما نزل عن المنبر قدمت اليه النساء التيجان والاكاليل كأنه مصارع مبرز ولكن البينيس دنا منه . وقال نعم يا بركليس انه لهما يستحق الاعجاب ولما يستحق هذه الاكاليل أن تهلك أولئك الوطنيين البواسل لا فى محاربة الفينيقيين او الفرس كما فعل أخى سيمون بل فى خراب مدينة مليفة مدينة هى شقيقة أثينا ! « اصغى اليه بركليس دون أن يبدى حركة ثم أجابه بالما يقول ارخيلوك . « أيتها العجوز لا زلت تتضمخين بالطيب

وقال الشاعر يون أنه بعد انتصاره على الساموسيين امتلأ اعجاباً بنفسه واستعظم قدرته ومن أقواله . « صرف اغاميمنون عشر سنوات للاستيلاء على مدينة بربرية . ولم أصرف سوى تسعة شهور للاستيلاء على اولى مدن يوفى واقدرها . » والحقيقة أن له من هذه الحرب . ما يدعو للمفاخرة لما وقع اثناءها من الشدائد والمخاطر حتى قال توسيديد ان الساموسيين كادوا يسلبون الاثينيين سيادة البحار .

رأى بعد هذه الحملة ان امواج الحرب البلوبونيزية أخذت فى الارتفاع فدعا قومه الى نصره الكورسيرين اذا اعتدى عليهم الكورنتيون ؟ اراد بذلك ان يكسب فرقته صداقة جزيرة قوية بسفنها فى وقت يوشك فيه اهالى بيالونيون ان يضرروا اعداءها . قبل اقتراحه فارسل الى كورسير ، لاسيدمونىوس بن سيمون امكر به . ولم يعطه سوى عشرة سفن لعله ان صلات الوريين اسرة سيمون والبلويون تزين وثيقة فاذا لم هذا القائد بعمل باهر مجيد تدرع بذكر لانه بالشواطىء معهم لذلك لم يعطه سوى القليل من السفن وكلفه القيادة رغم انه . وكان كل همه

الخط من قدر ابناء سيمون يدعوى انهم وطنيون غرباء ، دخلاء ، اجانب حتى في اسمائهم ، وكان احدهم يدعى لاسيد مونيوى . والاخر تساليوس والثالث الايوس . والمعروف ان والديهم اركادية .

احس برىكلس بما وجه اليه الناس من اللوم لاقتصاره على ارسال عشرة سفن وهي عدة لا تنفى في المساعدة وتجعل اليد العليا لخصومه السياسين . فاتبع الحماة اسطولا ضخما لم يصل الا بعد نهاية الموقعة : استاء الكورنيون فرفعوا شكائهم ضد الاثينيين الى سبارطه ، وانضم اليهم الميجاريون متظاهمين من ان جميع اسواق اثينا وموانئها مقفلة في وجوههم خلافا للحقوق المشتركة والعهود المتبادلة المعقودة بين جميع اليونانيين . لم يجرأ الا يجنبيون على الجهر بالشكوى مما عدده . امتهم الاثينيون لهم واستعمال العنف في معاملتهم فارسلوا شكائهم سراً الى سبارطه في هذا الوقت ثارت بوتيدة وهي مستعمرة كورثيه واسكنها خاضعة لاثينا . قام الاثينيون بمحاصرتهم فكان عملهم استعجالاً للحرب . اوفدت الرسل الى اثينا وكان ارخيداموس قد سوى جميع وجوه الخلاف وهداء نائرة الخلفاء ، وكاد الصلح العام يتم . ولم يكن الاثينيون ليشبوا نار الحرب . نظرا لما نسب اليهم من الاخطاء ، لو انهم قبلوا سحب قرارهم ضد ميجاريا وصالحوا الميجاريين .

ولكن برىكلس ابى عليهم سحب القرار رحى الشعب على احتقان العداوة للميجاريين ولذلك تلقى مسؤولية الحرب عليه وحده .

جاء وفد سبارطى الى اثينا ، فقدم برىكلس قانونا يحرم تحطيم اللوحة التى كتب عليها القرار . فتمال بوليارسيس احد رجال الوفد ، حسن لا تحطمها ، اقلبها القانون . لا يمنع ذلك

جاءت هذه الكلمة مرضية ولكن برىكلس اصر على عناده . فمن المحتمل ان كان يحقد على الميجاريين لشأن خاص . ولكنه اراد ستر حقه تحت ستار المصلحة العامة التى يمكن اعلانها فاتهمهم بالاعتداء على ارض مقدسة حرام حرثها .

وقرر ارسال مندوب من قبل الدولة يعرض عليهم الشكوى ثم يذهب الى سبارطة لتأييد التهمة . وكان القرار الذي اصدره بركليس مقررًا في قلب الرقة والاعتدال ولكن انتيموكريت الذي ارسل بهذه المهمة مات أثناء تأديتها . نسب موته الى الميجاريين واصدر شاربنوس قرارا انه من الآن فصاعدا يكون البداء بين اثينا وميجاريا عدلاً لاصلاح معه ولا هدنة . وان كل مجاري ( الميجاريين ) يضع قدمه على ارض اتيكا يكون عقابه الموت . وان يقسم القواد عند الحلف القانوني أن يقوموا في سنة قيادتهم بمحلمتين على ميجاريده . وان يدفن انتيموكريت بالقرب من الابواب الترابزية المعروفة اليوم باسم « ديبيل » ( الباب المزدوخ ) ينفي الميجاريون تهمة موت انتيموكريت عن انفسهم وينسبونها الى بركليس واسباريا مستندين الى ماجاء برواية الاشارنيين (١) ولا كته الالسن : وهو : يذهب شبان الى ميجاريا ويسكرون ثم يطفون المحظية سيماته . فيدفع الالم الميجارين محظيتين من محظيات اسباريا .

وعليه ليس من السهل ان نعرف السبب الحقيقي للحرب ولكن المؤرخين مجمعون على ان بركليس وحده هو الذي منع سحب القرار . وينسب البعض ذلك الى عظمة نفسه وحده بصيرته في مصالح بلاده تلك البصيرة التي ارتته في الحاح السبارطين في عذه المسئلة نية محاولتهم اخضاع اثينا حتى اذا تنازلت كان ذلك اعترافا منها بضعفها . ويذهب الى ان الذي حمل على الاستهانة بانذارات سبارطة هو الانانية والرغبة في اظهار قوته . ولكن اخبت ما قيل من الاسباب لهذه الحرب واكثرها رواية هو ما يأتي .

كان المثل فيدياس على ما ذكرنا قاعاً بصنع تمثال منبرقا . وكان صديقاً لبركليس ينعم بثقته التامة . او غرت هذه الصداقة عليه نفوس جماعة من حساده . وحاول البعض ان يعمل به ما يعمل به الشعب ببركليس اذا قدم للمحاكمة . استمالوا احد

عمال فيدياس وكان يدعى مانون ، ذهب مانون هذا الى الساحة العمومية ووقف  
 وقفة المضارع المتوسل وطلب الامان لمقاضاة فيدياس واتهامه . قبل الشعب طلب  
 هذا الرجل وعرضت القضية أمام المجلس العام لكن خصومه لم يستطيعوا ان يثبتوا  
 عليه تهمة السرقة التي نسبوها اليه وذلك لان فيدياس حسب اشارة بركليس  
 يضع جميع القطع الذهبية الداخلة في التمثال بحيث يسهل نزعها ووزنها . وهذا  
 ما أمر بركليس المدعين باختياره . وهناك سبب لبغضهم فيدياس وهو شهرته .  
 لاسيما عند ما مثل نفسه على درع الآلهة في حرب الامازون شيخا أسلما يرفع حجراً  
 بيديه . ولانه أقام تمثالا بديع الصورة ابركليس يحارب امازونية ( مترجلة )  
 كانت يده المرفوعة لرمية السهم تغطى على نوع ماء جانباً من وجهه . ولكن هذه  
 اليد وضعت وضعاً فنياً بديعاً لكنها تريد اخفاء الشبه ولكن الشبه كان بارزاً من  
 الجانبين على اسمه . زج فيدياس في السجن حيث قتله المرض أو كما يقول  
 بعض الكتاب ، سم أعدائه . افعلوا هذه الفعلة وقبعة ببركليس . اما المدعى مانون  
 فقد أعفاه الشعب بناء على طلب جليكون من الضرائب وأمروا الحراس بحمايته .  
 وفي هذا الوقت كانت أسبازيا تدفع عنها نفسها تهمة منكرة وجهها اليها  
 الشاعر الماغن هرمينيوس (١) والتهمة انما تأوى نساء حرة تقدمهن الى بركليس  
 وقدم ايوبيت قانوناً يأمر كل اناس بالتبليغ عن كل من لا يؤمن بآلهة الدولة أو  
 يتناول الحوادث العمومية بشرح . أراد بذلك القاء الشبهة على بركليس لاتصاله  
 باجازاكور . قبل الشعب القانون راضياً وأباح اتخاذ الاجراءات . وقدم داركوتيدس  
 مرسوماً آخر بان يقدم بركليس حساب ادارته المالية وان يحكم القضاة في ذلك  
 بالمدينية في هيكل منيرفا . ولكن انيون عدل المشروع بان استبدل البند  
 الثانى وجعله ان يعهد بالحكم في ذلك الى الف وخمسمائة رجل . وان يعين المدعى  
 أحد الجريمة . اسقاط . أوغش أو خطاء .

(١) أحد شعراء الكوميديا القديمة .

قال أشين (١) ان اسبازيا لم تنجح من الحكم الا بفضل ددوع بركليس وتضرعاته لجميع القضاة أثناء النظر في القضية . ونخوفه على أناجزا كور أخرجه من المدينة وصحبه بنفسه حتى خارج أسوارها . اما قضية فيدياس فقد أضعفت شهرة بركليس : واذا داخله الريب فيما يتهدده من حكم نفخ في موقد الحرب الذي كان على وشك الاشتعال أملا ان يقضى بذلك على الدعاوى ويضعف حدة الغيرة والحسد لانه متى اشتدت الضائقة على أثينا واحرق بها الخطر القتل بنفسها بين يديه لما أحاط به نفسها من سلطان ورعاية . هذه هي الاسباب التي يعلنون بها منعه الشعب عن اجابة السبارطيين الى طلبهم على أنه لا يمكن معرفة أسباب الحرب معرفة حقيقية

ولما كان السبارطيون يعلمون أنهم اذا تمكنوا من قلب سلطانه أصبح الاثينيون الذين جانبوا طلبوا الى هؤلاء أن ينفوا من المدينة كل نجس . اعتماداً على قول توسيديدان بركليس يرجع بنسب والدته الى جنس حقت عليه اللعنة ولكن حيلتهم عادت بنتيجة عكسية خابت معها أمالهم . ذلك أن الاثينيين بدل أن يصفوا اليهم ويستحيوا ثقتهم من رئيسهم وينفوه ازدادوا به ثقة واحتراما اذ رأوا الاعداء تبغضه وتخشاه . لذلك قبل أن يهاجم ارخيداموس اتيكا بجيوشه ، أعلن بركليس الاثينيين أنه اذا احتاج الاعداء الحقول ولم يمسوا أملاكه سواء كان ذلك رعاية لعلاقات المودة والضيافة التي تربط أهلها برئيسهم أو قصد اعطاء خصومة السياسيين فرصة للتشنيع عليه ، فانه يمنح الجمهورية جميع حقوله ومزارعه .

أغار الملك ارخيداموس بجيش عرمرم من السبارطيين وحلفائهم على اتيكا واجتاحوا المزارع وعسكروا بالقرب من اشارة اعتقاداً منهم أن الاثينيين لا يطيقون صبرا وان سورة الغضب ستدفعهم الى القتال . ولكن بركليس رأى من

(١) الخطيب الشهير مناظر ديموسينوس .

الخطر أن يعرض المدينة لقتال تحارب فيه ضد ستين ألف جندي عدا دول  
الجيش من المغيرين من البيوتيين والسبارطيين . ولكن الاثنينين هاجمهم  
ما رأوا من العبث بمزارعهم فطلبوا خوض غمار الحرب ؛ ولكنه كان يهدى ،  
ثأرهم بقولهم ان الاشجار اذا قطعت نبتت ثابتة أما الرجال اذا ماتوا فلا  
تسهل اعاتهم الى الحياة . ولم يدع جمعية الشعب خشية ان يضطر الى العمل  
على غير مرسومه . ان اغوى الحكيم اذا فاجأته العاصفة اسعى الى تنظيم كل شئ ، ويستعد  
للمقاومة غير معول الا على خبرته لا يبالى بدموع الركاب الذين أخذهم دوار  
البحر واستولى عليهم الفزع . لذلك كان بركليس بعد أن أحكم حياته  
مداخل المدينة ووزع الحرس على أماكن الدفاع ويمكن أسباب الطمأنينة  
لم يضعف الا لحكمته وخبرته غير مبال بشكاوى وانفعالات المحاصرين ولا  
بالحاح اصدقائه ولا تهديد اعدائه كل الكل يريد الاهاجى ضده ساخرين  
بشخصيته يتهمونونه بالنذلة والجبن محقرين شأنه متهمين على قيادته التي تركت  
كل شئ نهبا للسالبين . وقد بلغ من كلالون ان اشتد عليه وانتهز  
فرصة هياج الشعب وشق لنفسه طريقا بينه حيث عات كالمته ، كما استفاد  
من قول هرميبوس . « يا ملك الكلام لماذا لا تحمل الرمح ؛ وتضرب  
جهدك على خطب تلقيها عن الحرب ؛ وقلبك في الشجاعة كقلب فيلس ،  
ايها الذئب الصلد الذى يشحذ السيف لماذا تفزع لرؤيته فاس الحرب . وتدع  
كلالون المنقذ غيره يعضك . ؟

بقى بركليس لا يتزعزع متحملا الاهانة والعداء بصبر وطول اناة . ارسل  
الى سبارطه عمارة مؤلفة من مئة سفينة وبذل ان يتولى قيادتها بنفسه بقى في  
مدينة حرصا على بقاءها في قبضته الى أن ينسحب الجيش السبارطى . واذ  
كنت الحرب قد آثارت النفوس عمد الى تهديدها بتوزيع الاموال واحذار  
المراسيم بتقسيم الاراضى المكتسبة : طرد الايحيين من جزيرتهم واقتصر على

املا لهم بين الاثنيين .

وقد وجد هؤلاء عزاء فيما أصاب أعدائهم من الاذى طافت العمارة أنحاء  
يلوتسين نخرب وتتلغ المزارع والقرى والمدن الصغيرة . ثم هاجم بريكليس  
الميجاريد سرا واكتسبها فاذا كان السبارطيون قد انخروا بالاثنيين فأنهم لم ينجوا  
من الضرر فلا يستطيعون الاستمرار على القتال ولم يكن لهم بد من العدول عنها  
كما ارتلأ بريكليس لولم تدخل قوة عاوية فعطلت وافسد تدبير الانسان . انتشر  
الطاعون فحصد زهرة وقوة الشبيبة الاثنية . وابتلى الاجسام والنفوس فتثار الكل  
في وجه بريكليس ثورة المرضى المحومين في وجه اطباؤهم وابائهم فعاملوه بالعسف  
والاساءة . وقد ادخل خصومه في نفوس الشعب أن سبب هذا البلاء انه نقل  
الى المدينة عدد كبيرا من سكان الريف يسكون مكديسين ابان حرارة الصيف  
في مساكن ضيقة لا هواء فيها حيث يجتمعون طول نهارهم بلا عمل وهم معتادون  
استنشاق الهواء الطلق النقي . والذي افعل ذلك هو الذي احدث هذه الحرب  
وهو الذي حشد هذه الجماهير بين اسوارنا حيث لا عمل لهم تحشرهم حشر  
البهائم في الخطيرة . تفشو بينهم العدوى ولم يعن بتغيير حالهم او نقلهم الى ما اعتادوه  
من الهواء الطلق .

أعد بريكليس تفاديا من هذا الخطر ونكاية بالاعداء ، منه وخمسين سفينة  
جهزها بالابطال من المشاة والفرسان فملا قلوب الاعداء فرعا وقلوب الاثنيين  
املا ، وفيما كان كل شيء قد أعده والجيش على أمه وبريكليس على سفينته  
كسفت الشمس ، فاستولى الفزع على الجميع لهذا الضلال الفجائي وحسبوه نذير  
سوء . رأى بريكليس نوتى سفينة مبهوتا حائرا يتسا فذشر رداءه أمام عينيه  
ولف به رأسه وسأله هل يرى في هذا داعيا للخوف أو التشاؤم . فقال النوتى  
كلا . — فقال وما الفرق بين هذا وذلك ، غير أن الذي أحدث هذا الظلام أكبر  
من ردائي ؟ هذا ما يروى في مدارس الفلاسفة .



المجر بركليس ولكن النتيجة التي انتهى اليها لم تتفق مع هذا الاستعداد العظيم . حاصر مدينة أبيدور المقدسة و إذ كانوا على يقين من الاستيلاء عليها أخطأهم التوفيق . ذلك أن الطاعون ذشاني الجيش ولم يقض على الاثنين فقط بل وعلى كل من يدخل المعسكرات أو يدنو منها . اتهموه بأنه علة هذا البلاء فحاول تعزيزتهم وتشجيعهم ولكنه لم يستطع تهدئة الخواطر أو تغيير نفوسهم . رفعوا ضده الدعوى واخذوا الاصوات فحكمت الغالبية بتجريد من القيادة والحكم عليه بغرامة . يقول بعض المؤرخين أنها خمسة عشرة تالانة ويقول البعض أنها خمسون . ويقول إرومانية ان المدعى هو كلاون ويقول تيوفرست انه سيمياس ويقول هيراكليد انه لا كراتيداس .

لم يطل زمن هذه المعارك ، لقد أصابه الشعب بمرح ادمى قلبه ولكنه أبقى غصبة في جرحه ، لوهم هذا التعبير . غير أن بركليس وقع تحت ضربات حزن عائلية . حرمه الطاعون كثيراً من اصدقائه . والمه الشقاق المتحكم في منزله . كان اكسانتيب ذكر انباءه الشريعية مسرفاً بطبيعته ونزوت امرأة فتنة مبدرة . وهي امينة إزاندرا ابيليكوس ساء هذا الولد حرص والده وشيخه اقترض من أحد اصحابه باسم والده مبلغاً من المال فقرضه . ولما جاء يطالبه برد المبلغ انكره بركليس وقضاه غضب الولد وسار في المدينة يشنع على والده متعمداً السخرية بوالده يروي الكل من قابله احاديث عن حياته العائلية . وأحاديثه مع السوقائين ومن رواياته عنه أن مصرح قتل غير متعمد حصان ايميوس بسهم ارده . فقضى بركليس يوماً كاملاً في البحث مع بروتاجوراس عن يصح اتهامه عقلا هو السهم او الذي رمى به . او الاحوتيت . ويقول ستازمير وت ان الذي اشاع ما يروي عن امرأة اكسانيب هو اكسانيب نفسه . وانه مات قبل أن يصطاح مع والده . اهلكه الطاعون . فقد بريكليس شقيقةوا كثر اهل واصحابه ممن كان معتمد على شوراتهم في حكومته . ولكن كل هذه النكبات لم تكن

تقل من عزمه او تذهب بشيء من عظمة نفسه . فلم يرا ابداً باكياً ولم يقيم مأتماً ولا وقف على قبر عزيز . ولكن عندما احتسب في بارالوس آخر ابنائه الشرعيين . حاول التجلد عبثاً وذهب جهده في الاحتفاظ بعزيمته سدى خارت قواه وعند تقدم الى الجثة يضع عايمها اكليلا خانه جلده واستولى عليه الحزن وعلا صوته بالشهيق وسالت عيونه بالدموع وكانت هذه أول مرة في حياته رآه اليأس مستسلماً لليأس .

جرب الاتينيون الكثير من الضباط والخطباء لقيادة هذه الحرب ولكن مامن احد منهم كان لها كفواً . فاسفوا عليه واستدعوه إلى المنبر ورياسة الجند . ولكنه كان قد لزم بيته مكتملاً حزيناً ولكن السيباد واصدقاءه حملوه على الظهور . احتذر الشعب عن جموده وإعيد انتخاب بركليس قائداً عاماً وعاد تولى شؤون الحكومة . وكان أول همه إعادة النظر في قانون الانباء الغير الشرعيين الذى وضعه قبلا اراد بذلك أن تبقى ضياع ذكره اذ لم يبق له ابناء شرعيون . وضع هذا القانونى أبان مجده الاول حين كان له ابناء شرعيون . ونحوه ان لا يكون الانسان اتينياً إلا إذا كان أبوه وأمه اثنيين . وحدث لمن ملك مصر اهدى الى الشعب اربعين الف ( مد ) مديوم من القمح هاجت النفوس عند توزيعها وكثرت الشكاوى ضد من لا يستحقون حتى بلغ عدد هؤلاء خمسة آلاف . تعددت التهم الكاذبة هذا ابن غير شرعى وهذا عيب بيع . وقد لقي الكاذبون جزاءهم على أن التعداد اثبت أن ليس فى المدينة من يستحق لقب وطنى اثينى سوى اربعة عشر ألفاً واربعين

وانه من الحوادث الخطيرة ان قانونا لهذا نفذ بتلك الشدة يلقيه من صدره . ولكن الاتينيين رثوا لمصابه وعدوه جزاء سماوياءه على شدة أبائه وكبريائه واعتقدوا أن السماء تولت عقابه وانه يستحق العطف فسمحوا له ان يقيد ابنة الغير شرعى فى عداد الوطنيين وانه بمنحه لقبه . هزم هذا الولد عمارة بيلوبينيز فى جزائر

ارجيمينوس ولكن لقي حتفه في أثينا حيث حكم الشعب عليه وعلى زملائه القواد بالموت .

حينئذ أصيب بركليس بالطاعون ولكنه لم يفتك به فبكه السريع بسواه بل كان فعله بطيئاً وطال به عهده في عوارض مختلفة يهزل بدنه ويضعف نفسه روى تبوفراست في بحثه « الخلقى » . هل يغير الحوادث خلق الرجل وهل تبدله أهواء الجسم فتبعد به عند الفضيلة : زار صديق بركليس أثناء مرضه فراه تميمة علاقته النساء في عنقة مستدلاً بقبوله هذه السخافة على أنه في حالة روية جداً . كان كبار الوطنيين والباقيون من أصحابه حول فراشه عند موته يتحدثون بماله من قدر وما كان له من سلطان وما غنم الاثينيون من نصر تحت امرته يعدون من مفاخره تسع أكاليل تخلد ذكره . كانوا يتحدثون بذلك واهمين أنه قد صوابه وأنه لا يعي ما يقولون . ولكنه كان مصغياً لحديثهم وقاطعهم على فجأة منهم بقوله . أنه يعجب لهم اذ يثنون عليه بانتصارات للحظ فيها تصيبه ويشاركه فيها غيره من القواد ولكنهم لا يدكرون له أجل وأجل ما عمل في حياته . ذلك : « انى لم ألبس أثينياً ثوب الحداد . »

علينا أن نعجب كل العجب باللفظ والدعة اللذين كانا حليته ابان مهامه العديدة حيث كان غرضاً مختلف انضغائن والاحقاد . إنا لنعجب به لهذه العواطف السامية التى جعلته يعتقد أن اسمى مفاخره أنه مع ما كان له من سلطان طويل الأمد لم يلن لحقد ولا غضب ولم يقس على عدو : ولم يكن هذا اللقب على ضخامته وجلاله ، لقب الاولمبى لينع عنه حسد الحاسدين ويجعله حقيقاً بركليس . لولا دماثة أخلاقه وطهارة حياته فى حكمة وبقاء سيرته التى لم تشبه شائبة . لذلك نعتقد ان الالهة ملوك وسادة جميع المخلفات ينابيع خير لا شرف فيها . أنالا نشوش أفكارنا بما يدعيه الشعراء من اقوال وتعاليم كلها هوش واضطراب . انهم يمثلون لنا ما يدعونه مساكن الالهة مواطن

يسودها الهدوء التام لا يتسرب اليه ، هياج ولا رياح ولا غيوم تحيط بها  
 الروعة وينيرها صفاء دائم . هذا ما يجب أن تكون عليه . مساكن الطوبى وبين  
 (الخالدين) . ولكن هؤلاء الشعراء يمثلون لنا الآلهة في الاضطرابات مستمرة واحقاد  
 وانفعالات وأهوال لا تليق بالعقلاء من الناس . ولكن هذا البحث حقيق ومؤلف خاص .  
 هذبت الحوادث التي تليت موت بريكليس نفوس الاثنيين فعرفوا للرجل  
 قيمته واسفوا لموته في غير مواريه . وقد اعترف الذين كانوا ينتقمون عليه تفوقه بعد  
 موته وبعد ما خبروا غيره من القواء والخطباء ان لم يكن مثله رجل جمع بين  
 الاعتدال والعظمة والركة والجلال .

وذلك السلطان الذى حفظ عليه القلوب ذلك الذى كانوا يدعونه ملكية  
 واستبدادا . علموا اخيرا انها لم تكن سبيلا للسلام . انغمست الحكومة بعده في  
 المفسد والشهوات التي كان يكرهها على الانزواء ويكر من شرها بما كان يلقي  
 عليها من الذراية والهوان . مضارات مما لا يستعصى شفاؤه .